فلسفة اللغة

شرح الكلاسيكيّات



كولن مكغين

ترجمة: متعب القرني





المحتويات



مقدمة المترجم

يُعنى كتاب الفيلسوف الإنغليزي كولِن مَكغِين بشرح المقالات الكلاسيكية الشهيرة في فلسفة اللغة، لا سيّما وقد درّس تلك الأدبيات طوال ثمانٍ وثلاثين سنة، سابرًا معانيها ومقاصدها، ومُصحِّحًا مساراتها وطرائقها، ومُستعرضًا هفواتها ونواقصها. يُمكن القول إنَّ هذا الكتاب هو الكتاب الأول من نوعه في قراءة وشرح الكلاسيكيات الفلسفية اللغوية بطريقة غاية في اليسر والسهولة، فهو عملٌ ثمينٌ يُظْهِر لنا قدرة مَكغِين في فَهْم زملائه الفلاسفة السابقين، وبراعته في تناول أعمالهم بسطًا وتحليلًا.

كما يمتاز هذا الكتاب عن غيره بأنه يُقدّم شرحًا وافيًا لأعمال عشرة فلاسفة بارزين في فلسفة اللغة هم: غوتلب فريغه، وسول كاربكي، وبرتراند رَسِل، وكيث دنَلَن، وديڤيد كاپلان، وغاريث إيڤانز، وهيلاري پتنام، وألفرد تارسكي، ودونالد ديڤيدسن، وپول غرايس. يبدأ كولِن مَكغِين كلَّ فصلٍ باستطلاع الخلفية الفلسفية التي تسبَّبَتْ في نشوء نظرة فيلسوف معين عن اللغة معنىً وإحالةً، ثم يستطرد في شرح المقالة تحت الدراسة، مستخدمًا الأمثلة الملموسة والعبارات البسيطة المألوفة، إلى أن ينتهي أخيرًا إلى عرض الانتقادات التي وجهها الفلاسفة الآخرون لتلك المقالة. ثم يشرع في الفصل التالي بما يقترحه فيلسوف آخر من تصحيحات لأعمال الفيلسوف السابق، ويختم الفصل بانتقادات أخرى، وهكذا في مسيرة نقدية بنّاءة لمشروع فلسفي كبير يمكن للقارئ الاستهداء به في تشكيل تصوّرات واضحة عن هموم وإشكالات ذلك المجال.

المترجم

متعب القرني

أستاذ اللسانيات المشارك

جامعة الملك خالد

20 نوڤمبر 2021

تمهيد

يهدف هذا الكتاب لأنْ يكون نصًّا ملائمًا لطلاب الجامعة المسجلين بمادة «فلسفة اللغة»؛ غير أنه يأخذ شكلًا مغايرًا، إذْ يهتم بشرح عشرة أعمال كلاسيكية في ذلك المجال بأعلى درجات الوضوح. فلن تجده استطلاعًا سريعًا وعامًّا للمسائل، بل تركيزًا على [أطروحات] المختصّين فيها، فيُمكن استخدامُهُ كمقدمة لطلاب الدراسات العليا ممن ليس لديهم خلفية عن فلسفة اللغة. كما إنه لا يستهدف الطلاب ذوي الاطلاع الشديد على الفلسفة التحليلية، بل الطلاب غير المختصّين في الفلسفة عمومًا. فهدفُ هذا الكتاب أن يجعل الأطروحات الأساسية الصعبة في متناول القرّاء الذين يجدون مشقةً في التعامل معها.

يتكون الكتاب من عشرة فصول (إضافةً إلى ملحق)، يناقش كلُّ فصلٍ منها مقالةً كلاسيكيةً واحدةً بالتفصيل. فالغاية من ذلك استخدامه جنبًا إلى جنبٍ مع مختارات النصوص الكلاسيكية الخاصّة بفلسفة اللغة. وقد استعنتُ بالمختارات التي تضمَّنَها كتاب «**فلسفة اللغة: المواضيع الأساسية**» بتحرير سوزانا نوتشيتللي وغاري سيهي (المنشور عن دار رومان وليتلفيلد، 2008)، وكتاب بي أي مارتينيتش «**فلسفة اللغة**» (المنشور عن دار جامعة أكسفورد، 2006)، مع التباين الواضح بين مقالات الكتابين.

لقد وجدتُ أثناء تدريس هذا الموضوع أن الطلاب بحاجةٍ لشرحٍ واضحٍ وشاملٍ للنصوص الكلاسيكية التي يجدونها غايةً في الصعوبة. لذلك، تناولتْ فصولُ هذا الكتاب هذه النصوص الكلاسيكية بعنايةٍ ومنهجيةٍ تامّة، فليس ثمّة محاولة لإعطاء نظرة عامة عن الأدبيات وتغطية شاملة للموضوع، فالكتاب لا يتناول بعض الأدبيات الحديثة. ولهذا، يمكن للمعلّم استخدامه كمكمِّل للمقالات الأصلية، إذ سيوفِّر عليه الكثير من جُهد الشروحات.

لقد ضمَنتُ تقييماتٍ وانتقاداتٍ للنظرات والنظريات التي تمّ شرحُها في هذا الكتاب، وذلك لتحريك فِكْر الطلاب وإحياء النقاش بينهم في الفصل؛ وليس للمساهمة في تلك المسائل بما يرتقي]الذائقة[زملائي المختصّين. كما سعيتُ كثيرًا لأن أجعل المادة بسيطةً قدر الإمكان دون التضحية بدِقَّتِها، شارحًا كل شيءٍ من الألِف إلى الياء.

بدأ هذا الكتاب بولادة غير عادية، حين اقترحَ عليَّ كولن مَيَر، أحد طلابي في الفصل بجامعة ميامي، أنْ يكون ثمة كتابٌ يحوي جميع الشروحات المهمة التي أقدِّمُها شفويًّا. وقد أعجبني هذا الاقتراح، غير أنّني كنتُ مترددًا في تأليف هذا الكتاب بنفسي، ولم أرضَ بالتنازل عن وقتي. لذلك، اقتَرَحَ هو أن يقوم بتفريغ التسجيلات التي سجَّلَها أثناء أدائي للمحاضرات. فقرّرنا تجربة ذلك وبدْء العمل بجدٍ واجتهادٍ، فكانت مهمّتي الوحيدة أن أراجع وأصحِّح ما كَتَبَهُ، فوجدتُ أن من الضروري إجراء تعديلاتٍ على كلّ جملةٍ تقريبًا، مع المحافظة على الصبغة الشفوية الخاصّة بالملاحظات، إذْ ستُعطي الكتاب نوعًا ما من القبول، لا سيّما أن الاهتمام في الكتابات المجردة يكون لصالح الدقّة والرصانة والأناقة أكثر من الإفهام والتبسيط. فكانت النتيجة مزيجًا من الصبغة العفويّة والصبغة الرسميّة الدقيقة. إنني ممتنٌّ هنا لكولِن مَيَر على ذلك الاقتراح وعلى قيامه بهذا العمل الذي لن يكون سهلًا عليَّ لو قمتُ به بنفسي.

كما حظيتُ أيضًا بمساعدة مونيكا مورسيون والتي راجَعَتْ النصوص الأصلية للمحاضرات وتحسينها وتنسيقها. فصار كل ما تبقّى من نصٍّ هو لي. لقد كانت مهمةً أصعب بكثير مما كنتُ أظن، ولكنني أؤمن أنَّ الكتاب الناتج عن تلك المهمة سيصبح ثروةً للطلاب والمعلّمين على حدٍّ سواء. فقد درّستُ فلسفة اللغة ما يقرب من ثمانٍ وثلاثين سنة، فهي حصيلة سنوات طويلة من الخبرة في هذا الموضوع، آمِلًا أنْ يُحقّق هذا الكتاب هدفَهُ في إيصال الأفكار الثريّة بأسلوبٍ ميسور.

كولِن مَكغين

ميامي، يوليو

2012

فريغه: عن المعنى والإحالة

1.1 خلفية

قبل أن نشرع في شرح آراء فريغه حول «المعنى» (sense) و«الإحالة» (reference)، قد يكون من المفيد إعطاء مقدمة بسيطة عن الأهداف العامة لفلسفة اللغة. فأهم ما يُمكِنُنا قولُهُ أنّ «فلسفة اللغة» تهتمّ بطبيعة «المعنى». ولأن هذا [التعريف] غير مفيدٍ للمبتَدِئين، سنكون أكثر دِقّةً. تدور اللغة حول العالم، فنحن نستخدمها للتواصل **حول** الأشياء، وعلينا أن نعرف ماذا نقصد بهذا الـ«حول» (aboutness): ماذا يعني وكيف يعمل؟ كيف يمكن للغة أن ترتبط بـ«الواقع» (reality)؟ وكيف نشير ونُحيل إلى الأشياء؟ هل الإحالة إلى الأشياء هو كل ما تقوم به اللغة؟ هل الإحالة تتحدّد بما في عقل «المُحيل» (referrer)؟ إذا لم يكن ذلك، فما الذي يُمْكِنُه أنْ يُحَدِّد «الإحالة»؟ هل هي «الأسماء» (names)، وهل كل ما في اللغة أسماء؟ كيف لكلمةٍ أن تُحيلَ إلى شيءٍ ما مرتبطٍ بشخصٍ يُحيلُ إلى شيءٍ آخر؟ هل «التعبيرات» (expressions) من قبيل «توم جونز» و«أبو شكسبير» و«ذلك الكلب» تُحيل كلها بطريقةٍ واحدةٍ؟ من أيّ ناحيةٍ تختلف هذه الأنواع من التعبيرات فيما يخصُّ المعنى؟ وكيف ترتبط الجملة بمعناها؟ هل المعنى هو نفس الجملة، أم شيءٌ آخر مجرَّد؟ هل يمكن للجُمَل المختلفة أن تعبِّر عن نفس المعنى؟ وما هو المعنى؟ هل المعاني أشياء من البدء؟ وكيف يرتبط المعنى بالصحّة؟ هل ما نقول أنَّه «صحيح» (true) يعتمد على ما نَعْنيه، وبذلك يكون المعنى مرتبطًا بعُمق بـ«الصحة» (truth)[1]؟ وكيف نفهم مفهوم الصحة؟ ما العلاقة بين ما تعنيه الجملة وما يعنيه الإنسان حين يقول تلك الجملة؟ إن هذه الأسئلة هي الأسئلة الخاصّة بفلسفة اللغة، وسنُطارح في هذا الكتاب تلك الأسئلة من خلال استعراض ما قاله أعظم فلاسفة اللغة في هذا المضمار، مبتدئينَ بأعظمهم على الإطلاق: «غوتلوب فريغه» (Gottlob Frege)[2].

تُعَدُّ مقالة فريغه «عن المعنى والإحالة» (On Sense and Reference) المنشورة عام 1892م نقطة انطلاق الفلسفة الحديثة للغة، إذْ صاغت هذا المجال منذ نشْرِها. لذلك، يتعيَّن علينا أنْ نُولِيَ محتواها اهتمامًا خاصًا بالعودة إليها في الفصول القادمة. وقبل الدخول في مناقشة مُفصَّلة لهذه المقالة، من المهم أن نُلِمَّ بمفهومين: «الجُمَل» (sentences) و«المضامين» (propositions). المضمون هو ما يُعبَّرُ عنه بجملة، وهذا المضمون الذي يُعبَّر عنه بجملةٍ يُشَكِّل معنى الجملة. لذلك، يكون من الممكن لجملتين مختلفتين أن تُعبِّرا عن نفس المضمون. فأيّ جملتين مترادفتين ستعبّران عن نفس المضمون، وقد تختلف الجُمَل من حيث الكلمات المكوِّنة لها، وتكون مترادفةً لها نفس المعنى، وبالتالي تعبّر عن نفس المضمون. يمكن للجملتين التاليتين توضيح هذه النقطة:

1. جون أعزب (John is a bachelor).
2. جون ذكَرٌ غير متزوّج (John is an unmarried male).

إن العبارتين «أعزب» (bachelor) و«ذكَرٌ غير متزوّج» (unmarried male) مترادفتان، أيّ إنّهما بنفس المعنى؛ لذلك عبّرت هاتان الجملتان عن نفس المضمون. فنحن إزاء جملتين إنغليزيّتين مختلفتين وغير متشابهتين عبَّرتا عن نفس المضمون. يمكن أيضًا لجملتين من لغتين مختلفتين تمامًا أنْ تعبِّرا عن نفس المضمون ولتنظر إلى الجملتين المترادفتين التاليتين من لغتين مختلفتين: اللغة الفرنسية واللغة الإنغليزية]على التوالي[:

3. الثلج أبيض (La neige est blanche)
4. الثلج أبيض (Snow is white)

على الرغم من أنّ الجملتين]أعلاه[تتشكّلان من كلمات مختلفة في لغتين مختلفتين، لا تزالان بنفس المعنى وتعبّران عن نفس المضمون.

بهذا الفهم لعلاقة الجُمَل بالمضامين، يمكننا الآن أن نتساءل عن تعريف «الجملة» (sentence). فالجملة عبارة عن مجموعة من

«الأشكال» (shapes) أو «العلامات» (signs) أو «الإشارات الصوتية» (acoustic signals). فالأشكال المتنوِّعة والخاصة بالحروف على الورق والإشارات الصوتية في الهواء تتوافق مع نفس المضمون. لذلك، [يمكن القول أنَّ] المضامين تختلف كثيرًا عن الجُمَل، فهي «تجريديّة» (abstract) أكثر من كونها «ماديّة» (physical). فالجملة هي العربة الملحوظة التي تعبِّر عن مضمون، والتي يمكن أن يقولها شخص. فحين تقول جملة كـ «الثلج أبيض»، فإنك تقدِّم «بيانًا» (statement). والبيان علاقة بين ثلاثة أشياء: المتحدِّث والجملة والمضمون. فحين يتحدّث شخصٌ، فإنه يقول جملة معينة وبهذا القول يقدِّم بيانًا معيّنًا. فحين يقول رجلٌ فرنسيٌّ جملةَ (La neige est blanche)، فإنه يقول لنا أنَّ «الثلج أبيض»، وإن لم يَقُلْ الجملة الإنغليزية. لذلك، ما دامت جملة (La neige est blanche) مترادفةً مع الجملة الإنغليزية (snow is white)، فهما تعبّران عن نفس المضمون. فيُمكِن لجملةٍ في لغةٍ ما أن تُقرّر نفس المضمون المعبَّر عنه من قِبَل شخصٍ يقدّم نفس البيان باستخدام لغة مختلفة. فالجُمَل والمقولات والمضامين مترابطةٌ منهجيًا، مع إنها ليست شيئًا واحدًا. فالجملة سلسلةٌ ماديةٌ، والبيان نشاطٌ بشريٌّ، والمضمون معنًى مجرَدٌ.

1.2 التطابق

في مقالته «عن المعنى والإحالة»، اهتمَّ فريغه بالعلاقة بين الجملة والمضمون الذي تعبِّر عنه، كما اهتمَّ بايجاد إجاباتٍ على الأسئلة التالية: ما هي بالضبط العلاقة بين الجملة والمضمون الذي تعبِّر عنه؟ ومتى يكون المضمون هو نفس مضمونٍ آخر يتمَ التعبير عنه بجملةٍ مختلفةٍ؟ وما الذي يُشكِّل المضمون؟ وما معنى الكلمة؟ لقد شغَلَتْ هذه الأسئلة فريغه فظلَّ يتساءل كيف تكون الجملة -كمجموعة مرتَّبَة من الأشكال والسلاسل الصوتية- ذاتَ معنًى؟ بعبارةٍ أخرى، علينا أن نهتمَ بالجُمَل ومعانيها. كيف يمكنها أن تخبرنا بأشياء حول العالم؟ وما هو ذلك الشيء المسمّى «معنى»؟ لقد ناقَشَتْ مقالة فريغه هذه الأسئلة بطريقةٍ غير مباشرة، فهي تحتوي على غموضٍ نادرٍ لم يَشْرَحْهُ الشارِحون لمقالَتِه، إذْ هو غموضٌ من الصعب تفسيرُهُ. وفيما يلي سنشرح ونوضِّح هذا

الغموض في مقالته، ولنبدأ أوّلًا بالنظر في افتتاحية «عن المعنى والإحالة»:

> يطرح «التساوي» (equality) أسئلةً صعبةً ليس من السهل الإجابة عليها جميعًا. هل هو علاقة؟ علاقة بين الأشياء، أو بين الأسماء أو علامات الأشياء؟ لقد افترضتُ الأمرَ الأخيرَ، في كتابي «**كتابة المفاهيم**» (Begriffsschrift)[3].

على الرغم من أن فريغه لم يكن واضحًا بشأن ما يعنيه بكلمة «التساوي» (equality)، إلا أنه يستخدِم ذلك المصطلح بالمعنى الرياضي (لا المعنى الاجتماعي!). فيمكن توضيح فكرة «التساوي» بالجملة الرياضية: «4x5=20». يستخدم الفلاسفة المعاصرون مصطلح «التطابق» (identity) بدلًا من «التساوي» (equality). فيمكن توصيف مثال «4x5=20» على أنه جملةُ تطابُقٍ، إذْ تؤكِّد أنَّ العدد 4x5 متطابقٌ مع العدد 20. ففريغه يقصد جُمَل التطابُق هذه عندما يستخدم مصطلح «التساوي».

كما يمكن أن يمتد «التطابق» إلى حالاتٍ رياضيةٍ أخرى. فثمّة أمور قليلة لم يذْكُرها فريغه عن التطابق. فالفلاسفة يفرّقون غالبًا بين «التطابق العددي» (numerical identity) و«التطابق الكيفي» (qualitative identity). يحدث التطابق الكيفي حين يكون شيئان اثنان متشابِهَيْن تمامًا. على سبيل المثال، يمكن القول أنَّ أيَّ سيارتين تأتيان من نفس خطِّ التجميع ولهما نفس اللون... إلخ، متطابقتان كيفيًّا. مع ذلك، لا يهتمَ فريغه بغير التطابق العددي، والتطابق العددي هو علاقة الشيء مع نفسه. فالعلاقة علاقة بدائيّة وتافِهَة للغاية: فكل شيءٍ له «علاقة تطابق» (a relation of identity) مع نفسه. أضِفْ إلى ذلك، أنه لا يمكن الحصول على «تطابق عددي» بين شيءٍ وآخَر، حتى وإن كان الشيئان متطابقَيْن كيفيًّا. مثلًا، لا يملك التوأمان علاقة تطابقٍ عدديٍّ مع بعضهما البعض. تلك العلاقة من التطابق العدديّ تكون فقط بين أحد التوأمين ونفسه.

يمكننا الآن أن نتأمّل السؤالَ التالي: هل التطابق علاقة؟ ثمّة أنواعٌ كثيرةٌ من العلاقات: ما تبقّى من، أكبر من، ينتمي لحزب سياسي، أو يعيش في مكانٍ معينٍ. كل هذه الأمثلة توضِّح علاقةً غير تافهةٍ، إذْ تُخْبِرُنا عن شيءٍ جوهريٍّ من الواقع. مع ذلك، يُقال في حالة التطابق إن العلاقة بين الشيء ونفسه علاقةٌ تافهةٌ ولا تُعطي معلوماتٍ جوهريةً، فهي حشوٌ فقط. يواصِل فريغه شرحَهُ للتطابق في المقطع التالي فيقول:

> إن الأسباب التي يبدو أنها تفضِّل هذا هي التالي: أ=أ وأ=ب تَبْدوان بوضوحٍ جملتين لهما قيمة معرفية مختلفة؛ فـ[جملة] أ=أ تؤكّد أمرًا بديهيًا، ويمكن تسميتُها -وفقًا لـ«كَنتْ» (Kant)– بـ«التحليلية» (analytic)، بينما الجملة ذات صيغة أ=ب غالبًا ما تحوي امتداداتٍ قيّمةً جدًا لمعرفتنا ولا يمكن أن تؤسِّس أمرًا بديهيًّا. فمن أكثر الاكتشافات الفلكيّة ثراءً اكتشاف أن الشمس المُشْرِقَة ليست شمسًا جديدةً كلَّ صباح، بل هي نفس الشمس دائمًا. فإلى اليوم، لا يكون التعرُّف على كوكبٍ صغيرٍ أو مُذَنَّبٍ مسألةَ مسارٍ فحسْب[4].

في النصّ أعلاه، يهتمّ فريغه بالجُمَل التي تحدِّد «الأشياء» (objects)، ويُعطيَ أيَّ «جملة تطابق» تستخدم أسماء مختلفة هذه الصيغة: «أ=ب» (أ متطابق مع ب). فثمّة شيءٌ واحدٌ نُحيلُ إليه باسْمَيْن: «أ» و«ب». للتوضيح، لنفترض أنَّ «أ» هو «4x5» و«ب» هو «20». إننا هنا نُحيلُ إلى الشيء، الذي هو رقم، بالعدد «20»، وأيضًا بالتعبير «4x5»، وبالتالي شكّلنا جملةَ تطابقٍ متماثلةً. فأيّ اسْمَيْن يُحيلان إلى نفس الشيء يُنْتِجان جملةَ تطابقٍ صحيحةً عندما يُكْتَبَانَّ ويحملان إشارة «=» بينهما. في المقابل، إذا لم يَدُلّ «ب» على شيءٍ متطابقٍ مع ما يَدُلُّ عليه «ب»، فإننا نُنْتج جملةً تطابقٍ خاطئةً.

إن جوهر فكرة فريغه هنا أنه ظنَّ، إنَّ تأليفِهِ لكتاب «**كتابة المفاهيم**»، أنَّه حين يصوغ جملة كـ «أ=ب» فإن العلاقة المعبّر عنها بـ«=» هي علاقة بين الأسماء نفسها. وفي هذه الحالة، ستكون الجملة بالفعل عن الأسماء «أ» و«ب»، لا بين الشيئين الذين يُحيلان لهما [الاسمان] «أ» و«ب». فأسماء الأشياء في الواقع منفصِلَةٌ عن الأشياء التي تُعيّنُها. ففي

أيام تأليف فريغه لكتابِه «**كتابة المفاهيم**»، كان يظن أنَّه حين يصوغ جملةً تطابقٍ، فإنه معنيٌّ بالأسماء في تلك الجملة وذلك بحكم نظرة بديلة تقود إلى هذا العبث:

> إذا نظرنا الآن إلى التساوي كعلاقة بين الشيئين اللذين يُعيّنهما الاسمان «أ» و«ب»، سيبدو أنَّ «أ=ب» لا تختلف عن «أ=أ» (أي بشرط أنَّ أ=ب جملة صحيحة). بهذا سيُعبّر عن تلك العلاقة كعلاقة بين شيءٍ ونفسه، وهي بالفعل علاقة يكون فيها كل شيء معبّرًا عن نفسه لا مع شيء آخر[5].

يبدو أنَّ استخدام علامة «=» يكون لصُنْع علاقة بين الأشياء، لا الأسماء، وبهذا ستعبِّر جملة «أ=ب» عن نفس المضمون الذي تعبِّر عنه جملة «أ=أ»، ولنشرح هذه النقطة بتفصيلٍ أوضح، مستخدِمين الاسمين التالين كمثال: «هيسپيروس» (Hesperus) و«فوسفوروس» (Phosphorus). يُعدُّ كوكبُ الزهرة أوّل الكواكب التي تظهر في المساء، وقد كان القدماء يطلقون عليه اسم «هيسپيروس». واسم هيسپيروس «اسم علم» (proper name) يصف كوكب الزهرة، ويوافق الوصف المعرّف لـ«نجمة المساء» (the evening star) (سنناقش «الأوصاف المعرّفة» (definite descriptions) بتفصيلٍ أوسع في الفصل الثالث). بهذا سنكون قد أحلنا إلى كوكب الزهرة باستخدام اسم هيسپيروس، ونحن نعرف الآن أنَّ هيسپيروس يُحيل بالفعل إلى كوكب الزهرة مع استيعابنا للتقدُّمات الحديثة التي حدثت في علم الفلك والتي لم يبْلُغْها القدماء. لقد كان القدماء لا يعرفون اسم «كوكب الزهرة»، ولا يعرفون ما إذا كانت «الزهرة» كوكبًا أمْ نجمة. لذلك، سمّى القدماء نفس الجِرْم السماويّ الذي يظهر أيضًا في الصباح باسم «فوسفوروس، جالب النور». يوضّح فريغه هنا أنَّ التسميتين المختلفتين تُحيلان في الواقع إلى نفس الشيء. ففي المثال السابق، يُحيل الاسمان المختلفان، هيسپيروس وفوسفوروس، إلى نفس الجِرْم السماويّ في الواقع: كوكب الزهرة. فكوكب الزهرة يظهر مرةً مساءً، ومرةً صباحًا ولم يكن القدماء يعلمون أنهم يُعطون اسمين لنفس الكوكب. لذلك يُمْكِنُنا القول أنَّ هيسپيروس متطابقٌ مع فوسفوروس، مقدِّمين اكتشافًا فلكيًّا كبيرًا. وبلا شك لم يكن

بإمكان البابليين القدماء التأكيد على أن هيسپيروس متطابقٌ مع فوسفوروس، بل لم يكن لديهم سببٌ لاعتقاد ذلك، فقد كانوا يجهلون هذا التطابق.

يوضِّح مثال هيسپيروس وفوسفوروس النقطة التالية: ثمّة الكثير من الحالات يُعطَى فيها الشيء الواحد اسمًا في وقتٍ، ويُعطى اسمًا آخر في وقتٍ وسياقٍ مختلفين، دون الانتباه إلى تسميَة الشيء مرّتين. وحين يُكشف التطابق، يكون ما يتعلَّمُه المُلاحِظ من خلال حدْسِهِ هو أن لشيءٍ واحدٍ ظهرين، وبالتالي فإن «أ=ب». فحين يتوافق الظهوران المختلفان مع الشيء نفسه، تَنْتُجُ معرفةُ تطابقٍ كبيرةٌ. وفي تلك الحالة، تشكّل حالة «أ=ب» جملة تطابق «تثقيفية» (informative)، فيها عبّرنا عن مضمونٍ ليس تافهًا بل يُعطينا معرفةً دقيقةً عن الواقع. أما جملة التطابق بصيغة «أ=أ» (هيسپيروس هو هيسپيروس)، فليست مضمونًا تثقيفيًّا (informative proposition)، بل حشوًا بكل بساطة. فيمكن للتطابق العددي -أيّ تطابُق عدديّ- أن يتمّ دون أيّ ملاحظات تجريبية عن العالم تمامًا. ففي مثال «هيسپيروس»، يستطيع الشخص حين يسمع اسم «هيسپيروس» أن يعرف دون أيّ ملاحظة أنَّ جملة «هيسپيروس هو هيسپيروس» هي جملة صحيحة. ولكن لن يعرف أنَّ جملة «هيسپيروس هو فوسفوروس» صحيحة، فتلك جملة تثقيفية على عكس الجملة السابقة. بالتالي، تكون]جملة[«هيسپيروس هو فوسفوروس» ذات محتوى تجريبيٍّ، وبهذا تكون «تأليفية/تركيبية» synthetic (بحسب كَنْت)، بينما تكون]جملة[«هيسپيروس هو هيسپيروس» تحليليةً (analytic)، أو «حشوية» (tautological)، وهي دومًا صحيحة بالنظر في معناها. فيمكن القول أنَّ]جملة[«أ=أ» تعبّر عن «مضمونٍ بديهيٍّ تحليليّ» (analytic priori proposition)، بينما تعبِّر]جملة[«أ=ب» عن «مضمون تأليفي/تركيبيّ غير بديهيّ» (synthetic, posteriori proposition).

في المقاطع أعلاه من مقالة «عن المعنى والإحالة»، يشرح فريغه كيف أنَّ هذين المضمونين (المعبَّر عنهما بـ«أ=أ» و«أ=ب») مختلفان تمامًا. فربما كان الناس في وقتٍ مضى يرون جِرمًا سماويًّا ناريًّا مختلفًا يظهر كل صباح

في السماء، فحين اكتشفوا أنَّ ذلك الجِرْم السماويّ -المُسَمّى الشمس- هو نفس الجِرْم الذي يظهر في الصباح في السماء، وجدوا في ذلك اكتشافًا تجريبيًّا مُذهِلًا. فنحن نعرف أنَّ له نفس الظهور، ولكن التشابه في الظهور لا يقتضي أنه نفس الجِرْم بالتحديد. هنا يطرح فريغه السؤال التالي: إذا كان «التساوي» علاقةً بين الشيء ونفسه، فكيف يكون ثمّة اختلافٌ بين المضمونين اللذين يُعَبّر عنهما بـ«أ=أ» و«أ=ب»؟ ألا يُمْكِنُهما أنْ يقولا نفس الشيء، أي إنَّ الشيء متطابقٌ مع نفسِه؟ بعبارةٍ أخرى، ألا يمكن لجملة «أ=ب» أن تعبِّرَ عن نفس الشيء الذي تعبِّر عنه جملة «أ=أ»؟ أليس من الأفضل أن نفترض أنّ التطابق هو في الواقع علاقة بين الاسمين نفسيهما، كونهما مختلفين بصورة واضحة؟

تعبِّر الجملة «أ=أ» عن المضمون القائل أنَّ «أ» متطابقٌ مع نفسه، لذلك تُعَدُّ الجملة «أ متطابقٌ مع نفسه» تحليلية وبديهية. مع ذلك، من المُحال أنْ نقول أنَّ جملة «أ=ب» تُعطينا نفس المضمون الذي تُعطينا إيّاه جملة «أ=أ». فكما قلنا سابقًا، يمكن الجزم أنَّ الشيء المُسمَّى متطابقٌ مع نفسه، بمجرد معرفة اسْمِه. فقد كان القدماء يعرفون أنَّ هيسپيروس متطابقٌ مع هيسپيروس، وأنَّ فوسفوروس متطابقٌ مع فوسفوروس، لكنهم لم يعرفوا أنَّ هيسپيروس متطابقٌ مع فوسفوروس. فيبدو أنَّ الافتراض القائل أنَّ التطابُق علاقةٌ بين الشيء ونفسه يقود إلى تناقضٍ حين نفكِّر في مضامين التطابق. لذلك، ظنَّ فريغه حين ألَّفَ كتابَهُ «**كتابة المفاهيم**» أنَّ التطابق لا يمكن أن يكون علاقةً بين الشيء ونفْسِه. ولتفادي هذا التناقض، يتعيّن على الجملتين المختلفتين أن تُخبِرانا عن مضامين مختلفة، ولكن كيف يمكن أنْ يتمَّ ذلك؟

في الواقع، يمكن قولُ شيءٍ مختلفٍ عن الحالتين إذا كان التطابق علاقةً بين الأسماء لا الأشياء. فجملة «أ=أ» تُخْبِرُنا أنَّ الاسم «أ» يُحيل إلى نفس الشيء الذي يُحيل إليه الاسم «أ». في المقابل، تخبرنا جملة «أ=ب» أنَّ الاسم «أ» يُحيل إلى نفس الشيء الذي يُحيلُ إليه الاسم «ب». ولسنا مهتمّين هنا بالأشياء نفسها ولكن بأسمائها. فإن كنا حقًّا نتكلّم عن الأسماء، فيمكننا الآن رؤية كيف أنّ الجملتين تُنْتِجان مضمونين مختلفين. لماذا؟ لأن «أ=أ» تحتوي على الاسم «أ» وفقط الاسم «أ»، بينما

«أ=ب» تحتوي الاسم «أ» والاسم «ب» أيضًا. إذن، تُحيل الجملة الثانية إلى شيءٍ لا تُحيل إليه الجملة الأولى، وهو الاسم «ب»، فهي تحوي الاسم «ب»، وعلى الجملة أن تُحيل إلى ذلك الاسم وفقًا لهذا التحليل. يوضِّح لنا هذا الشرح كيف يمكن لجملتين أنْ تعبّرا عن مضمونين مختلفين: فالجملتان تُعَبِّران عن شيئين مختلفين لأنهما بالفعل معنيّتان بالأسماء لا الأشياء. فالمضمون الأول معنيٌّ بالاسم «أ»، بينما المضمون الآخر معنيٌّ بالاسمين «أ» و«ب». وهذه الطريقة طريقةٌ طبيعيةٌ للتفكير في جُمَل التطابق: فجملة التطابق تقول أنَّ اسمًا مُعيّنًا يُحيل إلى نفس الشيء الذي يُحيل إليه اسمٌ آخر، ولا تقول أنَّ شيئًا واحدًا متطابقٌ مع نفسه.

كما أنه ليس من المعتاد أنَّ الجُمَل التي تحوي أسماءً هي عن تلك الأسماء. ففي الواقع، لا علاقة للجُمَل بالأسماء على الإطلاق. ولتتأمّل جملةً يقول فيها شخصٌ «هيسپيروس مشرِقٌ»، فهو هنا لا يبدو متحدِّثًا عن اسم «هيسپيروس»، بل يتحدّث عن الكوكب، أي عن كوكب الزهرة، ويقول أنَّه مشرِقٌ. إنه لا يقول أنَّ «اسم هيسپيروس» مشرِقٌ. يمكن بلا شكٍّ قَوْل «اسم هيسپيروس مشْرِقٌ» (ولكن حين يُكْتَب اسم هيسپيروس كعلامة نيون). باختصار، حين يقول شخصٌ «هيسپيروس مشرِقٌ»، فلا يتحدث هنا عن «اسم هيسپيروس». فنحن في الغالب لا نتحدّث عن كلماتنا، ولكننا نستخدم كلماتنا لنتكلّم عن أشياءَ أخرى.

لاحِظْ أنَّ ثمّةً فرقًا كبيرًا بين اسمٍ يقع في جملة عادية تُحيل إلى حامل الاسم، واسم يقَع بين علامتي تنصيص في جملةٍ ويُحيل إلى ذلك الاسم. وعمومًا، لا تُحيل الجُمَل التي تتضمَّن اسمًا إلى ذلك الاسم. فالزعم القائل أنَّ جملة تطابق من قبيل «هيسپيروس متطابقٌ مع فوسفوروس» تُحيل إلى الأسماء يدفعنا إلى مراجعة تلك الجملة. فالمتحدِّث يريد من تلك الجملة أن يُحيلَ إلى كوكب الزهرة، ولا يريد منها أن يُحيل إلى أسماء ذلك الجِرْم أبدًا. وهذا ما يُسَمَّى أحيانًا بـ«التفرقة بين الذِّكْر والاستخدام» (use-mention distinction): فنحن نستخدم الاسم لنَذْكُر شيئًا معيّنًا، ولا نستخدم الاسم لنَذْكُر الاسمَ نفسَهُ، ما لمْ نُرِدْ التعبيرَ والحديثَ عن الكلمات لا الأشياء.

يرى فريغه، عطفًا على كلامه في كتابه «**كتابة المفاهيم**»، أنَّهُ كان مخطئًا حين ظَنَّ أنَّ التطابق علاقةٌ بين الأسماء، ولذلك أوضَحَ هذه النقطة في المقطع التالي:

> يبدو أنَّ ما يُقصَد به من «أ=ب» هو أنَّ هاتين العلامتين أو هذين الاسمين «أ» و«ب» يُعيِّنان الشيءَ نفسَهُ، وبالتالي تكون هاتان العلامتان مستحقَّتين للنقاش؛ إذ سيتمّ التأكيد على علاقةٍ بينهما. ومع ذلك، تظلّ هذه العلاقة قائمةً بين الاسمين والعلامتين بقدْرِ ما يُسَمّي ذينِكَ الاسمان والعلامتان شيئًا ما أو يُعيِّناه. فيمكن التوسُّط بينهما من خلال ربط كلٍّ من هاتين العلامتين مع الشيء المعيَّن نفسه، مع إنَّ هذا أمرٌ اعتباطيٌّ. فلا يمكن منْعُ أيِّ شخصٍ من استخدام الأشياء أو الأحداث التي يمكن إنتاجُها بصورةٍ تعسُّفيّةٍ كعلامةٍ على شيءٍ معيّن. ففي تلك الحالة، لن تُحيل الجملة «أ=ب» إلى «مدار الموضوع» (subject matter) نفسه، ولكن إلى «طريقة تعيينه» (mode of designation). فلن نعبِّر عن معرفة مناسبة بوسائلها. ولكن في أغلب الحالات، هذا ما نريدُ فِعْلَهُ[6].

لقد حاول فريغه أن يتفادى هذه المشكلة فافترضَ أنَّ التطابق علاقة بين الشيء وذاته بهدف أن يجعل مضامين التطابق تافهةً. وقد كان هدَفُه من إدخال الأسماء في المسألة حلَّ هذه المشكلة. فيريد من عبارة «طريقة التعيين» (mode of designation) بالنَّصّ أعلاه تضمينَ الأسماء نفسها، مع إنَّ الجملة بذلك ستُحيل إلى طريقة التعيين وليس إلى حالة الأمور في العالم، وستصبح طريقة التعيين ما يسمّيه هنا «مدار الموضوع» الخاص بالجملة. يرفض فريغه هذا الأمر، لأننا بذلك لن نعبّر عمّا يسمّيه «معرفة سليمة» (proper knowledge)، وسيستغرب القارئ ممّا يقصده فريغه من عبارة «المعرفة السليمة». فمعرفة أنَّ «هيسبيروس هو فوسفوروس» تعني معرفتنا لشيء عظيم تجريبيّ وغير بديهيّ. ولكن ما المضمون الذي تعلّمناه هنا؟ إنه بالطبع ليس المضمون القائل أنَّ «أ» متطابق مع «أ»، ولكنه المضمون القائل أنَّ الاسم «أ» يعني نفس الشيء الذي يعنيه الاسم «ب»، وفقًا للنظرية السابقة. مع ذلك، يعترض فريغه قائلًا أنَّ إحالة

اسمين إلى نفس الشيء ليس كافيًا لاكتساب «معرفة سليمة». فإنْ افترضنا أنَّ المعرفة السليمة هي المعرفة التي تتجاوز مسألة الحشو، فهل المعرفة القائلة أنَّ «أ» و«ب» يعنيان نفس الشيء تتجاوز مسألة الحشو؟ إننا، على عكس ما يفتَرِضُهُ فريغه، نتثقّف حين نعرف أنَّ اسمًا معينًا يُحيل إلى نفس الشيء الذي يُحيل إليه اسمٌ آخر، فهذا أمرٌ تثقيفيٌّ للغاية. بل سيكون من المُحال اكتساب هذه المعرفة في وقتٍ يسبق تعرُّفنا على هذه الأسماء بصورةٍ مستقلةٍ. فمن خلال معرفة الاسم «هيسپيروس»، سيعرف المرء أنَّ هيسپيروس متطابقٌ مع هيسپيروس. ولن يعرف أنَّ الاسم «هيسپيروس» يعني نفس الشيء الذي يُحيل إليه الاسم «فوسفوروس» حتى يعرف شيئًا لم يعرِفْهُ مسبقًا. فنحن نتثقّف حينما نعرف أنَّ رمزين مختلفين تمامًا يُحيلان إلى نفس الشيء. أليسَتْ هذه «معرفة سليمة»؟ إنها ليست حشوًا على الإطلاق.

مع ذلك يقترح فريغه أنّ معرفتنا أنَّ هيسپيروس هو فوسفوروس ليست معرفةً لحقيقةٍ لغويةٍ فحسْب، ولكنها فهْمٌ لشيء مهمٍ حول الواقع وحول الأشياء في العالم. فهذه الجملة تكشِف حقيقةً تجريبيّةً أصليّةً عن جِرْمَين سماويين. ونظرية فريغه السابقة لا تلتقط الحقيقة القائلة أنَّ المرء الذي يعرف الجملة قد علِمَ شيئًا عن العالم، بل تختزل الحقيقة المتعلِّمَة إلى مجرّد حقيقة لغويّة، مع إنَّ المعلومة المتعلّمة ليست لغويّةً بطبيعتِها. فلا يتعلّم المرء أنَّ الأسماء لها نفس الإحالة فقط، بل يتعلّم أنّ الظهورين يُحيلان إلى نفس الشيء. فنفس الشيء في معرفة شخصٍ ليس نفس الشيء في معرفة شخصٍ آخر يرى أنَّ اسمًا معيّنًا يُحيل إلى نفس الشيء الذي يُحيل إليه اسمٌ آخر. فذلك يعني تعلُّمَ شيءٍ عن اسمين، لا عن ظهورين. إن المعرفة الفعلية الناتجة عن جملة «هيسپيروس هو فوسفوروس» تتأتّى من فهْمِ شيءٍ تجريبيّ عن الواقع، لا شيء عن اللغة. ففكرة فريغه عن «المعرفة السليمة» أنها معرفة عن العالم، لا معرفة لغوية فحسب. لذلك، يرفض النظرية اللغوية لمحتوى جمل التطابق، بالإضافة إلى «نظرية الأشياء البسيطة» (simple object theory)، تلك النظرية التي تقول أنَّ جُمَل التطابق معنيّة بالأشياء فقط، لا المكوّنات اللغوية.

1.3 آليات إضافية

لالتقاط ما يمكن التقاطُه حين يتعلّم شخصٌ ما أنَّ [جملة] «أ=ب» صحيحة، نحتاج إلى تحليلٍ آخر لذلك المضمون المعبَّر عنه بتلك الجملة. فحتى الآن، رأينا أنَّ جملة «أ=ب» تعبِّر عن مضمونين:

1. أ=أ (الشيء متطابِقٌ مع نفسه).
2. «أ» يدلُّ على نفس الشيء الذي يدلُّ عليه «ب».

يمكن للإنسان أن يعرف هذين المضمومين، ولكنه لا يتعلّمهما من المضمون الذي تعبِّر عنه جملة «أ=ب». وقد يبدو أننا استنفدنا كل الاحتمالات في هذا الشأن. فإن كان كذلك، فنحن إزاء مشكلة منطقية كبرى فهذا يعني أننا لا نستطيع شرحَ جُمَلِ التطابق البسيطة من قبيل «2+2=4». هذه المشكلة المنطقية هي التي حمّلت فريغه بمهمّة تفسير شيءٍ يبدو غير قابلٍ للتفسير.

ولذلك، كان هدف مقالة «عن المعنى والإحالة» استحضار آليّةٍ إضافيةٍ لتفسير معنى «أ=ب» بما يتعدَّى ما تكلّمنا عنه حتى الآن:

> إذا كانت علامة «أ» مميّزة عن علامة «ب» كشيئين (هنا، من خلال شكْلِهما) وليس كعلامتين (أي، ليس بالطريقة التي تُعيّن الأشياء)، فإن القيمة المعرفية لـ]جملة[«أ=أ» تكون متساويةً مع القيمة المعرفية لـ]جملة[«أ=ب»، بشرط أن تكون]جملة[«أ=ب» صحيحةً. يمكن أن ينشأ الاختلاف فقط إذا توافق الاختلاف بين العلامات مع الاختلاف في طريقة عرض ما تمَّ تعيينُه[7].

يقدّم فريغه هنا فكرة «طريقة العرض» (mode of presentation) دون تفصيلٍ وشرحٍ طويلٍ، ويقارنها بـ«طريقة التعيين» (mode of designation). تمثِّل طريقة العرض، بحسب فريغه، ما هو ضروريٌّ لمعاني الأسماء «أ» و«ب»، أمّا طريقة التعيين، فهي ببساطة كون الاسم علامة. والمطلوب بحسْبِ هذا التحليل طريقة عرض مرتبطة بالأشياء، أيْ طريقة لا يمكن تحديدُها بالأشياء نفسها أو بأسمائها. يقول فريغه:

لنفترضْ أنَّ «أ»، «ب»، «ج» هي الخطوط التي تربط رؤوس المثلث بنقاط المنتصف للأضلاع المتقابلة. ستكون نقطة تقاطع «أ» أو «ب» عندئذٍ هي نفس نقطة تقاطع «ب» و«ج». فبالتالي لدينا تعيينات مختلفة لنفس النقطة، وهذه الأسماء («نقطة التقاطع لـ أ و ب» و «نقطة التقاطع لـ ب و ج») تُحيل بالمثل إلى طريقة العرض، وبالتالي تحتوي الجملة على معرفة فعلية[8].

لشرح هذه النقطة بوضوح، يمكننا التفكير في أمثلةٍ أخرى غير هذا المثال الرياضيّ بالعودة إلى نجمة المساء ونجمة الصباح. يُحيل وصف «نجمة المساء» إلى نفس الشيء الذي يُحيل إليه وصف «نجمة الصباح»، فكلاهما هيسپيروس وفوسفوروس على التوالي. وثمّة الكثير من الأمثلة لاحتماليةٍ كهذه، حيث نجد وصفين اثنين يُحيلان لنفس الشيء، فلا يلزم أن يكون واضحًا للناس أنَّ هذه الأوصاف بالفعل تُحيل إلى نفس الشيء. كل ما يريده فريغه من قرّائِه هو أن يفهموا من خلال مثاله أنه يمكن لوصفين اثنين أنْ يُحيلا إلى شيءٍ واحدٍ، فتقاطُع خطَّين وتقاطُع خطَّين آخرين هي نفس نقطة التقاطع.

سيستنتج القارئ في هذه المرحلة وعلى نحوٍ طبيعيٍّ أنَّ طريقة العرض مرتبطةٌ بـ«الملاحظة» (perception)، فهي الطريقة التي يظهر بها الشيء بصورةٍ ملحوظةٍ، وتلك الطريقتان في العرض لشيء ما مرتبطتان بظهورين مختلفين ملحوظَيْن. فمن الطبيعي أن نفترض أنَّ الطريقتين المختلفتين اللتين يُعْرَض بهما شيءٌ على شخصٍ ما قد تُنتجان ظهورين مختلفين تمامًا لذلك الشيء ولذلك الشخص. ومن الأمثلة الشهيرة على ذلك مثال الجبل، إذ يقترب رحّالة من الجبل من ناحية الشرق، وبمجرد أن يراه يسمّيه «أتلان» (Atlan). ثم يقوم بزيارة نفس الجبل من جهة الغرب فيسمّيه «أثلا» (Athla). وسيأتي وقتٌ يعلَم فيه هذا الرحّالة أنَّه زار نفس الجبل مرّتين ولكنه رآهُ من منظورين مختلفين. كل هذه الأمثلة تشرح نفس فكرة «تقاطع المثلث» في مثال فريغه.

كما أضاف فريغه إلى الاسم وحامله طريقةَ عرض الحامل على الشخص الذي يستخدم الاسم، وهذا يتطلب آليات إضافية، أيْ بعض طرائق عرض لكلٍ من «أ» و«ب». لنفترض أنَّ «أ» مرتبطٌ بطريقة العرض

1 (MP1) وأنَّ «ب» مرتبطٌ بطريقة العرض 2 (MP2). يرى فريغه أنَّه إذا كانت جملة «أ=ب» صحيحةً، فهي تخبرنا أنَّ طريقة العرض 1 تقدم نفس الشيء الذي تقدّمه طريقة العرض 2. وهنا تكون طرائق العرض قد استبدلت الأسماء. فمن المفهوم تمامًا أنَّ الأسماء كلماتٌ مرتبطةٌ بطرائق العرض، ونحن نرى الآن فارقًا بين «أ=أ» و«أ=ب». فلا يوجد في جملة «أ=أ» إلا طريقة العرض 1 (MP1)، الأمر الذي يجعلها جملةً تافهةً، فيما نجد في جملة «أ=ب» طريقتين للعرض هما 1 و 2 (MP1, MP2)، وهذا يجعلها جملةً غير تافهة. فليس من التافِه أن نجِدَ شيئًا له طريقتان مختلفتان في العرض. بهذا، قام فريغه بحلّ المشكلة الناجمة من جُمَل التطابُق بالاستعانة بطرائق العرض باعتبارها العنصر المفقود.

1.4 تصور المعنى

توضِّح آخر جملة من الاقتباس أعلاه وجهَةَ نظر فريغه فيما يسمّيه بـ«المعرفة الفعليّة» (actual knowledge). وقد سبق وناقشنا كيف أن المعرفة الفعلية معرفة غير لغوية. فالأسماء بعينها ليست الأمر المهم في هذه الحالة، المهم هو إحالات تلك الأسماء وكيفية ظهورها أو «عرضها». يُتابع فريغه:

> من الطبيعيّ، الآن، أن نفكّر في أن ثمة ارتباطًا بعلامة (اسم، مجموعة كلمات، حرف)، إلى جانب ما تُحيل إليه العلامة، والذي يمكن تسميَتُه بإحالة العلامة، وأيضًا ما أحبّ تسميَتُه **معنى العلامة**، حيث يتم احتواء طريقة العرض. بناءً على ذلك، تكون الإحالة الخاصة بعبارات «نقطة التقاطع بين أ وب» و«نقطة التقاطع بين ب و ج» في مثالنا نفْس الإحالة لا المعاني. كما ستكون إحالة «نجمة المساء» نفس إحالة «نجمة الصباح» لا معناها[9].

بالإضافة إلى مصطلح «طريقة العرض»، يقدِّم فريغه الآن آليةً تنظيريةً جديدةً تسمًى «المعنى» (sense). وقد شرَحَ فريغه المعنى حتى الآن على أنَّهُ متَّصِلٌ بطريقة العرض للإحالة. بالتالي، يكون للأسماء «أ» و «ب» في جملة «أ=ب» نفس الإحالة لا نفس المعنى. فلا يكفي النظر في الجملة نفسها أو في إحالات الكلمات بها لشرح المضمون المعبَّر عنه بجملة، فلن

يتمّ الشرح إلا بالاقرار بمستوى آخر من المعرفة الدلالية، وهو مستوى المعنى. فكما أنّ لأيّ تعبير في أيّ لغة إحالة، فإنّ له معنًى أيضًا.

في هذه المرحلة، يؤكّد فريغه أنَّ معنى الاسم لا يمكن شرْحُه فقط من خلال إحالته، بل يجب تعيين طريقة عرض خاصة بإحالة الاسم، فطريقة العرض الخاصة بالإحالة توضِّح التعريف الصحيح للاسم. فعلى الرغم من أن الاسم يُحيلُ إلى شيءٍ في العالم، إلا أنَّ معنى الاسم الحقيقيّ يأتي من طريقة عرْضِه لا مما يُحيل إليه. بهذا، يوضِّح لنا فريغه أنَّ نظرية اللغة لا يمكن أن تكون مجرد إحالة فحسب، بل يجب أن تحوي معنى وإحالة.

لا تزال كلمة «معنى» مجرد وصفٍ إلى الآن، مع إنَّ فريغه قد مهَّدَ لهذا المصطلح كآليةٍ للتمييز بين الأسماء المختلفة، لا سيّما وقد أوضحنا أنَّه لا يمكن للإحالة ولا الأسماء نفسها أن تلعب هذا الدور. فالمعنى يفسّر الفروقات المعرفية بين الأسماء، ولكن ماذا نقصد بالمعنى؟ بالنظر في مثال المثلث، نجد فريغه يستخدم عبارة «طريقة العرض». وبالتالي، فمن الطبيعي أن يفترض فريغه أنَّ طريقة العرض فكرة ملحوظة أو سيكولوجية، فمن الممكن أن ترى شيئًا من زوايا ومنظورات مختلفة ولا تدرك أنَّك ترى الشيء نفسه. يُمكن أن نُعمّم فكرة المعنى بما يتجاوز ما تحدّثنا عنه من خلال أمثلة هيسپيروس وفوسفوروس أو مثال المثلث عند فريغه. فيبدو «المعنى»، من خلال أمثلتنا وأمثلته، ذا علاقةٍ بالمنظور الملاحَظي، أيْ طريقة النظر. لاحِظْ من المقطع السابق أنَّ فريغه لا يقول إنَّ المعنى متطابقٌ مع طريقة العرض، ولكنه يقول إنَّ المعنى يحتوي طريقة العرض. بعبارةٍ أدقّ، يقدّم فريغه مستويين إضافيين للمعنى: المعنى وطريقة العرض، حيث يحتوي الأول الآخر.

لا يمكن أن نعدَّ كل تعبير لغوي يُعيِّن شيئًا «اسم علم» (proper name)، فعادةً ما يكون اسم العَلَم اسمًا عاديًا كـ«تشارلز ديكنز». مع ذلك، يُدْخِل فريغه تعابير أخرى تحت صنف «اسم العلم»، مع إنها تعابير لا تُعَدُّ غالبًا أسماء علم. فمثلًا يَعُدُّ فريغه تعبير «رئيس الولايات المتحدة عام 2012م» اسمَ عَلَم، كونه يُعيِّن شخصًا معيّنًا هو باراك أوباما، مع إن هذه التعابير تسمَّى في الغالب بـ«أوصاف معرّفة» (definite

descriptions). يرى فريغه أنَّ الأوصاف المعرّفة أسماء علم، وأنَّ لكلٍ من أسماء العلم والأوصاف المعرّفة معنى وإحالة. وسنرى، في الفصل الثالث، كيف أوضَحَ «برتراند رَسل» (Bertrand Russel) أنَّ الأوصاف المعرّفة ليست أسماء عَلَم على الإطلاق، فأسماء العَلَم مختلفةٌ تمامًا عن الأوصاف المعرّفة من الناحية المنطقية. مع هذا، يفترض فريغه في مقالته أنَّ أسماء العَلَم والأوصاف المعرّفة نفس الشيء من الناحية المنطقية.

إنَّ نقطة فريغه الرئيسية هي أنّ لكل تعبيرٍ من هذين الصنفين -أسماء العَلَم المألوفة والأوصاف المعرَّفَة- معنى وإحالة، كما إنَّ المعنى هو الذي يحتوي «قيمة تثقيفية» (informative value) لجُمَل التطابُق التي تحوي أسماء العَلَم هذه. ويوضِّح فريغه هذه الفكرة في المقطع التالي:

> الواضح من السياق أنَّه من خلال «العلامة» (sign) و«الاسم» (name)، قد فهِمْتُ هنا أنَّ أيَّ تعيين يُمَثِّل اسمَ عَلَم يأخذ كإحالةٍ شيئًا معرّفًا (definite object) (وأستخدم هذه الكلمة في نطاقها الواسع)، لا مفهوم أو علاقة مما سيتمّ نقاشُهُ بتفصيلٍ في مقالةٍ أخرى. فقد يتشكّل تعيينُ شيءٍ واحدٍ من كلمات عدة أو من علامات أخرى. فلنفترض للاختصار أنَّ كلَّ تعيينٍ اسمُ عَلَم. فيمكن فهْمُ معنى اسم العلم من قِبَل أيّ شخصٍ مُلِمٍّ باللغة بصورة كافية أو بمجمل التعيينات التي يرتبط بها اسم العَلَم؛ ولكنَّ هذا يُساعِد في إضاءة جانبٍ وحيدٍ من الإحالة، بافتراض أن لها جانبًا واحدًا. فلا يمكن تحصيل معرفة شاملة بالإحالة[10].

يهتم فريغه هنا بحقيقة أن الأشخاص الذين يفهمون لغةً معينةً سيفهمون معاني الأسماء في تلك اللغة. بالتالي ثمة علاقة بين المعنى والفهم، فأيّ شخص يفهم المعنى سيفهم المعنى للأسماء في اللغة.

وسيساعدنا فحصنا الدقيق للمقطع المستشهَد به للتَّوّ في فَهْم المعنى الدقيق لمصطلح «المعنى». فمن الإشارات المهمّة لمعنى «المعنى» قول فريغه بأنَّ المعنى شيءٌ ما «يساعد في إضاءة جانب وحيد من الإحالة». من هذا نستطيع أن نستنتج أنَّ المعنى مشابهٌ لجانبٍ واحدٍ من شيءٍ. فمن الطبيعي حتى هذه المرحلة أن يفترض القارئ أنَّ المعاني أشياء مثل

المفاهيم والأفكار في عقول الناس. ولكن المقطع السابق يوضِّح أنَّ فريغه يرفض فكرة أن تكون المعاني ذهنيّةً. فإذا كان المعنى هو جانبٌ من شيءٍ ما، فلا يمكن أن يكون شيئًا في عقل الإنسان الذي يفهم التعبير بل هو جزءٌ من الشيء، وليس من الشخص الذي يلاحظه.

ومن الطرق الأخرى لتفسير «جانب الشيء» أن ننظر في المعنى على أنّه خاصية معينة يملكها شيء معين. فمثلًا، من خصائص القمر أنه مُجْذِب، ومن الواضح أن الأشياء لها خواصٌّ مختلفة، فيمكن لكثير من التعابير أن تلتصق بواحدة من هذه الخواصّ مما يجعلها مختلفةً عن الأخريات. فالمعنى بالتالي مبنيٌّ على التصاق شيء معين بخاصيّة معينة. فكما هو موضَّح من المقطع السابق، تكون طريقة العرض جانب الشيء. وهذه الجوانب موجودة بصرف النظر عمّا إذا كان ثمّة شخصٌ يعرفها، أو يُدْركها أو يستطيع القبض عليها؛ فللأشياء خواصّ وجوانب مستقلّة عن عقل الإنسان.

إنَّ من المهم في هذه المرحلة أن نلاحظ وجود خللٍ في التفسير الطبيعيّ للمعنى. خُذْ على سبيل المثال الوصف المعرّف «رئيس الولايات المتحدة». فإحالة هذا الوصف المعرّف هي شيءٌ ذو خصائص منوَّعة. وكلٌّ من هذه الخصائص التي يمْلِكُها ذلك الشيء تتوافَق مع معنى محتَمَل. ففي حالة هذا الوصف المعرَّف، تكون إحدى هذه الخصائص هي «المعنى الفعليّ» (actual sense)، لأنَّ لدينا تعبيرًا في لغتنا يعبّر عن تلك الخاصية هو «رئيس الولايات المتحدة». ذلك فيما يبدو فكرة المعنى التي عبَّر عنها فريغه حتى الآن. مع ذلك، تظل ثمّة فجوة في هذا التفسير الذي يبدو طبيعيًا. فما دمنا نعرف أنَّ المعنى يعمل على إضاءة هذا الجانب الوحيد من الإحالة، فهل يصِحّ أن نفترض أنَّ المعنى جانبٌ من الإحالة؟ لا، لأنَّ الشيء الذي يُضيء جانبًا ليس متطابقًا مع ذلك الجانب. ثمّة اختلافٌ بين المعنى وما يُضيء، والشيء الذي يُضاء، والجانب. فالشيء الذي يُضاء هو جانبٌ من الشيء، وهو خاصّيّة. والمعنى ليس متطابقًا مع الجانب، على الرغم من أنهما مترابطان. فهدف المعنى إضاءة الجانب، وأن يعبِّر عنه أو يحتويه، فالقول بأنَّهما متطابقان يعني أن نتجاهل نقطةً مهمةً في المقطع السابق.

يُعَدُّ هذا التميز مهمًّا بالنسبة لنا، لإنه إن كان المعنى متطابقًا مع الجانب، ولم يكن الجانب بنفسه «تمثيليًّا» (representational)، فسيترتَّب على ذلك ألّا يكون المعنى تمثيليًّا. من ناحية أخرى، إن كان المعنى يُضيءُ الجانب دون أن يكون متطابقًا معه، فيمكن أن يكون إذًا «كيانًا تمثيليًّا» (representational entity). بهذا التفسير، يُصْبِح المعنى شيئًا يمثِّل جانبًا من شيءٍ آخر. ومن المحتمل جدًّا أن هذا التفسير للمعنى هو التفسير الذي يسعى إليه فريغه، فالمعنى شيء يمثّل جانبًا من شيء آخر. فإن حاولنا أن نحلِّل تعبير «رئيس الولايات المتحدة»، سيكون علينا أن نتحقّق من أربعة مستويات: (i) التعبير اللغوي، و(ii) المعنى الذي يضيء الجانب، و(iii) الجانب الذي يُضاء من قِبَل المعنى، و(iv) الإحالة، أيْ الشيء. بل يمكن في الواقع أن نجد خمسة مستويات بحسب نظرية فريغه إنْ أردْنا الدِّقَة، فثمّة أيضًا فكرة «طريقة العرض»، والتي يتمّ احتواؤها من قِبَل المعنى دون أن تكون متطابقةً مع المعنى، إذ تعْمَل على تقديم جانب من جوانب الإحالة. فالاسم يُعبّر عن المعنى الذي يحوي طريقة العرض، والتي بدورها تُضيء الجانب الذي يمتَلِكُه الشيء المُحال إليه.

تنشأ عدة أسئلة من احتمالية حدوث انتكاسة تفسيريّة لمحاولة فَهْم كيفيّة عمل الإحالة. فإذا كنا نرى أنَّ المعنى يُحيل إلى جانب، فإنّ فكرة الإحالة مفترَضَةٌ مُسبقًا من قبل النظرية بدلًا من أن تكون مشروحةً من قبلها. فمن المهم إنْ كنّا نعتقد أنَّ المعنى يمثِّل شيئًا وأنَّ «التمثيل» (representation) هو شكلٌ من أشكال الإحالة، أن نقدِّمَ نظريةً خاصةً بالإحالة إلى الجوانب قبل أن نفْهَمَ الإحالة إلى الأشياء. فإن كانت العلاقة بين المعنى والجانب علاقةَ تمثيلٍ، فنتساءل عمّا إذا كان ثمّة معنى آخر يتوسّط علاقة الإحالة هنا ويقدّم الجانب. فإذا كان المعنى والجانب مرتبطين تمثيليًّا، فيبدو أنَّ هذه العلاقة ستتسبّب في انتكاسة. فثمّة الآن شيءٌ ما بين المعنى والجانب، وهو طريقة العرض للجانب، أي، جانب الجانب. إن احتمالية الانتكاسة تطرح سؤالًا مزعجًا لفريغه: هل يجب أن يؤخَذ المعنى على أنه جانبٌ من شيءٍ يمثّل جانبًا؟ لا يبدو أنَّ كلا

الاحتمالين مرضيان. فإن كان الاحتمالان لا يبدوان مرضيَين، فما هو المعنى إذن؟

لقد رأينا في المقطع السابق أنَّ التعبير يُضيء جانبًا وحيدًا من الإحالة، ولكنه لا يُضيء كل جوانب الإحالة. وهذا أمرٌ بالغ الأهمية للصورة الكاملة التي يرسُمُها فريغه، لأنه يمكن لشيءٍ ما أن يحْظَى بعدّة جوانب، ويمكن لاسمي عَلَم أن يلتَصِقا بهذه الجوانب المختلفة. بالتالي، عندما يوضع]الاسمان[معًا في جملة تطابق، تصبح الجملة «تثقيفية» (informative). فإن كنّا قد عرفنا كلَّ جانبٍ من كل شيء، فلن نعرف جمل المطابقة، لأننا سنكون حينها قد عرفنا كل شيء. على سبيل المثال، سنكون قد عرفنا أنَّ نجمة المساء هي نجمة الصباح. ولكن لأننا لا نعرف شيئًا ما من كل جوانبها، سنكون في موضع العارفين بشيءٍ ما حين يخبرنا شخصٌ آخر أنَّ «أ=ب». فأنا أستطيع أن أعرِفَ شيئًا واحدًا عن شيءٍ دون أن أعرِفَ كل شيءٍ عنه.

1.5 الإحالة

يجب أن ننظر في المقطع التالي ليسهِّلَ نقاشنا في العلاقة بين العلامات والمعاني والإحالات:

> إن الارتباط المألوف بين العلامة ومعناها وإحالتها من النوع الذي توافق فيه العلامة معنًى محددًا وبالتالي توافق إحالةً محددةً، بينما مع إحالة معطاة (شيء) لا تنتمي إلى علامةٍ واحدةٍ. فلنفس المعنى تعابير مختلفة في لغات مختلفة بل حتى في نفس اللغة. ولنتأكّد من ذلك، ثمّة استثناءات لهذا السلوك المألوف. فلكلّ تعبيرٍ ينتمي إلى جملةٍ من العلامات، ثمّة ما يُوافق معنًى محدّدًا؛ ولكن اللغات الطبيعية عادةً لا تُلَبّي هذا الشرط، فيجب على الشخص أن يرضى بما إذا كانت نفس الكلمة لها نفس المعنى في نفس السياق. قد يكون من المُسَلَّم به أن كلَّ تعبيرٍ صحيحٌ نحويًا يمثّل اسمَ عَلَم له معنى دائم. ولكن هذا لا يعني أنه ثمّة أيضًا ما يوافق الإحالة بالنسبة للمعنى[11].

تبدو العلاقة -كما هو موضَّحٌ أعلاه- سَلِسَةً إلى حدٍّ ما، إذْ يمكن التعبير عن نفس المعنى بعلامتين مختلفتين، كما الحال في المرادفات. فيمكن أن نجد المرادفات في اللغة الواحدة أو عبر لغات مختلفة. فعلى سبيل المثال، يقول متحدِّثو الإنغليزية «ثلج» (snow) بينما يقول الفرنسيّون (neige). علاوةً على ذلك، وبسبب الغموض، يمكن أن يكون ثمّة علامةٌ واحدةٌ تتوافق مع معنيين مختلفين - فـ(bank) قد تعني «ضفّة النهر» أو «مصرف الأموال». كذلك تواجِه أسماء العَلَم المألوفة، كـ«بوب» (Bob) مثلًا، نفس مشكلة الغموض بلغَتِنا، إذْ إنَّ كثيرًا من الناس لديهم نفس الاسم. فنفْس الاسم له الكثير من المعنى بناءً على ما يُسمّيه ذلك الاسم أو من يتسمَّى به.

أمّا فيما يتعلّق بالإحالة، فيعتقد فريغه أنَّ الإحالة الواحدة قد يكون لها العديد من المعاني والعلامات بما يتوافق معها. مع ذلك، لا يمكن أن يكون ثمّة معنى واحدٌ يُقابل أشياء مختلفة كثيرة، لأن المعنى يُحدِّد إحالته بصورةٍ فريدة. فبحسب نظام فريغه، لا تحُدِّد الإحالةُ المعنى، إذْ قد يكون ثمّة الكثير من المعاني لنفس الإحالة. في المقابل، يُحدِّد المعنى الإحالة، لأن نفس المعنى لا يمكن أن يُعيّن إحالتين مختلفتين. فيجب أن يكون للمعنى إحالةٌ محددةٌ واحدةٌ يُقابِلها. لذلك، يسير التحديد من المعنى إلى الإحالة لا العكس، كما إنّه لا وجود للتحديد من العلامة إلى المعنى.

على الرغم من أن كل تعبيرٍ يجب أن يحمل معنًى محددًا، إلا أنّه من الممكن أن يكون التعبير بلا معانٍ. فعلى سبيل المثال، قد يختلق المرء كلماتٍ من قبيل «fedneep» لا معنى لها، فـ«fedneep» علامات بلا معنى. ولكي نصوغ جملةً ذات معنًى، يقول فريغه بأنَّ العلامة يجب أن تكون ذات معنى:

> كلمات «الجِرْم السماويّ الأبعد عن الأرض» لها معنى، ولكن من المشكوك فيه جدًا أنْ يكون لها إحالة أيضًا. التعبير «السلسلة المتقاربة بأقل سرعة» لها معنى، ولكن من المعروف أنّه ليس لها إحالة لأن لكل سلسلة متقاربة، يوجد سلسلة متقاربة أخرى متقاربة بأقل سرعة. فلاستيعاب المعنى، يظل المرء غير متأكّدٍ من الإحالة[12].

قد يُسيء القارئ فهمَ النقطة العامة لأن أمثلة فريغه تقنيَّةٌ إلى حدٍّ ما، فلن يفهم مثالَهُ الأول إلا علماء الفلك، ولن يفهم مثالَهُ الآخر إلا علماء الرياضيات. إنّ الفكرة العامة وراء أمثلة فريغه أنَّ بالإمكان تشكيل أوصاف معرَّفة لا تُحيل إلى شيء. خذ هذا المثال لوصف معرَّف: «رئيس الولايات المتحدة المرقّط». من المعلوم أنه لا يوجد رئيس ولايات متحدة مرقّط، لذلك لا تُحيل أوصافٌ مثل هذه إلى شيءٍ أبدًا. ثمّة سببٌ لماذا لوصْفِ «رئيس الولايات المتحدة المرقّط» معنًى حتى وإن لم يكن له إحالة. فما دمنا قادرين على تشكيل جملة صحيحة ذات معنى كـ«رئيس الولايات المتحدة المرقّط شخصية لا وجود لها»، فإن الوصف المعرَّف نفسَهُ ذو معنى. هذا فقط كمثال، وثمة أمثلة كثيرة أخرى لأوصاف معرّفة لها معانٍ بلا إحالة. بالتالي، فمن الممكن أن يكون لدينا معنًى دون إحالة، وأن نشكِّل أسماءَ عَلَم لها معنى ولكن بلا إحالة.

1.6 الاستخدام المألوف وغير المألوف

يطبِّق فريغه نقاشَهُ عن المعنى والعلامات والإحالة على الاستخدام المألوف للكلمات في لغتنا، ولكن ليس ذلك فحسْب:

> عندما تُستخدم الكلمات بالطريقة المألوفة، فإنَّ ما ينوي المرء التحدُّث عنه هو إحالاتها. ولكن قد يحدث أيضًا أنْ يوَدّ المرء الحديث عن الكلمات نفسها أو عن معانيها. هذا يحدث، على سبيل المثال، عند اقتباس كلمات شخصٍ آخر. وتُعيّن كلمات الشخص الخاصّة أولًا كلمات المتحدِّث الآخر، وفقط كلمات المتحدّث الآخر لها إحالة معتادة. وسيكون لدينا حينها علامات العلامات. وفي الكتابة، تُضمَّن الكلمات في هذه الحالة بين علامتيْ تنصيصٍ. وبناءً على ذلك، لا يجب اعتبار الكلمات بين علامتي التنصيص أشياءَ لها إحالةٌ مألوفةٌ[13].

عند استخدام الكلمات بطريقةٍ مألوفةٍ، يستخدم المرء كلمةً ناويًا بها الحديث عن الشيء الذي تُحيل إليه تلك الكلمة. فعلى سبيل المثال، حين يستخدم شخصٌ كلمات «باراك أوباما»، فإنه في الغالب ينوي الحديث عن باراك أوباما، وبالتالي يُعَدّ باراك أوباما إحالته. مع ذلك، لا تُستخدم

الكلمات دائمًا بطريقة مألوفة. فنحن لا نتكلم عن إحالة كلمة في كل الأحوال. فمن الممكن أن يتكلَّم المرء عن الكلمات نفسها. وبالمثل، يمكن أن يتكلّم عن معنى كلمة. فعلى سبيل المثال،]عبارة[«معنى «باراك أوباما» » تُحيل إلى معنى ذلك الاسم، وليس إحالته. فلتكن حذِرًا عند تحليل هذه الأنواع من الجُمَل. فإنْ كَتَبَ شخصٌ «معنى باراك أوباما» بدلًا من «معنى «باراك أوباما» »، فقد خَلَطَ معنى الإنسان (أيًا يكن ذلك الإنسان) في الحالة الأولى مع معنى الاسم في الحالة الثانية. فـ«باراك أوباما » ليس له معنى، لأنه إنسان، لا مفردة من اللغة. وعلامات التنصيص تعطينا وسيلةً تمنعنا من الوقوع في مثل هذا الخطأ المنطقيّ. فعند الكتابة عن معنى تعبير بالمقارنة مع إحالة تعبير، تُستَخْدَم علامات التنصيص لتشكيل التعبير الملائم. لذلك، حين نتكلّم عن العلامات أو معنى العلامات، يجب أن نتوخَّى الحذر حول استخدامنا لعلامات التنصيص حتى يكون ما نقوله معقولًا.

علاوة على ذلك، حين نتحدَّث عمّا قاله شخصٌ ما، تفقد الكلمات إحالاتها المألوفة. وتُعَدّ الكلمات المقتَبَسَة في تلك الحالة علامات العلامات. فرغم أن الكلمات تكون في أغلب الأحوال علامات للأشياء، إلا أنها في حالة اقتباس الكلمات الخاصة بشخصٍ آخر، تصبح الكلمات المقتبسة علامات داخل علامات. لذلك، فإن كلمات « «باراك أوباما» » علامة لعلامة. لننظر إلى مثالين يبيّنان هذه النقطة بوضوح:

1. الكلمة رجل The word man
2. الكلمة «رجل» «The word «man»

يسهُل التعبير عن المثال الثاني بصورةٍ صحيحةٍ لأن علامتي التنصيص توضّح أنها كلمة يُحال إليها. أمّا في المثال الأول بلا علامتي تنصيص، فإنَّ كلمة رجل تُحيل إلى نوعٍ أو جنسٍ، لا إلى الكلمة نفسها. ففي اللغة المَحْكيَّة، نستخدم هذه التقنيات باستخدام نغمة الصوت أو لغة الجسد أو قول «بين تنصيص» أو «بلا تنصيص». إن فريغه يعتقد هنا أنَّ اللغة الطبيعية المألوفة مَعيبَةٌ تمامًا بهذه الطريقة، وينبغي أن تكون أوضح حين يتحدّث المرء عن الكلمات نفسِها لا عمّا تُحيل إليه.

وقد حاول فريغه في عديدٍ من المواضع في مقالة «عن المعنى والإحالة» أن يتعامل مع كيفية عمل الكلمات في الكلام الطبيعي وغير الطبيعي، فكتب التالي:

> لكي نتحدث عن معنى التعبير «أ»، قد يستخدم المرء عبارة «معنى التعبير «أ»». وفي الكلام المنقول، يتحدّث الشخص عن المعنى، على سبيل المثال، عن معنى ملاحظات شخصٍ آخر. فمن الواضح تمامًا أنَّ الحديث بالكلمات بهذه الطريقة ليس له إحالةٌ مألوفةٌ، ولكنها تُعَيّن معناها المعتاد. فلكي نعبِّر عن شيءٍ باختصار، نقول: في الكلام المنقول، تُستخدم الكلمات بصورة غير مباشرة أو لها إحالة غير مباشرة. بالتالي نُميّز المألوف من الإحالة غير المباشرة للكلمة؛ ومعناها المألوف من معناها غير المباشر. فالإحالة غير المباشرة للكلمة هي بالتالي معناها المألوف. فيجب دائمًا وضْعُ هذه الاستثناءات في الاعتبار لنفْهَم طريقة الاتصال بين الإشارة والمعنى والإحالة في حالات معينة وبصورة صحيحة[14].

تأمّل شخصًا يقول «يقول جون إنَّ باراك أوباما عظيم» (John Said that Barack Obama is great). لاحظ هنا أنَّ كلمة «إنّ» (that) أُدْخِلَتْ في الجملة بلا علامتي تنصيص أبدًا. هذا المثال يوضح الكلام غير المباشر. وبإمكان شخصٍ أن يقول أيضًا «جون يقول «باراك أوباما عظيم»» (’John said ‘Barak Obama is great)، وستؤدّي نفس الغرض بصورة كبيرة. ولكن على عكس الجملة الأخيرة، قد لا يكون جون متحدثًا للإنغليزية. فمثلًا، ربما قال جون ذلك كجملة إيطالية Barack Obama e meraviglioso)) (ترجمة: «باراك أوباما عظيم»). وسيأخذ المتحدث للإنغليزية الكلمات الإيطالية ويترجمها كجملة إنغليزية، وبالتالي يصوغ جملةً من كلام غير مباشر. يعتقد فريغه أن التعابير، في الكلام غير المباشر، والتي تتبع كلمات من قبيل «أنَّ» (that) ليس لها إحالة مألوفة. فتلك الكلمات في ذلك السياق تُحيل إلى معناها المألوف لا إلى إحالتها المألوفة.

ولإعطائك صورةً أوضَح عمّا في ذهن فريغه، لنأخُذْ مثالًا لشخصٍ يقول جملةً تحوي تعبيرًا لا إحالة له. ولنفترض أن جون يقول «رئيس

الولايات المتحدة المرقّط عظيم». في هذه الحالة، لا تملك تلك الجملة أيَّ إحالةٍ، وقد نقلنا تلك الجملة في صيغة الكلام المباشر. مع ذلك، حين نَضَع نفس الجملة في صيغة الكلام غير المباشر، فقد نفترِض أنَّ ثمّة رئيسًا مرقّطًا، وإن خالَفَ ذلك حدْسَنا. فإن كان الوصف المعرّف يُحيل إلى إحالته الطبيعية، فإن ذلك الجزء من الجملة لن يملك إحالةً أبدًا. فإن كان ذلك الجزء من الجملة ليس له إحالة، فلا يمكن أن يكون ما قيل جملةً صحيحةً. ولِتَفادي هذه العواقب، يرى فريغه أنّنا نُحيلُ بدلًا عن ذلك إلى المعنى المألوف للتعبير ونستخدمه بطريقة غير طبيعية في ذلك السياق المحدَّد. وبما أن المعنى المألوف متاح، فليس في الجملة جزءٌ ليس له إحالة. فبإعادة صياغة تلك الجملة بطريقةٍ أوضَح، يكون قول القائل «جون يقول إن باراك أوباما عظيم» بمعنى «جون يقول شيئًا يعبِّر مضمونه عن أنّ باراك أوباما عظيم». وكأنَّ الشخص الذي يقول تلك الكلمات يتحدّث مباشرةً عن المعنى الذي تحمِلُهُ كلماتُ شخصٍ آخر لا عن إحالةِ ما يقول. فلا يُهِمُّنا حين ننقل قولَ المتحدِّث ما إذا كان قولُهُ صحيحًا أو له إحالة موضوعية. ما يُهِمُّنا هو سياق ما قالَهُ، وبالتالي معنى الكلمات التي استَخْدَمها. ففي تلك الجملة المعقَّدَة، لا يوجد إحالةٌ إلى باراك أوباما أبدًا، فالشيء الوحيد الذي تُحِيل إليه هو معنى اسم «باراك أوباما». وهذا يحلّ اللغز المحتَمَل الناتج من نقْلِنا لشيءٍ يقوله متحدِّثٌ ربما لا يُحيل إلى أيّ شيءٍ حقيقيٍّ. لذلك، ربما لا يكون ثمّة إحالة لـ«الرئيس المرقّط»، ولكن ثمّة معنى لذلك التعبير، وهذا المهم في نقل المحتوى الذي يقوله المتحدث.

1.7 نقاط إضافية حول مقالة «عن المعنى والإحالة»

من الخطأ افتراضُ أنَّ الكلمات تُستَخْدَم فقط للحديث عن إحالاتها الطبيعية. فلقد رأينا كيف أنَّه من الممكن الحديث عن الكلمات ومعانيها، دون الحديث عن إحالاتها. يقول فريغه بخصوص هذه النقطة التالي:

> يجب تمييز الإحالة ومعنى العلامة من الفكرة المرتبطة بها. فإن كانت إحالة العلامة هي شيءٌ يمكن ملاحظته بالحواس، ففكرتي عنها أنها صورة داخلية، تظهر من ذكريات وانطباعات الحواس

التي أمتلكها، ومن الأعمال الداخلية والخارجية التي قمتُ بها. غالبًا ما تكون هذه الفكرة مُشبّعة بالمشاعر؛ ويتباين وضوح أجزائها المنفصلة ويتذبذب. ولا يمكن لنفس المعنى أن يكون دائمًا مرتبطًا مع نفس الفكرة حتى في نفس الشخص. فالفكرة شخصية: ففكرة شخصٍ ما ليست كفكرة شخصٍ آخر. والنتيجة، بطبيعة الحال، مجموعة من الاختلافات في الأفكار المرتبطة بنفس المعنى. فالرسّام والفارس وعالِم الحيوان ربما يربطون أفكارًا مختلفةً مع اسم «بوسيفالوس» (Bucephalus). وهذا يشكِّل فرقًا جوهريًّا بين الفكرة ومعنى العلامة، والذي قد يُعدُّ خاصيّةً مألوفةً لأشياء كثيرة، وبالتالي لا يكون جزءًا من طريقة عقل المرء. فلا يكاد المرء أن ينْكِر أنَّ للبشر مخزونًا مُشتركًا من الأفكار ينتقل من جيلٍ لآخر[15].

في هذا المقطع، يُمَيّز فريغه بوضوحٍ بين الأفكار الموجودة بأذهان الناس وبين معاني وإحالات الكلمات. وللتشديد على الفكرة السابق ذكرها، لا يرى أنَّ الأفكار الموجودة بأذهان الناس ذات علاقة أساسية بالمعنى والإحالة. فقد تكون «الفكرة السيكولوجية» (psychological idea) مهمَّةً للإنسان ليفْهَمَ المعنى، ولكن لا يعني ذلك أنَّ المعنى هو نفس الشيء الذي تمثِّله الفكرة.

بدايةً واعتمادًا على هويّتك، قد تأتي كلمة معينة بأفكار مختلفة لذهنك. على سبيل المثال، سيكون للخيّال فكرةٌ مختلفةٌ تأتي إلى ذهنه حين يسمع كلمة «حصان» تخالف الفكرة التي تأتي لعالِم الحيوان حين يسمع نفس الكلمة. يرى فريغه أنَّ معنى الكلمة «حصان» هو نفس المعنى لكلا الرجلين، ولكن الاختلاف يكمن في الارتباط الذهني المختلف الذي يحمله كل شخصٍ مع تلك الكلمة. ويُمكن للفرد مع مرور الوقت أن يشكّل ارتباطات عاطفية مختلفة مع نفس الكلمة. ولا يرى فريغه في تلك الحالة أنَّ المعنى قد اختلف، فلم يختلف سوى الارتباط الذهني. فالارتباطات الذهنية قد تتغيّر، فيما يبقى المعنى ثابتًا.

السبب الثاني الذي يقدِّمُه فريغه لتأكيد هذا الفرق يعود إلى أن البشر يكتسبون مخزونًا من المعرفة وسلسلة من المضامين يؤمنون بها،

وينقلونها من جيلٍ إلى جيلٍ. لذلك، وبالمعنى غير السيكولوجي، تنتقل نفس الفكرة أو المضمون من جيلٍ إلى آخر؛ وتتعلّق هذه العملية بأمرٍ يتجاوز الأفراد وعقولهم المسؤولة عن عملية النقل. تأمَّل على سبيل المثال «إسحاق نيوتن» (Isaaq Newton) في القرن الثامن عشر وتأمَّل الأفكار المتنوعة الدائرة بذهنه. فجأةً، يقرر نيوتن أن الجاذبية تخضع لقانون التربيع العكسي ويكتبه في كتابه «الأصول» (Principia). بعد هذا الحدث، اكتَسَبَ كلُّ من قرأ كتاب «الأصول» تلك الفكرة عبر القرون حتى يومنا هذا. إن معرفة هذا الشيء مختلفةٌ تمامًا عن معرفة أفكار نيوتن السيكولوجية والشخصية. بالتالي، حين يتكلم فريغه عن الأفكار، فإنه يُحيلُ إلى شيءٍ «موضوعيّ» (objective) متجاوِزٍ للزمن - فالفكرة هي المعنى الثابت والموضوعي للجملة. والأفكار، بحسب فريغه، «كيانات مجردة» (abstract entities).

إن الأفكار ليست معانيَ بل أشياء تهلك عندما يهلك العقل الحاوي لها. فالناس لا تتشارك الأفكار، فيما تتشارك المعاني، لذلك لا تهلك المعاني بهلاك عقل الإنسان. فللمعاني، بحسب فريغه، نفس الموضوعية والاستقلالية الذهنية الخاصة بالإحالات. فمعنى كلمة «الجاذبية» يعود إلى عصر نيوتن، ولا زلنا إلى الآن نفهم ذلك المعنى. لذلك، قد تتوافَق كثيرٌ من الأفكار الشخصية مع نفس المعنى الموضوعي. وهدف فريغه العام في هذه المجادلة حول المعاني وإثبات موضوعيّتها هو عرض الأساس الموضوعي للرياضيات والعلوم عامةً.

إن من المهم هنا ملاحظة أن الأفكار تمثِّل «أشياء إحالة» (object of references). ففي الكلام الطبيعي، لا يتكلّم الناس عادةً عن الأفكار. فرغم أن للناس أفكارًا طوال الوقت، إلا أنهم لا يُحيلون إليها. فإن قال أحدهم مثلًا «إنها تمطر بالخارج»، فلا يُحيل إلى أيّ شيءٍ يدور حول الأفكار أبدًا. فيما لو تكلّم عن الأفكار، فسيقول حتمًا شيئًا من قبيل «فكرتي القائلة بأنّها تمطر في الخارج فكرةٌ راسخةُ الأساس». فكما إنَّ المعاني والكلمات أشياء إحالة، كذلك تكون الأفكار أشياء الإحالة.

لهذا السبب، يُشكِّل فريغه صورةً متكاملةً لتنظيم جميع جوانب اللغة هذه بتشكيل نظامٍ لكل المستويات من كلمات وأفكار ومعاني وإحالات،

ويوضِّح هذا النظام ذا المستويات بالتشبيه التالي:

> إن إحالة اسم العَلَم هي الشيء نفسه الذي نُعيّنه بطريقتها. فالفكرة، التي لدينا في تلك الحالة، هي فكرة شخصية بصورة كاملة؛ وما بينهما يكمن المعنى والذي لا يكون بالطبع «شخصيًا» (subjective) كالفكرة، مع إنّه ليس الشيء نفسه. فقد ينظر أحدنا إلى القمر من خلال التليسكوب. وسأقارن هنا القمر نفسه بالإحالة وهو الشيء تحت الملاحظة، وذلك بواسطة الصورة الحقيقية المعروضة على الجزء الخاص بالزجاج داخل التليسكوب والصورة الخاصة بشبكية العين للمراقب. فالأول قارَنْتُه بالمعنى، والآخر مثل الفكرة أو التجربة. فالصورة البصرية في التليسكوب هي في الواقع أحادية الجانب وتعتمد على زاوية المراقبة، ولكنها لا تزال موضوعيةً بقدْر ما يمكن استخدامُها من قِبَل عددٍ من المراقبين. وعلى كلّ حالٍ، يمكن تنظيمها لاستخدامها في وقتٍ واحدٍ من قِبَل مراقبين عدَّة. ولكن سيكون لكل شخصٍ منهم صورة شبكية لعينه الخاصة. وبسبب الأشكال المتنوعة لعيون المراقب، فلا يمكن ضمان التطابق الهندسي، وستكون المصادفة الفعلية غير واردة. ويمكننا تطوير هذا التشبيه أكثر، بافتراض أن الصورة الشبكية للشخص «أ» ستكون مرئيَةً للشخص «ب»؛ أو أن الشخص «أ» قد يرى صورة شبكيّته الخاصة في المرآة. وبهذه الطريقة، قد نوضِّح كيف أنه يمكن اعتبار فكرةٍ شيئًا، مع إنها لن تكون للمراقب كما هي الحال للمراقب الذي يحمل الفكرة. والبحث في هذا الأمر سيأخذنا إلى موضوعٍ بعيدٍ جدًّا[16].

ثمة التيلسكوب والجسم المرصود من خلال التليسكوب والصورة البصرية على عدسات التليسكوب، والصورة الشبكية على عين المراقب. الصورة الشبكية نمطٌ بصريٌّ يُسقَط من خلال عدسة العين ويُمرَّر إلى شبكيّتها. فيبدو أنَّ ثمة ثلاثة مستويات: الشيء بالأعلى، والصورة البصرية على العدسات، والصورة الشبكية. يُقارن فريغه الصورة البصرية بالمعنى، والفكرة بالصورة الشبكية. فالصورة الشبكية مختلفةٌ

لكلِّ شخصٍ ينظر من خلال التليسكوب لأن كلَّ شخصٍ له هياكل شبكيّة مختلفة. مع ذلك، يرى فريغه أنَّ الصورة البصرية هي نفسها، وحتى وإنْ لاحَظَها الناس بشبكيّات مختلفة. لذلك، يظلّ المعنى شيئًا «موضوعيًّا» (objective) بنفس الطريقة التي تكون فيها الصورة البصرية شيئًا موضوعيًا، ومختلفةً عن الصورة الشبكية والتي تظل «شخصية» (subjective) ومعتمدة على تركيبة الفرد الفسيولوجية.

1.8 مشاكل نظرية فريغه

في القسم السابق، ناقشنا كيف أوضح فريغه أنَّ «أ=ب» قد لا تُبيّن ما افترضه هو سابقًا، أي إنَّ الاسم «أ» يعني ما يعنيه الاسم «ب». وقد بيَّنَ أنَّ أفكاره السابقة عن هذا الموضوع غير صائبة، لأننا إنْ افترضنا أنَّ الجملة تقول بأنَّ «أ» يعني ما يعنيه «ب»، فالجملة ليست عن الأشياء التي تعنيها هذه الأسماء ولكن عن الأسماء نفسها. وقد كان حلُّهُ لهذه المشكلة عن طريق استحضار فكرة «المعنى» والتي تحوي طريقةَ عرض الشيء. فثمة طرائق معينة للعرض مرتبطة بالاسم «أ» والاسم «ب»، وهي حقيقة تشرح «القيمة التثقيفيّة» (informative value) للجملة «أ=ب».

ولتحليل جملة «أ=ب» بمفاهيم فريغه عن المعنى وطريقة العرض، يمكننا النظر في حالة ترتبط فيها طريقة العرض 1 (MP1) بالاسم «أ» وتقدّم طريقة العرض هذه ما تقدّمه طريقة العرض 2 (MP2) المرتبطة باسم «ب». فوفقًا لهذه النظرية، يكون ما يجعل جملة كـ«أ=ب» تثقيفية هو أنّ طريقة عرض معيّنة تقدّم نفس الشيء الذي تقدِّمُه طريقة عرض أخرى.

وقد يتساءل بعض القرّاء ولماذا لا يمكن طرْحُ الاحتجاج نفسه الذي طرَحَهُ فريغه على «نظرية الأسماء» (name theory) على نظرية فريغه نفسه ففيما يبدو أنَّ جملة «أ=ب» تبدو وكأنها عن الأشياء «أ» و«ب»؟ في الواقع إن نظرية فريغه تركّز على طريقة العرض لتلك الأشياء لا على الأشياء نفسها، بينما تخبرنا الفطرة السليمة أنَّ «أ=ب» لا تبدو وكأنها عن طرائق العرض أبدًا، بل عن الأشياء. فعلى سبيل المثال، قد يرى البعض أنَّ جملةً تحتوي على الاسم «أ» (مثلًا، «أ كوكب»)عن طريقة العرض، ما

لم تخضع طريقة العرض نفسها للمناقشة على نحوٍ صريحٍ؛ فمن الطبيعيّ أن نفترض أنَّ الجملة عن شيءٍ ما وأنَّ الشيء هو كوكب. فإذا كانت الأسماء عمومًا لا ترتكز على طرائق العرض، فقد نتساءل كيف تركّز جمل التطابق على طرائق العرض؟ فالمشكلة تكمن في كون «مدار الموضوع» لـ«أ=ب» ليس الاسم «أ» ولا الاسم «ب»، ولا طريقة العرض لـ«أ» ولا طريقة العرض لـ«ب»، ولكن عن الأشياء «أ» و«ب». فلا نتحدث، في أيِّ مرحلة، عن الكلمات أو طرائق العرض التي يُزْعَم أنَّ الكلمات تعبّر عنها.

لا يُبدي فريغه اعتراضًا على نفسه فيما يخصُّ هذا الأمر، مع إن ذلك السؤال مقلِقٌ إلى حدٍّ ما إذ إنّه يكشف عن فجوة كبيرة في النظرية التي يُقدّمها في مقالته «عن المعنى والإحالة». فإن كانت الجملة «أ=ب» عن الأشياء فقط، فعليه أن يتراجَع إلى مشكلته الأصل: «أ=ب» تقول بأنَّ الشيء متطابقٌ مع نفسه. يَحُلُّ فريغه مشكلة القيمة التثقيفية، ولكن بطريقة حلٍّ تبدو وكأنها تُثير نفس النوع من المعارضة التي يطرحها ضد «نظرية الأسماء»، والتي ناقشناها بتفصيلٍ في بداية هذا الفصل. فالفرق الوحيد بين هذين الشيئين هو أن إحدى النظريات تتعامل مع المعرفة اللغوية بصورة بحتة، والأخرى تتعامل مع المعرفة الخاصة بطرائق العرض. ويبيّن لنا فريغه من خلال النظرية الأخيرة أنَّ طريقة عرض واحدة قد تتوافق مع نفس الشيء الذي توافِقُه طريقة عرضٍ أخرى، مع إن ذلك لا يسمح لجملة التطابق «أ=ب» أن تكون عن الأشياء الفعلية نفسها. يبدو أنَّ ثمة صعوبة واضحة هنا يفشل فريغه في مطارحتها، بالنظر في كون نظريته الخاصة تُلْزِمُه بشيءٍ مرفوضٍ وفقًا لمعاييره الخاصة.

لقد قارَبَ الفلاسفة هذه المشكلة بطريقةٍ مختلفةٍ. ففي كتابه «رسالة منطقية-فلسفية» (Tractatus Logico-Philosophicus)، يدّعي «لودفيغ فيتغنشتاين» (Ludwig Wittgenstein) أنَّ هذه الأنواع من جُمَل التطابق غير صحيحة. ففي اللغة الطبيعية، يوضِّح فيتغنشتاين أنَّه يمكننا صياغة هذه الجُمَل، مع إنها تعبّر عن مضامين تافهة لا مضامين مهمة. فيرى أنَّ جملة من هذا النوع ينبغي أن تُستأصَل من اللغة المثالية

كونها لا تُعطي معنًى. مع هذا فإن فريغه لا يعترض على هذا النوع]من الجمل[، فهو يحاول فقط أن يحوِّل التفاهة الواضحة إلى شيءٍ مهمٍّ. وعلى الرغم من أن حلَّ فيتغنشتاين للمشكلة هو أن نستأصل هذا النوع من الجمل من اللغة المثالية تمامًا، فقد حاوَلَ فريغه أن يقدِّم نظريةً لها، ولم يراعِ مقترح فيتغنشتاين الاستئصالي المتطرف.

1.9 امتداد نظرية فريغه إلى ما بعد المصطلحات المفردة

مع فهم كيفية انطباق المعنى والإحالة على المصطلحات المفردة[17]، سنناقش هنا كيفية امتداد نظرية فريغه لتعبيرات تتجاوز أسماء العَلَم والأوصاف المعرَّفة. ففي أحد نصوصه، يُمهِّد فريغه لنظريته بتقديم بعض الحجج عن مبادئه الأصولية، وسيفيدنا شرح نظريته عمومًا قبل قراءة النَّصّ المعنيّ عن كَثَب.

المصطلحات المفردة، كما رأينا، تعبيرات ثانوية. فمن المقبول أن نفتَرِض أنَّ نظرية فريغه ملائمة للجُمَل كاملة، ما دامت ملائمةً للمصطلحات المفرَدَة وأجزاء الجُمَل. فعلى سبيل المثال، تأمَّل الجملة «هيسپيروس كوكب». يجادل فريغه أنَّ نظريته يمكن أن تمتدَّ لتعطي الجملة كاملة معنًى وإحالةً. فمن الأشياء الغريبة في نظرية فريغه أنه من الواضح أنَّ للمصطلحات المفردة إحالات، ولكن عليه أن يُقنعنا بأنَّ لها بالإضافة إلى الإحالة معنى. فالمشكلة تظهر مع الجُمَل الكاملة إذ نتَّفِق جميعًا أنَّ لها معنى، ولكن يجب أن نقتنع أنَّ لها إحالة أيضًا. ففي حالة مثالنا، يكون المعنى الخاصّ بالجملة هو الفكرة غير السيكولوجية المعبَّر عنها، أيْ مضمون أنَّ هيسپيروس كوكب. فيبدو أنَّ ادّعاء الإحالة من قِبَل فريغه أصعب بكثير من أن يُبرَّر، فهو يقدم بعض الحجج المتنوِّعة القليلة عن سبب وجود إحالة للجملة كاملة.

من الواضح للقارئ عند هذه النقطة ما يقصده فريغه من معنى الجملة، ولكن ماذا عن إحالة الجملة؟ يرى فريغه بدايةً أنَّ إحالة الجملة هي «قيمة صحّتها» (truth-value). وقيمة الصحة، بالنسبة لفريغه، «شيء» (object). فثمة قيمتان للصحّة: «صحيح» (True) أو «خاطئ» (False). يُشير فريغه إليهما بمصطلحيْ: «الصحيح» (The True)

و«الخاطئ» (The False). فإذا قال شخصٌ جملةً صحيحةً مثل «هيسپيروس كوكب»، فقيمة صحَّتِها هي «الصحيح»، وهي «شيء»، لأنها صحيحة، وإنْ قال المتحدِّث «هيسپيروس رجل»، فإن تلك الجملة «خاطئة»، وبالتالي فإن قيمة الصحَّة ستكون «الخاطئ».

ولنؤكِّد ما سبق، فإن كل الجملة الصحيحة، بحسب فريغه، تُحيل إلى قيمة الصحّة «الصحيح»، وكل الجملة الخاطئة تُحيل إلى قيمة الصحة «الخاطئ». ولا علاقة هنا لمصطلح «قيمة الصحّة» بالقيم والأخلاق، لا سيّما وفي بعض الكتابات الصحفية يكون لـ«قيَم الصحّة» معنى مختلفًا تمامًا يخصّ الأخلاق. أمّا حين يشير فريغه إلى قيَم الصحّة في العموم، فلا يقصد القيم الأخلاقية. يقدِّم فريغه شرطين فيما يخصُّ قيَم الصحَّة للجملة. الشرط الأول أن قيمة الصحة هي إحالة الجملة، والثاني أن إحالة الجملة «شيء». ونحن نرى بسرعة مدى غرابة هذين الزعمين. فأنْ نقول إنَّ جملة تُحيل إلى قيمة صحتها فيه إساءة استخدام لعبارة «تُحيل إلى». فكلمة «تُحيل» هي نفس الكلمة التي يستخدمها فريغه للمصطحات المفردة التي تُحيل إلى الأشياء التي تُعَيّنها (مثال، هيسپيروس يُحيل إلى كوكب الزهرة). هذا النوع من العلاقة في الإحالة ينعقد بين الأسماء والأشياء، ولكن أن نفترض أنَّ الجملة تُحيل إلى شيءٍ بنفس طريقة الأسماء يعني أن ننفصل عمّا نتقبّله في لغتنا المألوفة. فالناس بطبيعتها ترى أنَّ أجزاء الجملة، المصطلحات المفردة، تُحيل إلى أشياء، ولكن الجمل كاملةً لا تُحيل إلى شيءٍ. فما هي إحالة الجملة «هيسپيروس كوكب» مثلًا؟ سيبدو من الطبيعي أنَّ إحالة هذه الجملة هو شيءٌ ما له علاقة بكوكب الزهرة، بما أنه يحوي الاسم «هيسپيروس». مع ذلك، يرى فريغه أنَّ إحالة الجملة هي قيمة الصحة «الصحيح» وهي شيءٌ بما أنَّ الجملة صحيحة. فقولُنا بأنَّ جملة صحيحة يُحيل إلى قيمة الصحة «الصحيح» أمرٌ ليس من الاستخدامات المألوفة لكلمة «صحيح». فمِنْ المنطقيّ أن نفترِضَ أنَّ الجملة لها قيمة صحّة، سواءٌ كانت صحيحةً أو خاطئةً، لا نجد سببًا واضحًا لادّعاء فريغه أنَّ الجملة لها إحالة وإحالتها هي قيمة الصحَّة.

أمّا زعم فريغه الثاني أنَّ قيمة الصحة «شيء»، فهو غير بديهيٍّ تمامًا. ففي اللغة المألوفة، لا نفترض أنَّ «المسند» (predicate) «هو صحيح» (is true) يُحيل إلى «شيء». ولم يُحَدِّد فريغَه معنىً خاصًّا لكلمة «شيء». إذْ يبدو أنَّه يستخدم كلمة «شيء» بالطريقة المألوفة، وكأنها تُحيل إلى شيءٍ خارجيٍّ في العالم (مثال: شخص، كوكب، بيت). كما إن قولَهُ بأنَّ «الصحيح شيء» أمرٌ غريبٌ جدًا. فهذا يعني أنَّنا سنُدْخِل في قائمة فريغه الطويلة كل الأشياء في العالم، بالإضافة إلى الأشياء المألوفة - كل إنسان، وكوكب وجزء أساسيّ... إلخ –أشياء من قبيل «الصحيح» و«الخاطئ». ولهذا، يَعُدُّ فريغه الصحيح والخاطئ «كيانات» (entities) يمكن للشخص أن يُحيل إليها بصورةٍ ملموسةٍ. وعلى الرغم من أن هذين المعتقدين يبدوان غريبين، فإن الهدف منهما من الناحية النظرية ليس محيّرًا. فباستخدام هذه المفاهيم يستطيع فريغه أن يمدَّ نظريَتَهُ عن المعنى والإحالة إلى الجُمَل كاملةً. وبالتالي، لن تكون فقط المصطلحات المفردة ذات معنًى وإحالة، بل حتى الجُمَل بما فيها من مصطلحات لها معنى وإحالة. فالمعنى هو الفكرة التي تعبِّر عنها الجملة، والإحالة هي قيمة الصحَّة، وقيمة الصحة «شيء». وهذا يبدو جميلًا وأنيقًا، بالتأكيد، ولكنه يبدو شاذًّا للغاية.

من الناحية النظرية، وبتوسيع جهاز فريغه ليشمل الجُمَل، تنشأ احتمالية أخرى وهي انطباق المعنى والإحالة على الجمل المعقدة. تأمل المثال التالي الذي قد يقوله شخصٌ: «هيسبيروس كوكب، والمريخ كوكب». في هذه الجملة، تعتمد قيمة الصحة للجملة على قيمة الصحة لكلا الجملتين. فتطبيق نظرية فريغه على هذا المثال سيُبيّن أن الجملة قبل العطف تُحيل إلى شيء هو «الصحيح »، والجملة بعد العطف تُحيل أيضًا إلى شيء هو «الصحيح». بالتالي، فإن قيمة الصحة للعطف الخاص بالجملتين اللتين تُحيلان إلى «الصحيح» ستكون «الصحيح».

توضِّح هذه الأمثلة محاولة فريغه أن يمدَّ نظريته عن المعنى والإحالة بما يتجاوز الأحوال البسيطة، حيث تبدو الأمور معقولةً جدًا، ثم إلى الأحوال الأكثر تعقيدًا حيث تبدو الأمور أقل معقوليّةً. وبما أننا ناقشنا بصورة عامة المعتقدَيْن الأساسيَّيْن في امتداد نظرية فريغه للمعنى

والإحالة إلى الجُمَل الكاملة، نستطيع الآن أن نبدأ النظر في تفاصيل احتجاجاته في المقالة نفسها. يبدأ فريغه نقاشَهُ كما في المقطع التالي:

> حتى الآن، نظرنا إلى معاني وإحالات تعبيراتٍ كهذه وكلمات وعلامات كأسماء عَلَم. وسنتساءل الآن عن معنى وإحالة «جملة تقريرية كاملة» (an entire declarative sentence). فجملة كهذه تحوي فكرةً. فهل هذه الفكرة الآن تُعَدُّ معناها أو إحالتها؟ لنفترض الآن أن لهذه الجملة إحالة. فإن قُمْنا باستبدال كلمة واحدة من الجملة بأخرى لها نفس الإحالة ولكن لها معنى مختلف، فلن يكون لهذا تأثيرٌ على إحالة الجملة. ولكننا نرى ذلك في تلك الحالة التي تتغيّر فيها الفكرة. فمثلًا، فكرة جملة «نجم الصباح هو جِرْم يُضاء من قبل الشمس» تختلف عن فكرة جملة «نجمة المساء جِرم يُضاء من قبل الشمس». وقد يفترض أيُّ شخصٍ لا يعرف أنَّ نجمة المساء هي نجمة الصباح أنَّ الفكرة الأولى صحيحة والأخرى خاطئة. بالتالي، لا يمكن للفكرة أن تكون إحالة الجملة؛ ينبغي أن تكون معنى الجملة[18].

يفترض فريغه هنا أنَّ القارئ سيتساءَل عن سبب وجود إحالة للجملة. فإذا افترضنا أنَّ للجملة إحالةً، فمن الممكن إذنْ أن تُحيل الجملة للفكرة المعبَّر عنها. فمهما تكن إحالة الجملة، يجب أن تظل ثابتةً مع استبدال المصطلحات في الجملة التي لها نفس الإحالة. يجب أن تكون الإحالة شيئًا محددًا بصورة فريدة من قبل إحالات تلك المصطلحات في الجملة. خُذْ المثال التالي:

هيسپيروسف وفوسفوروسف (و«ف» F هنا تعني أيّ خاصيّة).

تعبّر هذه المعطوفات، بحسب فريغه، عن فكرتين مختلفتين.ف«هيسپيروس ف» تعبّر عن «فكرة 1» (T1) و«فوسفوروس ف» تعبّر عن «فكرة 2» (T2). والسؤال عمّا إذا كانت إحالة (هيسپيروس ف) هي «فكرة 1» (T1). يرى فريغه أنَّه يتم الاحتفاظ بالإحالة، مهما تكن، حين يتم تغيير أيّ شيءٍ بنفس الإحالة لأيّ مصطلح في الجملة الأصلية، لأن إحالة الكل دالّة على إحالة أجزائها.

لنفترض أنَّنا في الجملة أعلاه بدَّلْنا بين الاسمين «هيسپيروس» و«فوسفوروس». فبما أنهما بنفس الإحالة، فسيكون تبادل الاسمين ممكنًا دون التأثير على قيمة الصحة للجملة. وستظل الجملة الناتجة صحيحةً لأن «هيسپيروس ف» و«فوسفوروس ف». مع ذلك، ليس لجملة «فوسفوروس ف» نفس معنى جملة «هيسپيروس ف»، وبما أنهما لا تعبّران عن نفس المعنى، فإن ذلك يعني أنَّهما لا تعبّران عن نفس الفكرة أيضًا. وبما أنهما تعبّران عن أفكار مختلفة، فلا يمكن أن تكون لتلك الأفكار إحالة الجملة. بعبارةٍ أخرى، إذا كانت الفكرة هي إحالة الجملة، فلا يصِحُ أنْ نقول بأنَّ إحالة الجملة تعتمد على إحالات أجزاء الجملة. فالفكرة ليست إحالة الجملة.

يبقى السؤال بعد كل نقاشاتنا حتى الآن: لماذا يرى فريغه أنَّ الجملة تُحيل إلى شيء؟ ولماذا يرى أنَّها تُحيل إلى قيمة الصحة، وأنَّ قيمة الصحَة شيء؟ تستند الفكرة الأساسية في حجَّة فريغه على المثال والجملة التالية «أوديسيوس رجل شجاع» (Odysseus is a brave man) والتي تحتوي على اسم فارغ هو «أوديسيوس»، وهو اسمٌ بمعنًى ولكن دون إحالة. هذه الأمثلة مألوفة لعلماء الشِّعر الملحمي وعلماء الأساطير. ففي تلك الأمثلة، ما يهمُّنا هو الفكرة نفسها لا قيمة الصحة. فإنْ كان اهتمامنا يكمن فيما هو صحيح في الواقع، فينبغي لنا أن ننظر في إحالة الجملة «أوديسيوس رجل شجاع». وفقط بتحديد ما هي الإحالة، يمكننا أن نحدّد ما إذا كان الشيء الذي تُحيل إليه في الجملة، أي أوديسيوس، له نفس الخاصية المرتبطة به. بالتالي، لا تكمن قيمة الصحة للفكرة في الفكرة نفسها فقط، ولكن فيما تُحيل إليه الفكرة، ما دامت الإحالة تُحدِّد قيمة الصحة.

إن أساس فكرة فريغه القائلة بأنَّ قيمة الصحة للفكرة تُحدَّد من قِبَل إحالات أجزاء الجملة يبدو أساسًا سليمًا من الناحية المنطقية. لذلك يتابع فريغه في المقطع التالي بشرح كيفية مَدّ هذه الفرضية إلى الجمل ذات الإحالات:

> تبقى الفكرة نفسها سواءٌ كان لـ «أوديسيوس» إحالة أم لا. الحقيقة التي تهمُّنا هنا عمومًا هي أن إحالة جزء الجملة تُحيل إلى

أننا نعترف بصورة عامة ونتوقَّع إحالة للجملة نفسها[19].

لا يُوضِح فريغه كلامه هنا، بل يقوم بقفزةٍ منطقيةٍ هائلةٍ. وما لم يُقَدِم دفاعًا كاملًا عن فكرته، فلا يوجد أيُّ سببٍ لأن يكون للجُمَل إحالة، فقط لأن لأجزائها إحالات. فإنْ كان اهتمامنا بقيمة الصحة للجملة، وقيمة الصحة يُمكن أن تُعْرَف من خلال أجزاء الجملة، فلا يوجد سببٌ لأنْ نشغل أنفسنا أيضًا بإحالة الجملة، لأنه إن كان المصطلح في الجملة (مثلًا، أوديسيوس) يُحيل إلى شيءٍ ما حقيقيٍّ، فإن ذلك يجعل قيمة الصحة للجملة «الصحيح »، بافتراض أن الشيء المُحال إليه له السِمَة المسنَدَة إليه. إن فريغه لا يشرح هنا ضرورة الاعتراف أنَّ للجملة نفسها إحالة، والمقطع بالأعلى هو فقط الموضع الذي حاول فيه أن يُدافِع عن هذا الرأي. فربما للجملة خاصية كونها صحيحة، ولكنَّ ذلك سؤالٌ إضافيٌّ عمّا إذا كانت الجملة تُحيل إلى «الصحيح».

على الرغم من أن هذا الجزء من حجَّة فريغه مَعيبٌ، يقدّم فريغه زعمين إضافيّين يمكن التحقُّق منهما. يَدَّعي فريغه أولًا أنَّ الجُمَل لها قيَم صحَّة، وبالتالي يَدّعي أنَّ إحالة الجملة هي قيمة الصحة. فيخْلُص إلى أن إحالة الجملة قيمة صحّتها في هذا المقطع:

> لقد رأينا أنَّه يمكن دائمًا البحث عن إحالة لجملةٍ ما، كلما تمَّ إيجاد إحالة لأجزائها؛ وأن هذا هو الحال حين، وفقط حين، نستفسر عن قيمة الصحة. لذلك نحن مدفوعون إلى قَبول قيمة الصحَّة للجملة على أنها تُشَكِّل إحالتها. فبقيمة صحة الجملة، أفهم الظروف التي تكون فيها صحيحةً أو خاطئةً[20].

يَخْلُص فريغه هنا إلى أنَّ إحالة الجملة يجب أن تكون قيمة صحّتها. والسبب الوحيد خلف هذه الخُلاصة هو أن قيمة الصحة الخاصة بجملة هي شيء يُحدَّد من قبل إحالات أجزائها. يمكن توضيح هذه الجملة من خلال أمثلتنا السابقة عن حجج الاستبدال. فعند استبدال المصطلحات المفردة «ذات الإحالة المشتركة» (co-referential)، فإننا نحتفظ بقيمة الصحة. فقيمة الصحة الخاصة بـ«هيسپيروس ف» تبقى «الصحيح» عندما نستبدل «هيسپيروس» بـ«فوسفوروس». بالتالي،

يمكن القول إنْ تمَّ الاحتفاظ بإحالة الجملة باستبدال المصطلحات المفردة ذات الإحالة المشتركة بأنَّ قيمة الصحة هي الإحالة، مع إنَّه ثمة بعض المشاكل تنشأ من هذا الاستنتاج.

رغم أنّه بالإمكان الاحتفاظ بشيءٍ في ظلّ استبدال المصطلحات ذات المرجعية المشتركة، فلا يكفي هذا كسببٍ لتسمية ما تمَّ الاحتفاظ به على أنه إحالة الجملة. كما إنَّه ثمّة شيءٌ آخر، بالإضافة إلى قيمة الصحة، يمكن أن يَحتفظ به الاستبدال ولم يتكلّم عنه فريغه أبدًا –وهو ما نسمّيه «الحقيقة» (fact)، و«الحالة الراهنة» (state of affairs) التي تجعل الجملة صحيحةً. ففي هذا الصدد، تكون الحقيقة المذكورة في «فوسفوروس كوكب» نفس الحقيقة المذكورة في «فوسفوروس كوكب»، لأن الحقائق تتعلّق بالأشياء والخصائص، لا الكلمات المستخدمة لوصْفِها. فالحقيقة التي تجعل الجملة الأولى صحيحةً هي الحقيقة التي تجعل الأخرى صحيحةً أيضًا، أيْ إنَّ للشيء خاصيةً معينةً. وحين نستبدل اسمًا ذا مرجعيةٍ مشتركةٍ بآخر، يمكن الاحتفاظ بقيمة الصحة، وكذلك الحال مع «الحقيقة» التي تجعل الجمل صحيحةً. بعبارة أخرى، يتم الاحتفاظ بـ«الحالة الراهنة» التي توافِق الجملة، فلماذا لا نقول إنَّها هي الإحالة؟

إذن، يمكن الاحتفاظ بالحقيقة، فضلًا عن قيمة الصحَّة، حين يتم استبدال المصطلحات ذات الإحالة المشتركة. ويُعَدُّ هذا الاقتراح غير معارضٍ للبديهة بالمقارنة مع مقتَرَح فريغه: فكلُّ جملةٍ صحيحةٍ، بحسب نظرة فريغه، لها نفس الإحالة، وكل جملةٍ خاطئةٍ لها نفس الإحالة.

مع ذلك، ليس صحيحًا أنَّ كل جملةٍ صحيحةٍ تتوافَق مع نفس «الحالة الراهنة». وبهذا تكون «الحالة الراهنة» مصطلحًا أكثر فائدة من قيَم الصحَّة في هذا الشأن. بعبارة أخرى، إنْ كان للجُمَل إحالاتٍ لزومًا، فـ«الحالة الراهنة» تبدو خيارًا جيدًا، لأننا إنْ افتَرَضْنا أنَّ إحالة الجملة هي «حالتها الراهنة»، فستكون احتياجاتُنا: المعنى والحالة الراهنة فقط، ولا حاجة للحديث عن قيَم الصحَّة كأشياء إحالة. وهو مقترح يبدو أكثر منطقيةً من الادّعاء الغريب أنَّ الجملة تُحيل إلى قيمة صحّتها، وأن كل الجمل الصحيحة لها نفس الإحالة. كما إنَّه من الطرق الأخرى لتحدّي

ذلك المقترح الغريب هو أن نقترح أنَّ الجملة ليس لها إحالة أبدًا، فالجملة تعبِّر فقط عن فكرة. فإن كان من الواضح وجوب أن يكون للمصطلحات المفردة إحالة، فإنَّ الاحتجاج بأنَّ للأفكار إحالة احتجاج يفتقر لأيّ تبريرٍ حدسيّ أو جدليٍّ.

تظهر مشكلة أخرى حين نُلقي نظرةً فاحصةً على مقترح فريغه القائل بأنَّ قيمة الصحة الخاصة بالجملة هي «شيء» (object). فقيمة الصحة تبدو، على عكس مقترح فريغه، وكأنها خاصيّةٌ لشيءٍ ما، يُنْسَب إليه المسند «هو صحيح» (is true). فلماذا يرى فريغه أنَّ [المسند] «هو صحيح» مصطلح مفرَد لشيءٍ، هو «الصحيح»؟ إنَّ على فريغه أنْ يُنْكِرَ تمامًا طريقة هيكلة اللغات عند استخدام مفهوم «الصحة» (truth) هذا. فبدلًا من الجملة التي تقع في علاقة مع شيء يسمى «الصحيح»، فلماذا لا نقول بأنَّ الحقيقة هي مسألة جملة لها خاصية أن تكون صحيحة؟ فتحويل قيمة الصحة من خاصية إلى شيء خطوة غير ضرورية اتخذها فريغه في محاولته لمَدّ نظريته عن المعنى والإحالة إلى الجمل. والجمل ليست مثل المصطلحات المفردة.

لا يزال ثمة -على الأرجح- احتمالية لتفسير واحد يقدِّمه فريغه بالاعتماد على نظريته السابقة التي شكَّلها عن التعبيرات الكاملة والتعبيرات غير الكاملة و«الأشياء» (objects). يرى فريغه أنَّ التعبير الكامل دائمًا ما يُعيِّن «شيئًا» (object)، بينما التعبير غير الكامل دائمًا ما يُعيّن «مفهومًا» (concept). وفكْرَتُه عن الشيء واسعةٌ للغاية وهي كل ما يُحال إليه بتعبيرٍ كاملٍ، والمصطلحات المفرَدَة والجمل تعبيرات كاملة. فالسبب الذي يجعل الجمل تعبيرات كاملة أنها تُستخدم للإدلاء بمقولات وهذا سبب واضح، أمّا السبب الذي جعل فريغه يرى أنَّ المصطلح المفرد تعبير كامل فهو سبب أكثر غموضًا، فلا يمكن للمصطلح أن يُستخدم للإدلاء بمقولة. ورغم ذلك وبما أن فريغه يرى أنَّ أسماء العَلَم تعبيرات كاملة وأن التعبيرات الكاملة تُعيّن الأشياء، فقد خلُصَ إلى أنَّ كلًّا منهما يعيّن الأشياء. لذلك جادل بأنَّ هذه هي مهمّتهما، لأن ذلك ما يعنيه بـ«شيء» أي شيء مُعيّن بتعبير كامل. فالشيء الذي يجب أن تعيّنه الجملة هو قيمة صحتها (حتى وإن كان من الممكن أن يكون «الحالة الراهنة»).

إن الاعتراض الطبيعي على هذه الفكرة يكمن في استخدام فريغه للكلمة «شيء» (object) بمعنى أكثر تقنية، إذ إنه يدّعي أنَّ «الشيء» يُعرَّف على أنه أيّ شيء يُحال إليه بتعبير كامل. ولا مشكلة في تعريف الشيء بتلك الطريقة، ولكنه بذلك يُغيّر معنى الكلمة «شيء» من معناها المألوف إلى معنى أكثر تقنية. وبنفس الطريقة التي نصّ بها وحدد معنىً جديدًا لكلمة «شيء»، كان بإمكانه أن ينصَّ على أنَّ كل شيء يُحال إليه بتعبير كامل هو «كلب» (dog). فبإمكان فريغه بعد ذلك أن يُشكِّل تفسيرًا تقنيًّا لكلمة «كلب»، وذلك بجعل «كلب» تعني كل ما عُيِّنَ بتعبير كامل. وسيكون بمقدور فريغه إنْ قامَ بذلك أن يُغيّر معنى كلمة «كلب» بالكامل ويستخدمها ليُحيل إلى قيمة الصحّة بنفس الطريقة التي استخدم بها كلمة «شيء». وستظل الشكوك تُحيط بقراره الذي صَادَرَ معنى الكلمة «شيء» ذات المعنى والاستخدام الراسخين. فحتى إن كان بمقدور كل إنسان أنَّ ينصَّ على شيء، فلن نجد اكتشافَهُ شيئًا ذا بال حين يقول إنَّ قيم الصحة أشياء (أو كلاب).

1.10 جوانب أخرى من نظرية فريغه

لا تُحيل الجمل، بحسب فريغه، إلى «قيمة صحة» بطريقة تخالف الكيفية التي تتم بها إحالة مصطلح مفرد إلى إحالته المعتادة، فالجمل أحيانا تغير إحالتها. تذكر أنَّه إذا تم اقتباس اسم في جملة، فإن ذلك الاسم لا يُحيل إلى إحالته المعروفة ولكن إلى الاسم نفسه. وبنفس الطريقة إنْ تمَّ اقتباس جملة، فستكون الإحالة إحالة إلى الجملة نفسها لا قيمة صحتها. وليست تلك الحالة الوحيدة لـ«تحوّل الإحالة» (reference shift) بحسب فريغه، أو على الأقل، ليست الحالة الأكثر إثارة للاهتمام. فالجمل تُحيل إلى أشياء لا قيم صحتها حين تظهر فيما نسمّيه «سياقات مُبهمة» (opaque contexts). ولنتأمّل هذا المثال: «جون يقول إنَّ هيسبيروس كوكب». فبسبب وجود جزء ثانوي في هذا المثال (أي «هيسبيروس كوكب»)، يرى فريغه أنَّنا هنا لا نُحيل إلى قيمة الصحة الخاصة بذلك الجزء الثانوي ولا إلى هيسبيروس. ففي هذه السياقات المبهمة، تُحيل]جملة[«هيسبيروس كوكب» إلى الفكرة التي يعبّر عنها جون عندما وقعت الجملة في خارج ذلك السياق. بعبارة أخرى،

تعبّر الجملة، حين تقف بانفراد، عن معناها المألوف وتُحيل إلى قيمة صحة. وتتحول الإحالة حين تظهر نفس الجملة في سياق مُبهم. فالاسم «هيسبيروس» يُحيل الآن إلى المعنى الخاص به، أي المعنى المألوف، ولم تعد الجملة كاملةً تُحيل إلى قيمة صحتها ولكن إلى المعنى المألوف، والمعنى المألوف فكرة. لذلك، ليس شرطًا أن الجملة تُحيل دائمًا إلى قيمة صحّتها، بحسب فريغه (وهذا يجعلنا نتساءل لماذا هو مقتنعٌ تمامًا أنَّها تُحيل دائمًا إلى قيمة صحّتها). فالأساس الذي حدث بسببه «تحول الإحالة» يكمن في أن الجملة حين تظهر في هذا النوع من السياقات، تكون صحّتها أو خطؤها غير مهمّة لصحة أو خطأ الجملة كاملة. فعلى سبيل المثال، حين تقول جين «جون يقول إن هيسبيروس جبنة كُرِيمة»، فإنها تقول شيئًا صحيحًا حتى وإن كان جون يقول شيئًا خاطئًا. فسواء ما قاله جون كان صحيحًا أو خاطئًا، فذلك أمرٌ لا يهمنا كما يهمنا أمر جين ونقلها لكلامه ما دامت تنقل كلامه بصورة صحيحة. وبما أن قيمة صحّة جملتها تعتمد فقط على دقة الاقتباس، يرى فريغه أنَّ قيمة الصحة لهذه الجملة في هذا السياق المبهم يعتمد تمامًا على معنى الكلمات. فكل الكلمات إذن تُحيل إلى شيئين على أقل تقدير وفقًا لفريغه: يُحيل الاستخدام المعتاد للكمات إلى إحالاتها المعتادة، ويُحيل إلى معانيها المعتادة إن ظهرت سياقات مبهَمَة.

رغم أن لجميع الكلمات في السياقات المبهمة إحالات، فإننا نتساءل عمّا إذا كانت جميعها بمعانٍ مميّزة. فمعنى الاسم «هيسبيروس» في سياق معتاد لا يمكن أن يكون معنى اسم «هيسبيروس» في سياقٍ مُبْهَم. وإلا فإن المعنى لن يكون مطابقًا للإحالة، إذ إنَّ الإحالة الآن هي معناها المعتاد. لحلّ هذه المشكلة، يقترح فريغه أن ثمة «معنى غير مباشر» (indirect sense). وبهذا وبالإضافة إلى أن لكل اسم إحالتين بناءً على السياق، فإن له الآن أيضًا معنيين. فللاسم معناه المعتاد وله أيضًا المعنى الخاص به عندما يظهر في سياق مبهم. ويمكننا أن نفهم سبب وجود المعنى غير المباشر بالنظر إلى افتراضات فريغه، ولكننا لا نعرف ما هو المعنى غير المباشر. فبما أنه يُحال إليه، فيجب أن يكون ثمة معنى يُحيل إليه. فالمعنى طريقة

عرض، والمعنى غير المباشر بالتالي طريقة عرض لطريقة عرض. فأيُّ نوعٍ من المخلوقات هذا؟

ثمة طريقة أخرى لشرح مقترح فريغه وذلك بتأمُّل شخصٍ ينظر إلى شيءٍ من منظور معين. سيقدّم فريغه مفهوم «المنظور غير المباشر» (indirect perspective)، منظور على منظور. ولكن ما هذا المنظور بالضبط؟ فلا يمكن أن يكون ثمة منظوران على منظور، لأن الحركة (اختلاف موضع الشيء) ستتسبّب في منظور جديد. أضِفْ إلى ذلك أن فريغه لا يخبرنا ماذا يمكن أن يكون هذا الشيء المسمّى «منظور على منظور». هل من الممكن أن نلاحظ منظورًا ملاحظًا من منظورٍ محدّد؟ يشرح فريغه المعنى المعتاد بأمثلة المثلث والكواكب بصورة كافية، ولكنه لا يُعطي مثالًا واحدًا للمعاني التي توافق تلك الكلمات عندما تقع في سياقات مُبهَمَة. وقد تركنا نتساءل عن كيفية وجود طريقة عرض لطريقة عرض. وسيكون للنظرية في هذه المرحلة آثار منفصلة تمامًا عن أيّ شيءٍ يمكن التعبير عنه بوضوح. فإن أحسنّا الظنّ بفريغه، فيجب أن يكون ثمة حالات تكون فيها طريقة عرض لطريقة عرض لطريقة عرض (مثال: جين تقول «جون يقول إنَّني قلت إنَّ هيسبيروس هو جبنة كُريمة»)، ولا يوجد ثمة شرح عن ماهية طريقة العرض الثلاثية هذه. فمن المفترض أن تكون الطرق المتعددة للعرض مختلفة عن بعضها البعض، ولكن لا نعرف ماهيتها؟

برغم هذه الصعوبات في نظرية فريغه، يجب ألا نغفل مدى جاذبية نظرية فريغه من منظور تنظيري، إذ لها تركيبة بسيطة، بمكوّنات قليلة. كما إنها نظرية دلالية فريدة لم تُشيّد سلفًا حتى قدّمها فريغه في مقالته. لقد حاول فريغه تشييد نظرية رياضية للمعنى، نظرية أنيقة مقتصدة. وقد واجه رغم ذلك مشكلات حين حاوَلَ أنْ يمدَّ نظريَّتَه إلى اللغة الطبيعية غير المبسَّطة، فحاول أن يحشر أمورًا متباينةً في نموذَجِه المستوحى رياضيًّا. لهذا، تظلّ مساهمة فريغه للفهم الفلسفي لدلالات اللغة مساهمة عظيمة. فمن نواحٍ عدّة، كانت مقالة «عن المعنى والإحالة» المقالة التي فتحت النقاش عن كيفية تطوير نظرية صارمة للغة. ومع إنَّ كثيرًا من معتقدات فريغه في هذه المقالة مشكوكٌ فيها إلى

حدٍّ كبيرٍ، إلا أن فكرته عن معنى وإحالة المصطلحات الفردية أثّرت على فلاسفة المستقبل، وكثيرًا ما سنعود إليها.

---

(1) المترجم: كنتُ قد ترجمتُ (truth) بـ«الحقيقة» في كل الكتاب، حتى وصلت إلى الفصل الثامن عن الفيلسوف ألفرد تارسكي حيث اتضح لي جليًا أنَّ المقصد من (truth) «الصحَة» لا «الحقيقة»، وكما نعلم فالاسم (truth) في الإنغليزية مشتقٌ من الصفة «صحيح» (true). فإن جادلنا فرضًا أنَّ ترجمتها المناسبة «حقيقة» فيلزمنا بالاتساق أن نترجم (true sentences) بـ«جمل حقّة» (حقة من حقيقة) و(false sentences) بـ«جمل باطلة»، في حين أن ترجمتهما المناسبة هي «جمل صحيحة وجمل خاطئة». وعلى هذا، ادّخرت كلمة «حقيقة» كترجمة لكلمة (fact)، وترجمت جميع كلمات (truth) بـ«الصحة»، وعلى هذا أنبّه القارئ بهذا المسار فيضع ذلك في الاعتبار.

(2) المترجم: سأميل في هذا الكتاب إلى ترجمة حرف الـ (G) الإنغليزي بحرف الغين (غ) العربي. ومع إن حرف الـ (G) قد يُترجم أيضًا بحرف الجيم (ج)، إلا أن حرف الجيم قد يُحدث بعض الاضطرابات حين نترجم أسماءً تحمل حرفيَ الـ (G) و(J) على السواء كاسم (Jagger) الوارد في الفصل الثامن. فستكون ترجمة ذلك الاسم حينها (جاجر)، ويُلاحظ هنا وجود حرفيَ الـ (ج ج) في الاسم السابق، فلا يتضح للقارئ أي الجيمين ينوب عن (G) وأيهما ينوب عن (J). في حين لو قلنا (جاغر) سيتضح أنَّ الغين هو الحرف النائب عن (G) وأن الجيم هو الحرف النائب عن (J). نذكر ذلك في حال لم يرُقْ لك اختيارنا لكلمتي «الإنغليزية، وإنغلترا» (English, England) من مبدأ الاتساق، كبديل لترجمات أكثر شهرة: «الإنجليزية» و«إنجلترا».

(3) Gottlob Frege, «On Sense and Reference« in *Philosophy of Language: The Central Topics*, ed. Susana Nuccetelli and Gary Seay (New York: Rowman & Littlefield, 2008), 113.

(4) Ibid.

(5) Ibid.

(6) Ibid.

(7) Ibid.

(8) Ibid., 113–114.

(9) Ibid., 114.

(10) Ibid.

(11) Ibid.

(12) Ibid.

(13) Ibid.

(14) Ibid., 114–115.

(15) Ibid., 115.

(16) Ibid., 115–116.

(17) المترجم: يقصد المؤلف هنا بـ«المصطلحات المفردة» (singular terms) أي «الكلمات المفردة» في الجملة.

(18) Ibid., 116.

(19) Ibid., 117.

(20) Ibid.

كريبكي والأسماء

2.1 خلفية

سنقفز الآن ثمانية عقود نحو الأمام، والسبب في ذلك أن نظرية المعنى لفريغه والخاصة بالأسماء قد لقيَتْ انتقادات شديدة متواصلة عام 1972م، كان ينضج معها النقد لفترة من الوقت. ولهذا السبب، جاز لنا أن نقطع الاتصال الزمني بالاتصال الموضوعي. ففي هذا الفصل، سنناقش نظرية الوصف(Description Theory) الخاصة بالأسماء، ونقد سول كريپكي (Saul Kripke) لها في [مقالته] «التسمية والضرورة» (Naming and Necessity)[21]. فبما أن فريغه قد عُرِفَ على نطاقٍ واسع بتشييده لنظرية الوصف الخاصة بالأسماء، كانت انتقادات كريپكي موجهة بصورة كبيرة لفريغه ومَنْ حذا حذْوَه. تحتوي مقالة فريغه «عن المعنى والإحالة» على حاشية توضِح النظرية التي ينتقدها كريپكي، تأمَّل الحاشية رقم 4 في تلك المقالة:

> «في حالة وجود اسم عَلَم فعليّ كـ«أرسطو»، فإن الآراء حول المعنى قد تختلف. فقد يُفهَم على سبيل المثال التالي: طالب أفلاطون ومعلم الألكسندر الأكبر. وأيّ شخص يقوم بذلك فسيُلصق معنى آخر بالجملة «وُلِدَ أرسطو في ستاغيرا» على خلاف الشخص الذي يأخذ معنى الاسم [كالتالي]: معلم الألكسندر الأكبر هو الذي وِلِدَ في ستاغيرا. فبما أن الإحالة تظل نفسها، فاختلافات المعنى هذه قد تكون مقبولة، على الرغم من أنه يجب تحاشيها في التركيبة النظرية للعلوم المبرهَنَة، ويجب ألا تظهر في لغة مثالية[22]».

تقول الفكرة التي يطرحها فريغه في هذه الحاشية أنَّه حين يتحدث أناسٌ مختلفون لغةً تحتوي على أسماء علم، فإنهم يُلصقون أوصاف مختلفة بتلك الأسماء. وبما أن ذلك ممكنٌ، سيكون الاسم الذي يُلصِق به المتحدّثون عددًا من الأوصاف المختلفة غامضًا. وهذا الغموض مَعيبٌ للغة الطبيعية. ففي اللغة العلمية المركّبة بصورة سليمة، لا يمكن لنفس

اسم العلم أن يحمل أكثر من معنيين مختلفين لكونه مرتبطًا بأكثر من وصفين مختلفين. مع ذلك، يظل الناس في اللغة المألوفة يُلصقون أوصافًا مختلفةً بنفس الاسم. ويفترض فريغه هنا أن ما يقصده الناس بالاسم يمكن التعبير عنه بـ«وصف معرّف» (definite description)، ولذلك كان مهمومًا بكون الأوصاف تتنوّع، الأمر الذي يُنتج غموضًا غير مرغوبٍ فيه.

في «التسمية والضرورة»، لا يهتم كريپكي بمسألة الغموض، ولكن بالنظرية التي تثوي خلف معاني الأسماء. فيهتم بنظرية الأسماء التي تفترض أنَّ الوصف المعرّف هو الذي يمنح معنًى للاسم. وقد كتب فريغه هذه الحاشية على أن نظريته لا تتطلّب نقاشًا، فهي تُظهر شبح الغموض في اللغات الطبيعة فحسب. وربما يرى أنَّ نظرية الوصف واضحةٌ وضوح الشمس، وليست بحاجة إلى دفاع.

قبل أن نناقش نقاط كريپكي المهمة، من المهم أن نفهم بصورة أساسية نظرية الوصف الخاصة بالأسماء. خذ على سبيل المثال اسم عَلَم كـ«أرسطو». يُحيل اسم «أرسطو» إلى شخصٍ مات من فترة طويلة. ويمكن لأي شخص في الوقت الراهن أن يقول «أرسطو فيلسوف عظيم»، ويُحيل إلى ذلك الشخص الذي مات من فترة طويلة، ولا يكون ثمة غموض حول ما يقصده بذلك الاسم. فقد كان ثمة شخصٌ ما في اليونان القديمة، وذلك الشخص بعينه هو الشخص الذي نُحيل إليه اليوم حين نقول «أرسطو». فمن جميع بلايين البشر الذين عاشوا، نستطيع أن نلتقط شخصًا واحدًا من بينهم وذلك من خلال اسم «أرسطو». شيء مذهل! ولكن كيف نقوم بذلك؟ بلا شك ذلك ليس من خلال الصوت الذي يُحدِثُه الاسم حين نقولُه. يمكننا تقديم جُمَلٍ صحيحة حول هذا الشخص من قبيل «أرسطو كتب «علم ما وراء الطبيعة»». فنحنُ نُحيل إلى شخص مُعين ونقول شيئًا صحيحًا حوله. وبهذا، تسمح الأسماء بسَفرةٍ عبر الزمن اللغوي، وتَنقضّ على شخصٍ كان موجودًا منذ أكثر من ألفيْ عام.

السؤال المطروح: كيف نُحيل إلى شخصٍ مات من فترة طويلة باستخدام اسم، لا سيّما ولا نملك أيَّ دليلٍ خاص بالاسم نفسه؟

فالاسم فقط جزء من اللغة، أي إنَّه شكلٌ أو صوتٌ. لذلك، يكون من المُحال أن نتحقَّق من الاسم ومن طريقة كتابته ونُطْقِه وبالتالي نستخلِص هويّة الرجل الذي يُحيل إليه الاسم. وللإجابة على هذا السؤال، توصَّلَ الفلاسفة التابعون لفريغه إلى نظرية الوصف.

تستخدم نظرية الوصف أوصافًا معرّفة يمكن لها أن تنطبق على شخصٍ معيّنٍ لا غير وتُمَكِّن المتحدِّث من الإحالة إلى ذلك الشخص. فيمكن الإحالة إلى أرسطو بالوصف المعرّف «أفضل طلاب أفلاطون». كما تمكّن الأوصاف المعرّفة المتحدِّثَ أو الكاتب من الإحالة إلى شخص معين وذلك من خلال مزج عددٍ من الكلمات المختلفة، بحيث لا تُحيل تلك الكلمات الممزوجة إلا إلى شخص واحد محدد. فبالإضافة إلى الوصف المعرّف «أفضل طلاب أفلاطون»، نجد أمثلة أخرى للأوصاف المعرّفة من قبيل «أطول شخص في أستراليا» أو «رئيس الولايات المتحدة». فالفكرة الأساسية هنا أنَّ على الوصف أن يحيل إلى شخص واحد وشخص واحد فقط. فثمّة رجل في أستراليا هو الأطول فقط، كما إنه ثمة رئيس واحد للولايات المتحدة فقط، وثمة طالب هو الأفضل لأفلاطون. هذه الأوصاف مُعرِّفة بصورة دقيقة.

يُحيل الوصف المعرّف «أفضل طلاب أفلاطون» بدقة إلى أرسطو، بحكم أن أرسطو وحده هو الملائم لذلك الوصف. بعبارة أخرى، يلائم أرسطو المصطلحات الورادة في ذلك الوصف على نحوٍ دقيق، فقد كان طالبًا لأفلاطون وقد كان أفضل طلابه، وهذا الوصف المعرّف يُعبر عن تلك الصفات. بالتالي، عندما يتم استخدام الوصف المعرّف، فإنه لا يحيل إلى أيّ شخصٍ عدا أرسطو. كما تحتوي الأوصاف المعرّفة على مسند (predicate) (هو أفضل طلاب أفلاطون)، وفقط شيء واحد (أرسطو) هو من «يُرضي» (satisfies) ذلك المسند[23].

يبدو مبدئيًا وكأن الاسم «أرسطو» لا يتشكّل من المصطلحات الواردة في الوصف المعرّف، وأن الاسم لا يعبّر عن أيٍّ من صفات أرسطو. فعلى أيّ حال، لا يعبِّر من شكْلِه عن أيٍّ من الصفات التي يملكها شخصٌ ما عاش في اليونان القديمة في الماضي. لهذا، لا يمكن أن يُحيل الاسم بالطريقة التي يُحيل إليها الوصف المعرّف، إذ لا يملك نفس الطبيعة

الدلالية. مع ذلك، فإن الاسم «أرسطو»، بحسب نظرية الوصف، يعمل بنفس طريقة الوصف المعرّف. فبحسب تلك النظرية، يكون الاسم في الواقع مرادفًا للوصف. فالاسم «أرسطو» يُستخدم كصيغة مختصرة للوصف المعرّف «أفضل طلاب أفلاطون» لأسباب عملية بحتة. فليس من المريح أن نُحيل دائمًا إلى شخص بوصفٍ معرّفٍ طويلٍ. فبدلًا من تكرار «أفضل طلاب أفلاطون»، يمكننا اختصار هذا الوصف المعرّف باسم مرادف هو «أرسطو» (Aristotle). ويمكننا أيضًا إن رغبنا اختصاره أكثر إلى الاسم «أري» (Ari)، كونها جميعًا تفي بنفس الغرض، وهو أن نسهّل طريقة الإحالة إلى ذلك الشخص بعينه. بالتالي، فإن الأسماء مجرد أوصاف معرّفة موجزة، وطريقة إحالتها هي نفس طريقة إحالة الأوصاف.

بعبارة أخرى، تُحدِّد الأوصاف المعرّفة الاسم «أرسطو». فاسم «أرسطو» «صيغة متنكّرة» (disguised form) للوصف المعرّف. لاحِظْ أن هذه النظرية مفاجئة، ففي الظاهر أن الاسم ليس وصفًا معرّفًا، ولهذا عُدَّ كوصف معرّف متنكّر. نعرف الآن أنَّ الاسم «أرسطو» يُحيل إلى أرسطو لأنه اختصارٌ للوصف المعرّف لأرسطو. فبما أن الوصف المعرّف يُحيل إليه، فإن الاسم «أرسطو» أيضًا يُحيل إليه. فإذا قال جون لجين «من تعنين بـ«أرسطو»؟»، فيمكنها الردّ «أقصد أفضل طلاب أفلاطون»، وجملتها هذه مثالٌ على نظرية الوصف الخاصة بالأسماء.

إذا أردنا أن نفهم نظرية الوصف، فمن المهم أولًا أن نعرف كيف تعمل وما هي إلزاماتها. فينبغي علينا في البداية أن نضع بالاعتبار أن معنى الاسم «أرسطو» بحسب هذه النظرية يُعَبّر عنه بالوصف المعرّف: «أفضل طلاب أفلاطون». ولذلك حين تختلف الأسماء في المعنى، فإنها اختصارات لأوصاف معرّفة مختلفة. فبما أن معنى الوصف المعرّف يُشكل معنى الاسم، يمكننا استعمال شرح فريغه لمعنى الأوصاف المعرّفة من حيث طرائق عرضها (modes of presentation) كما ناقشنا في الفصل الأول. بالتالي، يُعطي الوصف المعرّف طريقة عرضٍ تشمَل جانبًا معرّفًا من الإحالة. فيمكن لأيّ اسمين بنفس الإحالة أنْ يعبرِا عن وصفين معرّفين مختلفين.

فالمعنى هو ما يُفهم عندما يُنطق أو يُكتب الاسم. فلفهم الاسم «أرسطو»، يستوعب المرء معنى الاسم، وبالتالي معنى الوصف المعرّف المرتبط به. لذلك، تكون نظرية الوصف نظرية للفهم الذي يعتمد عليه الاسم، وما يستوعبه المرء حين يستوعب معنى ذلك الاسم.

كما تخبرنا النظرية عمّا يُشكل «القيمة التثقيفية» (informative value) للاسم. فيُمْكِن تشكيل التطابقات التثقيفية مع الأسماء، وتقوم الأوصاف المعرّفة المرتبطة بها بإعطاء قيمتها التثقيفية. ففي مثال الاسمين «هيسپيروس» و«فوسفوروس»، تكون الأوصاف المرتبطة بهما: «نجمة المساء» و«نجمة الصباح» على التوالي. كما رأينا في نقاشنا عن جُمَل التطابق المستخدمة للأسماء في الفصل الأول أنَّ القيمة التثقيفية لهذين الاسمين تختلف، لأن الوصفين المعرّفين ليسا مترادفين مع بعضهما البعض، فأحدهم يقول «نجمة المساء» وآخر يقول «نجمة الصباح». ولتحديد المضمون المعبَّر عنه بجملة «هيسپيروس هو فوسفوروس»، ينبغي لنا استبدال الاسمين بالوصفين. وبما أنّ الوصفين غير مترادفين، فهذه الأنواع من الأوصاف تختلف من حيث قيمتها التثقيفية؛ بالتالي، يكون للأسماء التي تختصر هذه الأوصاف قيمة تثقيفية مختلفة.

أضف إلى ذلك أنَّ نظرية الأوصاف تشرح الأمر الذي يُحدّد بدِقَّة إحالة الاسم. فالوصف المعرّف يُحيل إلى شخص معين فقط. فالوصف المعرّف «أفضل طلاب أفلاطون» مثلًا هو شرط فريد لا يُلَبّيه سوى أرسطو. بالتالي، يُحدِّد الوصف المعرّف إحالةَ الاسم. ويتوافق هذا الجزء من نظرية الوصف مع نظرية فريغه للمعنى والإحالة كما ناقشنا في الفصل الأول، فقد ثبَتَ أنَّ المعنى هو الذي يُحدِّد للإحالة. فالمعنى يتضمَّن الوصف، والوصف يحدد الإحالة، وعلى هذا يُحدِّد المعنى الإحالة. فحين يقول شخص اسم «أرسطو»، فإنه يُحيل إلى شخص واحد فقط. فالوصف هو ما يستهدف إحالة الاسم لذلك الشخص المحدد.

أخيرًا، تشرح النظرية كيفية التمهيد لإحالة الاسم. فحين يُمهَّد لاسم معين في لغة، يُمهَّد له من خلال وصف معرّف. فيمكننا تصوّر موقفًا حدث قبل آلاف السنين حين يُخطِّط لتعميد طفل، فيسأل القِسّ «ما

اسم الطفل الذي سأقوم بتعميده؟». فتجيب الأم «أرسطو»، فيقول القِسّ «فليُسمّى الطفل الماثل أمامنا من الآن فصاعدًا بـ«أرسطو»». كما أن ثمة أمثلة أخرى للوصف المعرّف الذي يُحيل إلى شخصٍ ليس بمقربة تامّة من المتحدث. فمثلًا، قد يقول قائل «سأسمّي أطول شخص في أستراليا بالاسم «هيربرت»». الفكرة هنا أن بإمكاننا استخدام للتمهيد للأسماء ولإدخالها في اللغة.

2.2 انتقادات كريبكي

لقد ظلّت نظرية الوصف متداولةً بين الفلاسفة لوقتٍ طويلٍ، كما ظلّت أركانها الأساسية إلى حدٍّ ما متعاليةً عن النقد منذ أن قدّمها فريغه، حتى قدّم كريبكي اعتراضاته عليها عام 1972م. فمقالة «التسمية والضرورة» تحتوي على سلسلة من المحاضرات أشعلت كثيرًا من الجدل حول مزاعم كريبكي أنَّ نظرية الوصف خاطئة تمامًا. كما جادل كريبكي أنَّ نظرية الوصف خاطئةٌ تمامًا، الأمر الذي صدم الفلاسفة، فتلك نظرية صامدة لأكثر من سبعين سنة. تلقّى المجتمع الفلسفي احتجاجات كريبكي بدهشة كبيرة، فنظرية الوصف تبدو نظرية طبيعية تجد الكثير من القبول والتأييد. ومن المهم ملاحظته أن هذه النظرية تصف «الحالة السيكولوجية» (psychological condition) للشخص الذي يفهم أو يستخدم الاسم. فالفكرة تقول إنّه إذا كان الاسم مترادفًا مع وصف، فيجب أن يكون ذلك الوصف حاضرًا سيكولوجيًا في ذهن الشخص الذي قال الاسم. فالنظرية إذن تُخبِرُنا كيف نعرف معنى الأسماء. فلنرَ الآن انتقادات كريبكي للنظرية، فهو يعي تمامًا محتواها ومزاياها.

تقول نظرية الوصف أن الاسم «أ» (A) مرادف للوصف «الفاء» (the F). فكّر الآن في الجملة «أ هو الفاء» (A is the F). ثمة عدة خصائص لهذه الجملة. أولًا، من المعروف أنها صحيحة «بديهيًا» (a priori). فيمكن معرفة أن هذه الجملة صحيحة بدون أيّ تحقُّق تجريبيّ، فقط بفهم الاسم «أ». فإن كان «أ» مرادفًا لـ«الفاء»، فكل ما يحتاجه المرء لمعرفة معنى الاسم «أ» هو معرفة أن «أ هو فاء» (A is F). قارن ذلك بـ«العُزّاب ذكور غير متزوّجين» (Bachelors are unmarried males): ليس ثمة

حاجة لتعرف أكثر عن معنى «الأعزب» لتعرف أن «العزّاب رجال غير متزوجين». مع ذلك، إنْ قال شخصٌ «العزّاب غير سعداء» (Bachelors are unhappy)، فذلك يشرح مثالًا خاصًّا لجملة «غير بديهية» (posteriori)، حيث يُتطلب من المرء بحثٌ في العالم التجريبيّ ليُحدّد ما إذا كانت صحيحة. فلا يمكن تحديد صحة تلك الجملة بالنظر في تعريف «الأعزب». لهذا تكون جملة «أ = الفاء» تحليلية بحسب نظرية الوصف، أيْ صحيحة بالتعريف، وبديهية لأن الوصف يُعطي معنى الاسم، لا أكثر من ذلك.

ثمة صفة أخرى لجملة «أ= الفاء» أقصد صفة «الصحة الضرورية» (Necessary Truth). فإذا كانت الصحة تحليلية، فهي صحيحة في كل العوالم المحتملة. وبما أن المصطلحين مترادفان في تلك الجملة، فالجملة صحيحة بالضرورة، كما إن «أ = أ» (A = A) صحيحة بالضرورة. من ذلك نعرف أنَّ «أ هو فاء» في كل عالم محتمل، فقط لأن «أ» يعني «الفاء». وسيكون المضمون المعبَّر عنه بـ«أ هو الفاء» بحسب نظرية الوصف بديهيًّا وتحليليًّا وضروريًّا. وهذه آثار مترتبة من تلك النظرية. لاحظ أنَّه ليس كل وصفٍ تقرنه باسم سيكون له نفس الآثار المترتبة، لأنه ليس من المفترض من كل وصفٍ أن يكون مرادفًا للاسم. فقط بعض الأوصاف المعينة مرادفة للاسم. فحين يقول شخص «أرسطو»، فإنه يعني أفضل طلاب أفلاطون، ولكنه لا يُلحق أيّ صفات أخرى بأرسطو، لا يُلحق صفات لا يتضمّنها معنى «أرسطو»، كقوله إنَّ لديه شامة سوداء في مرفقه الأيسر. لذلك، تُنتج لنا بعض الأوصاف المعرّفة جملًا «غير بديهية» (posteriori) وجملًا «تركيبية» (synthetic) و«مُصادِفة» (contingent). فمن الواضح أن بعض الأشياء الصحيحة عن أرسطو هي صحيحة عنه فقط بصورة مصادِفة. فالفكرة الأساسية التي يجب فهْمُها أن بعض الأوصاف صحيحة عن أرسطو تحليليًّا وبديهيًّا، وفقًا لنظرية الوصف.

بناءً على ما تقتضيه نظرية الوصف، فإن سؤال كريپكي كالتالي: هل صحيح أن هناك وصف «الفاء» (the F) بحيث يولِّد مضمونًا يُعبّر عنها بـ[جملة] «أ هو الفاء» لها هذه الخصائص الثلاثة؟ أيْ، هل صحيح أنَّ

[جملة] «أرسطو كان أفضل طلاب أفلاطون» بديهية وتحليلة وضرورية؟ إذا كان هذا صحيحًا، فنظرية الوصف صائبة، وإن لم يكن كذلك، فهي خاطئة. يزعم كريبكي أنَّه لا يوجد وصف، أو مجموعة أوصاف، مرتبطة دائمًا باسم يولِّد هذه الخصائص الثلاث. بذلك، يجب أن تكون نظرية الوصف خاطئة.

لقد حاجَجَ كريبكي أولًا ضد ضرورة الوصف مستخدِمًا نفس المثال الذي استخدمه فريغه، أعني مثال «أرسطو»، ولذلك يمكننا استخدام وصفنا المعرَف لأرسطو هنا أيضًا («أفضل طلاب أفلاطون»). ثم حاوَلَ كريبكي أنْ يُبَيِّن أنَّ حقيقة كون أرسطو أفضل طلاب أفلاطون هي «صحة مُصادِفة» (Contingent Truth) لا «صحة ضرورية».

وبالطبع، لم يشكِّك أحدٌ أنَّ أرسطو كان أفضل طلاب أفلاطون، لأنه كتب الكثير من النصوص التشكيلية للفلسفة الغربية، وهو أكثر الفلاسفة تأثيرًا في العالم. فليس ثمّة جدلٌ كثيرٌ في العالم الواقعي عن كون أرسطو أفضل طلاب أفلاطون. ففي عالمنا، كان أرسطو بالفعل أفضل طلاب أفلاطون (إذ كان يحصل في اختباراته على أ+). مع ذلك، لم يطلب كريبكي منّا أن ننظر في حقائق أخرى وعوالم محتملة لا يكون هذا هو الحال. فلدينا العالم الواقعي، العالم الذي نعيش فيه الآن، حيث الأشياء يقينيّة، وفي هذا العالم، كان أرسطو فيلسوفًا، والشمس تشرق من الشرق، وثمّة رجلٌ مشى على القمر. ولدينا عوالم محتملة، حيث البدائل للعالم الواقعي، تكون فيه الأشياء المختلفة هي الحال القائم.

تخيّل أن أرسطو ولِدَ في نفس السنة، وله نفس الأبوين وعاش في نفس المنزل. مع ذلك، تعرّض وهو طفل لحادثة في العالم البديل، حيث ارتطم رأسه بمجسّم إغريقي فعانى من تليُّف دماغي منَعَهُ من مواصلة أعماله الأكاديمية. مع إن ذلك لم يحدث في عالمنا الواقعيّ بحمد الله، إلا أنه من الممكن أن يحدث في عالمٍ آخر. هذه الأحداث قد تقع بصورةٍ مصادِفة. فإن كان ذلك قد حدَثَ، فإن أرسطو لن يُسمّى الآن بأفضل طلاب أفلاطون، بل لن يكون فيلسوفًا من البدء. وثمّة أمثلة أقل تطرُّفًا لعوالم محتملة فيها سيكون أرسطو الذي نعرفه قد تحوّلت حياته تمامًا. فإذا كان لأرسطو هوايات موسيقية قوية، فلربما حضر في مدرسةٍ أخرى

بخلاف أكاديمية أفلاطون ليطوِّرَ مواهبَه الموسيقية. على هذا، يُجادل كريپكي أنَّ كون أرسطو أصبح فيلسوفًا لا شخصًا آخر ولا عازفًا قيثاريًا هو أمرٌ مصادِفٌ فحسب.

تقول الفكرة هنا إنَّ ثمة حقائق مُصادِفة حول الناس يمكن أن يُعبَّر عنها في أوصاف معرّفة. فليس من الضروري أن نسير في مسارٍ معينٍ في الحياة كمسار الفلاسفة مثلًا. فربما بإمكاننا ببساطة أن نسير في مسارات مختلفة، وكان بإمكان أرسطو أن يسير كذلك أيضًا. فهذه الحقائق مصادفة لا حقائق ضرورية كـ2+2=4 أو ككون العزاب رجالًا لا متزوجين. قد يكون الحال مغايرًا ببساطة.

وبما أن كون أرسطو أفضل طلاب أفلاطون هو مجرد حقيقة مصادفة، فإن جملة «أرسطو كان أفضل طلاب أفلاطون» تعبِّر عن حقيقة مصادفة لا حقيقة ضرورية. ولكن إذا كانت جملة «أ = الفاء» ليست ضرورية، فإن الاسم «أ» لا يعني نفس الشيء الذي يعنيه الوصف «الفاء». بهذا تكون نظرية الوصف خاطئة. ويمكننا تسمية حجة كريپكي بـ«الحجة الاحتمالية» (modal argument) لأنها تتعامل مع أسئلة «الاحتمال» (modality)، أي هل هي ضرورية أو مُصادِفة.

لقد ظن فريغه (وتبِعَه رَسل) أنَّنا حين نستخدم اسمًا كـ«أفلاطون» أو «أرسطو»، فإن الأعمال الشهيرة لأولئك الأشخاص المسمَّين تدور في أذهاننا. ولهذا صار وصف هذه الأعمال الشهيرة مرادفًا لأسمائهم. يعترض كريپكي على هذه المقترحات قائلًا إنَّه إذا قام شخصٌ بهذه الأعمال الشهيرة، فلم يَقُمْ بها بالضرورة. فمن الممكن أنه لم يقم بهذه الأعمال، وبالتالي فليس ثمّة صحة ضرورية تؤكد أنَّه قد قام بها.

2.3. تعيين صارم

عند هذه النقطة، يشرح كريپكي مفهومه لـ«المعيِّنات الصارمة» (rigid designators) و«المعيِّنات غير الصارمة» (non-rigid designators). ولنبدأ أولًا بنقاش المعيِّن غير الصارم. يعود كريپكي مُجددًا إلى فكرة العوالم المحتملة، فلنفكر في الوصف المعرّف «أشهر طلاب أفلاطون». في العالم الواقعي، يعيِّن ذلك الوصف أرسطو، ولكن لا يُعيِّنه في كل عالم

محتمل. ففي بعض العوالم المحتملة، قد لا يوجد أرسطو أصلًا، فليس صحيحًا في كل عالم محتمل أنَّ أمَّ أرسطو قد أنجبته. بالتالي، يكون الوصف المعرّف «أشهر طلاب أفلاطون» معيِّنًا غير صارم، أي إنَّه يُعيِّن أشياء مختلفة في عوالم محتملة مختلفة عما تعيِّنه في العالم الواقعي. فالمعيِّن غير الصارم يظلُّ نفسَهُ حين نفكر في كل عالم، ولكنه في عوالم مختلفة يُعيِّن أشخاصًا أو أشياءَ مختلفةً بناءً على «من يفعل ماذا» (who does what) في ذلك العالم.

المعيِّن الصارم، إذن، هو ذلك الذي يُعيِّن نفس الشيء في كل عالم محتمل. لهذا يزعم كريپكي أنَّ أسماء العلم معيّنات صارمة. وقبل أن نشرح معنى ذلك، لنتحقّق من أثر ذلك على نظرية الوصف الخاصة بالأسماء. فإذا كان صحيحًا أنَّ الوصف المعرّف معيّن غير صارم، وكان صحيحًا أنَّ الأسماء معيّنات صارمة، فبالتالي لا يمكن أن يكون صحيحًا أنَّ الأسماء مرادفة للأوصاف المعرّفة، لأنهما مختلفان دلاليًا. فإن استطاع كريپكي أن يُثبِتَ أنَّ الأسماء معيّنات صارمة وأن الأوصاف المعرّفة معينات غير صارمة، فسيكون قد أوضَحَ أنَّ نظرية الوصف خاطئة. بعبارة أخرى، سيوضّح أنَّ الأسماء تُحيل إلى نفس الأشياء في كل العوالم المحتملة، فيما تُحيل الأوصاف المعرّفة إلى أشياء مختلفة في عوالم محتملة أخرى.

السبب الذي جعل كريپكي يؤكد أنَّ الاسم معيِّن صارم هو أن الاسم يُحيل إلى شخص محدد واحد، وفقط إلى ذلك الشخص من عالَم إلى عالَم. لهذا، يؤكد كريپكي أنَّ الاسم «أرسطو» يُعيّن نفس الشخص في كل العوالم المحتملة. ولتفرض أنَّ الشخص الوحيد باسم «أرسطو» في العالم الواقعي هو ذلك الفيلسوف الإغريقي بعينه. فهل يمكن الآن لاسم «أرسطو» أن يُحيل إلى أي شخص غير أرسطو الحقيقي الذي يُحيل إليه بذلك الاسم؟ بمعنى، هل لأرسطو أن يكون شخصًا آخر غير أرسطو؟ الإجابة لا. فبناءً على معنى «أرسطو» كما هو موجود الآن، لا يمكن أن يعني أي شخص آخر غير الشخص الذي يعنيه بالفعل. ولكن شخصًا آخر غير أرسطو ربما يكون هو المعني بـ«أشهر طلاب أفلاطون»، ولكن ليس ثمة شخص مقصود غير أرسطو نفسه. فنحن نستخدم الاسم

لنلتقط شخصًا معينًا، وهذه الإحالة تظل ثابتةً من عالَم إلى عالَم، وكأنما الاسم يقبض على شخص محدد ولا يسمح له بالفكاك حين نجتاز «الفضاء الاحتمالي» (modal space)، بينما تسمح لنا الأوصاف أنَّ ننوّع إحالاتنا حين نسافر من عالَم إلى عالَم.

لقد أوضح كريبكي فكرته باستخدام عدد من الأسماء المختلفة كـ«موسى» مثلًا، ولا تزال نفس الفكرة تنطبق على أي حالة. فيمكننا تلخيص حجَّتَهُ على النحو التالي: إذا كان الوصف الذي يُعدُّ مرادفًا للاسم هو الوصف الذي يُسجّل أعمال شهيرة لحامل الاسم، وأن هذه الأعمال الشهيرة هي خصائص مصادِفة للحامل، فلا يمكن أن تنطبق على ضرورة ذلك الشخص. بالتالي، لا يمكن لها أن تكون مرادفة لذلك الاسم. بعبارة أخرى، تعطي أوصاف الأعمال الشهيرة معيّنات غير صارمة كـ«أشهر طلاب أفلاطون»، فيما تظلّ الأسماء معيّنات صارمة، وبالتالي لا يمكن أن يعني الأخير ما يعنيه الأول.

من المهم أن نلاحظ بعض الأشياء عن قوة هذه الحجَّة حتى الآن. النقطة الأولى أن الحجَّة تعمل فقط إذا كان الوصف يعبّر عن صفة مصادفة للشيء المعنيّ. مع ذلك، يظل السؤال المطروح هو: هل كل وصف في لغة يعطي صفة مصادفة للشيء أم لا؟ يُقرّ كريبكي نفسه أنَّ الأوصاف ليست دائمًا معيّنات غير صارمة، وأن ثمة حالات تكون فيها الأوصاف معيّنات صارمة. ولتوضيح هذه النقطة، فكّر في التالي: «ثلاثة هي التابع لاثنين» (three is the successor of two). هذه الجملة لها نفس الصيغة المنطقية «أ = الفاء» (A = the F). فالعدد «3» هو اسم الرقم «ثلاثة»، وذلك العدد يجب أن يكون مماثلًا للتابع لـ«2»، ولا يوجد عدد غير 3 يمكن أن يكون تابعًا لـ 2. هذه الجملة جملة صحيحة بالضرورة، وليست حقيقة مصادفة. فلا يمكن أن نجِدَ حالًا في العوالم الأخرى تكون فيه «3» هي التابع للعدد «82». فما دام التابع لـ«82» هو «83»، فلا يمكن لـ«3» أن تكون «83»، لأن من صلب طبيعة «3» ألا تكون «83». لذلك، فإن الوصف المعرّف «التابع لـ 2» هو وصف صارم للعدد «3»، وليس ثمة عالم محتمل يمكن أن يعني فيه الوصف أي شيء عدا العدد «3».

فالنقطة الاحتمالية التي يريد كريبكي إيصالها عن نظرية الوصف هو أنها مبنيّة على الأوصاف التي تُعيّن أعمال شهيرة متجذرة في «التصادف» (contingency). ولكن ماذا لو وصف الوصف جوانب من الإحالة ليست مصادِفة؟ في تلك الحالة، لن يصحَّ اعتراض كريبكي الاحتمالي. فإن كان ثمة صفات للبشر هي صفات ضرورية لهم بنفس الطريقة التي يكون فيها التابع لـ«2» صفة ضرورية لـ«3»، فإن ذلك يعني أنَّ نظرية الوصف ستكون أقل عُرْضَة للنقد مما يدّعيه كريبكي.

يناقش كريبكي في بعض أعماله شيئًا يسمّيه «ضرورة الأصل» (necessity of origin). وتنصُّ هذه الفكرة على أن جوهر الإنسان يأتي من الأصل الذي نشأ منه فعليًا. بعبارة أخرى، ليس ثمّة عالم محتمل يوجد فيه أرسطو ويأتي من أبوين غير الأبوين اللذَيْن أتى منهما. فحتى لو كان ثمة شخص يُشبه أرسطو في كافة التفاصيل في العوالم المحتملة المختلفة، فلا يُمكن أن يُؤهَّل ذلك الشخص لأن يكون أرسطو ما لم يمتلك نفس أصول أرسطو. ويُمكننا التعبير عن هذا الزعم الجوهري بالوصف المعرّف «الشخص ذو الأصل أ» (the person with origin O)[24]. يمكننا الآن القول إنَّ «أ هو بالضرورة الشخص ذو الأصل أ»، أو «أرسطو هو بالضرورة الشخص الذي انحدر من الأبوين أ و ب». وبالتالي، يمكننا موافقة كريبكي في أن هذه الجملة تعبر عن صحة ضرورية. ففي تلك الحالة، لا يمكن دحض نسخة نظرية الوصف على أساس عدم الصرامة والصفات المصادفة، لأن أرسطو يتَّسِق الآن مع ذلك الوصف وفي كل عالم محتمل: إنه بالضرورة الشخص ذو الأصل أ. وتعمل هذه الحجة الاحتمالية فقط إذا كان الوصف مُصادِفًا، وهذه ليست كلها مصادفات.

بالإضافة إلى ضرورة الأصل، ثمة نظريات مختلفة عن «التطابق الشخصي» (personal identity). فثمة نظرية تقول بأنَّ الشخص مطابقٌ لدماغه. ووفقًا لهذه النظرية، إن كان دماغ أرسطو قد زُرِعَ في جسد آينشتاين، فإن الشخص المنتوج هو أرسطو. فما دام دماغ أرسطو يحمل هويّته، فلا يهمُّ الجسد الذي زُرِعَ فيه دماغه. خذ شخصًا بدماغ «د» (Brain B). فإن كان أرسطو هو الشخص بدماغ «د»، فلا يمكن لأيِّ

شخص أن يكون أرسطو بدون دماغ «د»، وأي شخص بدماغ «د» سيكون بالضرورة أرسطو. بالتالي، يُعيّن وصف «الشخص ذو الدماغ د» أرسطو في كل عالم محتمل ويكون ذلك الوصف ضروريًا وصارمًا. ولن ينتج ذلك الوصف هذه الاعتراضات الاحتمالية، أي الاعتراضات ذات الصلة باحتمالية الوصف المعبّر عنه.

في مقالة «التسمية والضرورة»، لا يهتم كريبكي أبدًا بهذه الأنواع من الأوصاف الصارمة، إذ إنَّهُ حجَّة مقنعة ضد نسخة الأعمال الشهيرة الخاصة بنظرية الوصف، ولا نملك أيَّ سببٍ لأَخْذِ نظرية الأعمال الشهيرة على أنها تشكل المجال الكامل لنظرية الوصف. فحتى إن كان فريغه ورَسِلْ مهووسين بالأعمال الشهيرة، فثمة أمثلة أخرى للأوصاف تؤكد شيئًا غير مصادِف عن الشخص. وعلينا فيما يلي التفكير في احتجاجات كريبكي الأخرى لنرى إن كانت ستتغلب على هذه الإشكالات.

2.4 اعتراضات كريبكي الإبستمولوجية

ترتبط إحدى اعتراضات كريبكي غير الاحتمالية بما إن كان ثمة شيء بديهيّ. فإذا كانت الجملة تحليلية، أي صحيحة بالتعريف، فيجب أن تكون بديهية - أي معروفة دون التحقق من العالم الخارجي. وإن كانت غير بديهية، فليست إذن تحليلية. فإن كانت غير تحليلية، فإن المصطلحات إذن غير مترادفة؛ وإن كانت غير مترادفة، فنظرية الوصف خاطئة. يعطي كريبكي مثالًا على ذلك بتوظيف الفيزيائي «ريتشارد فينمان» (Richard Feynman)، فيفترض أنَّ شخصًا يَعرِف أنَّ فينمان فيزيائي، ولكنه لا يفهم إسهاماته الدقيقة في الفيزياء. فأغلب الناس ليسوا مختصين في الفيزياء ولن يكونون قادرين على إخبارك باكتشافات فينمان الفريدة، ولكنهم يستطيعون القول بأنَّ «فينمان فيزيائي شهير». فإن سُئِل نفس الشخص عن غيلمان (Gellman)، قد يقول «غيلمان فيزيائي شهير أيضًا». ومن الواضح أنه بهذين الوصفين، ليس ثمة ما يميز الفيزيائييَن عن بعضهما البعض، فكلاهما ببساطة «فيزيائي شهير». فليس لدى الشخص الذي قال هاتين الجملتين معرفة كافية في ذهنه ليعرف ويصِف فينمان وغيلمان. يريد كريبكي من هذه النقطة أن نفس المعلومات

سترتبط بالأسماء عند المتحدِّث غير المختَص، ولكن هذه المعلومات غير كافية لتحديد فيزيائي عن الآخر. بالتالي، لا تحدّد المعلومات الوصفية في عقل المتحدث إحالة الأسماء، مع أن المتحدّث يستطيع أن يُحيل إلى أشخاص مختلفين مُعيَّنين، ولكن لا يعرف أي وصف معرَّف صحيح من حيث إحالته، وبالتالي لا يعرف أيًّا من هذه الأوصاف البديهية بصورة موثوقة. وحتى إذا لم يستطع المتحدث التمييز بين فينمان وغيلمان، فلا يُحيل إلى غيلمان حين يستخدم الاسم «فينمان». فهو في هذه الحالة لا يملك ذلك النوع من المعرفة التي ترى نظرية الوصف أنَّ عليه امتلاكها ليفهم الاسم. فالمتحدث لا يعرف بديهيًا أنَّ فينمان هو «الفاء» (the F) لبعض «فاء» (some F) التي تحدّد فينمان بدقة. لا يعرف الوصف البديهي أن فينمان هو «الفاء» لأنه لا يعرف أبدًا أن فينمان هو الفاء. لذلك، لا يمكن أن تكون الأوصاف في عقله هي من يحدد إحالة الاسم حين يستخدمه. فكّر الآن في حالةٍ يأتي فيها شخصٌ ما ويخبر متحدّثنا البسيط أنَّ «فينمان هو الرجل الذي أنتج نموذج الباترون». بلا شك سيكون متحدّثنا قد تعلّم شيئًا من ذلك الشخص، شيئًا احتواه الوصف المعرَّف حول فينمان. ورغم ذلك، فإن هذه المعرفة، كما يوضح كريبكي، ليست بديهية. فنظرية الوصف تقول إنَّه إذا كان الوصف مرادفًا للاسم، فيجب أن تُعرف الجمل الناتجة بديهيًا. والشخص الذي سمِعَ أنَّ فينمان هو الرجل الذي أنتج نموذج الباترون يعرف شيئًا تجريبيًّا عن فينمان، لا شيئًا بديهيًا. تقول نقطة كريبكي إنَّه لكل وصف يربطه الشخص مع الاسم، يُعرف الوصف دائمًا بطريقة تجريبية، لا تحليلية. وهذه الجمل التي تُخبرنا عن هذه الأعمال الشهيرة دائمًا تركيبية، لا تحليلية أبدًا.

النقطة الثانية التي يوصلها كريبكي مبنية على مثال «غودل-شميت» (Gödel–Schmidt). فالكثير من الناس ممن سمِعوا عن كيرت غودل (Kurt Gödel) يعرفون أنَّه الرياضي الذي أثبت «عدم اكتمال الحساب» (incompleteness of arithmetic). بالتالي، يمكننا أن نُحيل إلى غودل بالوصف المعرَّف «الرياضي الذي أثبت عدم اكتمال الحساب». يطلب كريبكي منّا أنْ نفترض أنَّ غودل لم يُثبت تلك النظرية أبدًا، فمن أثبتها شخصية غامضة تدعى «شميت». كذلك يطالبنا أن نتصوّر -وبصورة

افتراضية- أنَّ غودل قد سرق نظرية عدم اكتمال الحساب من شميت، وأنَّ غودل حصل بصورة غير عادلة على جوائز ابتكار الدليل.

في تجربة كريپكي التخيّلية هذه، يكون الشخص الذي يُحال إليه حين يقول شخص «الرياضي الذي أثبت عدم اكتمال الحساب» هو شميت، وليس غودل. وفي هذه الحالة، يتكوّن لدى المتحدِّث اعتقادٌ خاطئٌ عن غودل، فهو يعتقد أنَّ غودل اخترع الدليل، ولكنه لم يفعل. ولا يمكن لاعتقادِه الخاطئ عن غودل أن يشكِّلَ الوصف الذي يحدّد إحالة الاسم «غودل» حين يقوم باستخدامه. فهو يُحيل إلى غودل بـ«غودل»، بينما الوصف يُحيل إلى شميت.

مثال آخر من نوع مثال «غودل-شميت» لم يستخدمه كريپكي هو مثال رؤية الأشياء. تقول نظرية الوصف الخاصة بالنظر إنَّ الوصف في ذهن الناظر هو الذي يحدِّد الشيء المرئي. تخيّل أنَّ الوصف هنا مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بمظهر ما يتم رؤيته. فالمظهر مثل الوصف، ويمكن أن يُشبِهَ الشيء وارتباط الناظر به بالشيء بالمُحال إليه بالاسم. فنظرية الوصف تحاول أن تحلّل العلاقة في رؤية الأشياء. أي، إنَّ الشيء المرئي يُحدَّد بالمظهر الموجود في ذهن الناظر، والتي تترجمه إلى وصف.

يكمن الاعتراض الأول على هذه النظرية في أنّه من الممكن أن يكون هناك شيء آخر في العالم مشابِهٌ جدًّا للشيء الذي رآه الناظر بدءًا. بالتالي لا يمكن للتجربة المرئية للناظر أن تكون هي المحدِّد للشيء المرئي، إذ قد يكون هناك الكثير من تلك الأشياء. فلا يمكن للشيء المرئيّ أن يُحدَّد بدقة من خلال تجربة الإنسان الكيفية.

كما أننا على نحوٍ مشابهٍ مُلِمّون بالغموض المرئي الذي يعكسه مثال «غودل-شميت». فلتفرض أنَّ شخصًا رأى شيئًا، وتعرض لغموض مرئي فيما يخصّ ذلك الشيء. هل ذلك يعني أنَّه لا يرى ذلك الشيء بالفعل؟ الإجابة لا، فهو يراه، ولكن تجربته تُسيء تمثيلَ ذلك الشيء. وليس الحال أنه يرى بالفعل شيئًا بعيدًا يناسب تجربته بصورة أفضل. الدرس المراد هنا أنَّ ما يحدد «شيء الرؤية» ليس في الواقع الطبيعة الداخلية لتجربة الناظر نفسها، فهي لا تمثّل الشيء بصورة صحيحة. نعم، تلعب الطبيعة

الداخلية لتجربة الناظر دورًا، ولكنها ليست العامل الوحيد الذي يضبط علاقة الرؤية. فالشيء الذي تراه هو الشيء الذي يجعلك تحظى بتجربة مرئية. والنظرية السببية للرؤية تفترض أنَّ الشيء المرئي هو الشيء الذي يسبب التجربة المرئية. فلا يحتاج الشيء الذي يناسب تجربة الانسان بصورة لائقة لأن يكون المسبِّب للتجربة.

فَكِّر في الإحالة بواسطة أسماء العلم وفقًا لمثالنا المرئيّ. فما يُحدّد الشيء الخاص بالإحالة ليس ببساطة ما يدور في ذهن المتحدِّث من حيث الأوصاف، بل هي علاقة خارجية بين المتحدّث وشيء من نوعٍ آخر. وقد تكون هذه العلاقة من نوعٍ سببيٍّ، كما في حالة الرؤية. وستدافع نظرية كريبكي لاحقًا عن النظرة التي تقول إنَّ الشيء الخاص بالإحالة هو ما يجعل الشخص يستخدم اسمًا لا يناسب التوصيف في ذهن المتحدث بصورة لائقة. وهذا التشبيه بالرؤية يساعد في توضيح الأخطاء الحدسية في نظرية الوصف والتي أظهرها مثال غودل-شميت والأمثلة الأخرى المشابهة.

فإذا كانت الاعتراضات التي طرحها كريبكي من خلال الأفكار التخيُّلية الخاصة بفينمان وغودل-شميت صحيحة، فذلك يعني أنَّ نظرية الوصف الكلاسيكية خاطئة. فلا يمكن للأوصاف في ذهن المتحدّث أن تُحدِّد الإحالة لأن الإنسان قد لا يملك وصفًا معرّفًا في ذهنه (كما في مثال فينمان)، أو أن الوصف قد لا يناسب الإحالة الواقعية (كما في مثال غودل-شميت). بالتالي، ليس ثمّة وصفٌ يحدّد إحالة الاسم، وهذا يُلخِّص سبب معارضة حجة كريبكي لنظرية الوصف، والتي تحوي جزءًا احتماليًّا وجزءًا إبستمولوجيًّا.

ومع أننا قد استعرضنا بعض الحجج المعارضة للجزء الاحتمالي من حجة كريبكي، يبدو لنا الجزء الإبستمولوجي مقنِعًا للغاية. وبما أن نظرية الوصف تحلّ الكثير من المعضلات الدلالية فيما يخصّ الأسماء، فعلينا أن نسأل ما النظرية البديلة التي علينا اقتراحها كبديل.

2.5 نظرية السلسلة السببية

إذا كانت نظرية الوصف خاطئةً، فالسؤال الأول الذي يتوجّب علينا طرْحُه هو: كيف نحل مشكلة فريغه عن القيمة التثقيفية لجمل المطابقة التي تمّت مناقشتها في الفصل الأول والتي لا يذكرها كريپكي عادةً مع أنه يذكر سلسلة نظرية الاتصال للتسمية؟ يحتجّ كريپكي أنَّنا لا نُحيل إلى شيءٍ بالاسم من خلال وصف في أذهاننا يلتقط ذلك الشيء. فالتسمية ظاهرة أكثر اجتماعية وتواصُليّة مما تقتَرِحُه الصورة. لذلك، يقترح كريپكي أنَّ علينا مراعاة هذا الواقع الاجتماعيّ عندما يُسمّى شخص، ونستطيع الآن أن نعود إلى مثالنا الأول عن أرسطو الذي تم تعميدُه. فالطفل، أرسطو، أُعطِيَ اسمًا، وكان الناس حاضرين حين ابتدأ التعميد بذكر اسمه. ولنفرض أنَّ الناس الذين لم يروا أرسطو بدأوا بعد خمس سنوات بالإحالة إليه باسمه. ثم بعد عقودٍ من التواصل بين الناس، مات أرسطو في يومٍ من الأيام، ولا يزال الناس يُحيلون إليه. يرى كريپكي أنَّ السبب في كون الناس لا تزال تتحدث عن أرسطو بعد موته يعود إلى أنهم قد تحدثوا مع أشخاص عرفوا أرسطو، وبالتالي التقطوا الإحالة من خلال أولئك الناس.

لهذا السبب، يصف كريپكي وضعًا تاريخيًّا فيه يكون كل متحدّث بمثابة الحلقة في سلسلة، وكلٌّ منهم يُحيل إلى نفس الشخص باسم «أرسطو» كما يفعل الشخص السابق في السلسلة. فهنا، يتم الحفاظ على الإحالة من خلال الإحالة إلى نفس الشخص كما يُحيل إليه شخص من خلال الذين حصلنا منهم على الاسم بدءًا. وهذه السلسلة تستمرّ عبر القرون، حتى عصرنا الحاضر، حيث يقول أحدنا «أرسطو فيلسوف عظيم». لذلك، نستطيع أن نُحيل إلى أرسطو بسبب هذه السلسلة من الاتصالات اللغوية التي تمتدّ إلى وقت تعميدِه.

لاحظ أنَّ كريپكي يؤكّد على أن المتحدث ليس هو من يملك وصفًا لهذه السلسلة في ذهنه، بل كونه حلقة في السلسلة السببية هو ما يجعله يُحيل إلى شخصٍ سابقٍ. بعبارة أخرى، عندما نُحيل إلى أرسطو، لا يحتاج المرء إلى امتلاك وصفٍ لأرسطو في ذهنه، ولكن يحتاج لأن يكون حلقةً في السلسلة السببية الصحيحة. ويشبه هذا المثال إلى حدٍّ ما مثالنا عن الرؤية، بخلاف أن هذا المثال اجتماعي. ففي حالة الرؤية، تتسبب الأشياء

في العالم الخارجي بإحداث التجارب في الرائي. وبنفس الحال، وبحسب نظرة كريپكي، يكون الشيء في العالم الخارجي هو ما يُسبب هذه السلسة الطويلة من التواصل التي تجعل الإنسان يقول اسم «أرسطو». وبسبب تلك السلسلة السببية الطويلة، يمكن لأيّ شخص متَّصِل بها على نحوٍ لائق أن يُحيل إلى ذلك الشخص. فالوصف الذي يملكه الشخص في ذهنه لا يهم في هذه الحالة، المهم أن يكون منخرطًا في هذه السلسلة السببية مع متحدّثين آخرين. فهؤلاء الأشخاص يشكِّلون سلسلة طويلة تعود في الزمن إلى تلك الفترة التي سُمِّيَ فيها أرسطو للمرة الأولى بـ«أرسطو». هذه هي الصورة البديلة التي رسمها كريپكي لنا فيما يخص كيفية عمل الإحالة وما يُحدّدها.

2.6 اعتراضات على انتقادات كريپكي

يَعرِف كريپكي أنَّه لا يقدم نظريةً للشروط الكافية والضرورية، لأن نظرية السلسلة السببية تواجِه مشاكل ظاهرة للعيان. مع ذلك، لا يزال يؤمن أنَّه يرسم صورةً للإحالة أفضل من نظرية الوصف، مع أنه يُقرُّ أنَّ السلسلة السببية قد تكون مقطوعةً عند نقاط معينة. فثمة كثير من الأمثلة على ذلك. فقد لا ينوي شخصٌ في السلسلة الإحالة إلى نفس الشخص، أو أنه قد يقترف خطأً في الاسم، أو ربما يُغيِّر إحالة الاسم. رغم ذلك، تظل تلك المسائل الشائكة والتي قد تظهر إنْ قَبِلنا بنظرية كريپكي مشاكل حول معنى الأسماء وقد طرحها فريغه سابقًا. فإذا كان كريپكي يرفض نظرية الوصف، فهو لا يؤمن أنَّ معنى الاسمَ مماثلٌ للوصف. فكيف إذن سيشرح القيمة التثقيفية لـ«هيسپيروس هو فوسفوروس»؟ ذكر كريپكي كنظرية بديلة نظرة جون ستيوارت مِل (John Stuart Mill)، والتي تقول إنَّ معنى الاسم هو ببساطة حامِلُه. ولكن لا يمكن لهذه النظرة، كما رأينا حين تأمَّلْنا عمل فريغه، أن تتعامل مع حالة «أ=ب»، حيث إن «أ» و«ب» يُحيل إلى نفس الشيء (مثال «هيسپيروس» و«فوسفوروس»). فإن كانت نظرة مِل صحيحة، فإنَّ لجملة «أ=ب» نفس المحتوى المعرفي لجملة «أ=أ». تحلّ نظرية الوصف التي قدّمها فريغه هذه المشكلة؛ ولكن ليس أمام كريپكي، الرافض لنظرية الوصف، سوى نظرة مِل، والتي لا تشرح معنى الاسم بصورة وافية. فلا

يمكن في حال رفضنا نظرية الوصف أن نتبنّى نظرية بديلة أفضل، كنظرية مِل، فذلك قد يقودنا مباشرةً إلى مشكلة فريغه. إنَّه ثمة معضلة معقدة بين أيدينا.

نحتاج، بسبب هذه الصعوبات، إلى نظرة أخرى حول نظرية الوصف لنحدّد ما إذا كانت حجج كريپكي تنقضها. وقد غطينا حتى الآن الاعتراضات على جوانب حجة كريپكي الاحتمالية والتي من الممكن أن تنعش نظرية الوصف. مع ذلك، تظل حجة كريپكي الإبستمولوجية تتطلّب مجموعةً أخرى من النظرات. فيمكننا أولًا أن نقرر أنَّ نظرية الوصف نظرية للمعنى لا الإحالة، فقد نقض كريپكي استخدام نظرية الوصف لتحديد الإحالة بمثال غودل-شميت، مع إنه لا يزال بإمكاننا أن نفترض أنَّ الوصف يُشكّل معنى الاسم فيما يخصّ محتواه المعرفي. فبحسب هذه المقاربة، يمكن لاسمين أن يكون لهما «قيمتان معرفيّتان» (cognitive values)، محتواة بداخل الأوصاف، دون افتراض أنَّ الأوصاف التي تشكل القيمة المعرفية أيضًا تحدّد إحالة الاسم. فيمكننا أن نفكر في المسألة كمثال الرؤية. فحين يرى الإنسان شيئًا ما، فثمّة مركب معرفي سيكولوجي للتجربة ومركب خارجي للشيء يُسبب التجربة. وقد يكون ثمة تركيب ذو عاملين خاص بالأسماء بنفس الطريقة. فتكون الأوصاف هي المحتوى المعرفي والسيكولوجي للاسم، وتكون السلسلة السببية هي ما يحدد الإحالة. وفقًا لهذا الحل، سنتبنّى مقاربةً ذات عاملين تجاه معنى الأسماء: جزء يحدد الإحالة وفقًا لنظرية كريپكي، وجزء أكثر سيكولوجية يصف ما يدور بذهن الإنسان عندما يفهم الاسم. بالتالي، يشكّل الوصف الجانب السيكولوجي للمعنى، ويبقى الجانب الإحالي مُحدَّدًا من قبل سلسلة كريپكي السببية. هذه المقاربة ذات العاملين تحلّ المشاكل التي طرَحَها فريغه، مما يجعلنا نتقبّل أمثلة كريپكي المعارضة. ورغم كل ذلك فإننا لا نزال نواجه مشكلة عدم الإجابة على حجج كريپكي الإبستمولوجية تجاه نظرية الوصف.

فإذا كانت حجج كريپكي الإبستمولوجية تنقض نظرية الوصف في صيغتها الكلاسيكية، فلا يزال من الممكن الإبقاء على نظريةِ وصفٍ تُخفِّف بصورةٍ ما قوة تلك الحجج. ففي تجربة غودل-شميت التخيّلية،

يُحيل شخص في مجتمع لغويٍّ إلى غودل باستخدام اسم «غودل»، رغم أن في ذهنه وصفًا خاطئًا للإحالة. مع ذلك، لم يذكر كريبكي حقيقة أن بعض أعضاء المجتمع لديهم في أذهانهم وصفًا صحيحًا مُحددًا لغودل. فإذا كانت اللغة اجتماعية كما يراها كريبكي، فإن الشخص الذي يُصدّق الوصف الخاطئ لغودل متصل بأشخاص آخرين يعرفون الأوصاف الصحيحة لغودل. بالتالي، يمكن إصلاح إحالة ذلك الإنسان من خلال كونه جزءًا من مجتمع لغوي يربط فيه بعض الناس أوصافًا صحيحةً بالاسم، حتى وإنْ لم يفعل جميعهم ذلك.

2.7 الشخصية الاجتماعية للأسماء

تتعامل اعتراضات كريبكي الإبستمولوجية بالأساس مع الأوصاف على مستوى الفرد. ولكن، إذا كانت نظرية الوصف ترتَكِز على مستوى المجتمع لا الفرد، فستنهار الاعتراضات التي تطبّق وصفًا خاطئًا على الشخص. فوفقًا لنظرية الوصف الاجتماعية، تُحدَّد الإحالة من قبل الأشخاص الذين يملكون وصفًا صحيحًا بأذهانهم. وبهذا نصل إلى فكرة «الانصياع اللغوي» (linguistic deference). فالأشخاص الأقلّ معرفةً بإحالة اسم ينصاعون لأولئك العارفين بها. ولنوضِّح الانصياع ونظرية الوصف الاجتماعية، سنعود إلى مثالٍ تاريخيٍّ ذكره كريبكي يُشبه مثال غودل-شميت. يُعَدُّ «جوزيبه بيانو» (Giuseppe Peano) رياضيًا إيطاليًا قعّد لعلم الحساب، فثمة مسلّمات متنوعة تسمى «مسلّمات بيانو» (Peano's axioms). مع ذلك، لم يكن بيانو، بحسب المختصّين، هو من ابتدع تلك المسلّمات، فالذي قعَّدَ هذه المجموعة من المسلّمات هو «ريتشارد ديديكايند» (Richard Dedekind)، وهو رياضيٌّ عاش في القرن التاسع عشر، واكتفى بيانو بتقديم نسخةٍ منقَّحَةٍ لتلك المسلّمات. ومع أن بيانو قد استشهد بأعمال ديديكايند بصورة واضحة، إلا أن بعض الناس أخطأوا ونسَبوا المسلّمات لبيانو، ومن ثمَّ عُرِفَت بـ«مسلّمات بيانو». بالتالي، يوجد الكثير من الناس في مجتمعنا اللغوي لديهم فكرة خاطئة عن بيانو. فإنْ قامَ شخصٌ منهم باستخدام اسم «بيانو» معتقدًا أنَّه هو من يناسب الوصف المعرّف «الرجل الذي قعَّدَ لعلم الحساب»، فذلك لا يعني أنَّه يُحيل إلى ديديكايند بـ«بيانو». والسبب أن ثمَة أناسًا

آخرين في المجتمع يعرفون أوصافًا صحيحة أخرى تنطبق على پيانو، كـ«الرجل الذي استشهد بابتداع ديديكايند للمسلّمات». بهذه الطريقة، تكون نظرية الوصف صحيحةً للمستخدِمين الأساسيين للاسم وللمختصّين الرياضيين، وللأشخاص الذين ينصاع لهم الآخرون عند استخدام الاسم «پيانو». فالأوصاف المستخدَمَة من قِبَل المختصّين تطغَى على تلك المستخدمة من قِبَل المتحدثين أصحاب المعلومات المغلوطة الشاذة. فالاعتقاد الوصفيّ للمختصّين يُصحِّح إحالة الاسم، لا اعتقادات الجاهلين.

ثمّة مثالٌ آخر يوضّح هذه النقطة وهو ذو صلةٍ بالمصطلحات العلمية المستخدمة من قِبَل غير المختصّين. فمصطلحات معيّنة مثل «دي إن أي» (DNA) تجد قبولًا في الثقافة الشعبية، رغم أنه ليس لدى الناس معرفة كبيرة بتلك المصطلحات. فرغم أن الناس تستخدم المصطلح «دي إن أي» في كل وقت، يُحيل قلّةٌ منهم إلى «الدي إن أي» بالوصف العلمي الدقيق ويفهَمُه كاملًا. وثمّة أناسٌ لا يفهمون «الدي إن أي» فيستعيرون إحالتهم من أولئك الذين يملِكون وصفًا دقيقًا في أذهانهم. فإذا لم يكن ثمّة شخصٌ لديه وصفٌ صحيحٌ عن «الدي إن أي» في ذهنه، فلا يمكن لأحد أن يُحيل إليه. فحين يدخل اسم إلى اللغة، فإن إحالته تتحدد من قبل الوصف الذي يُدخله إلى تلك اللغة. ولا ينكر كريپكي هذه الاحتمالية، لأنه يقبل بدخول الأسماء عن طريق الأوصاف. فكون بعض الناس لا يعرفون بدقّة ما تعنيه تلك الأسماء لا يعني أنَّ تلك الأسماء ليس لها معاني، كما هو الحال مع «الدي إن أي». وعلى هذا الأساس، لا تنقُض حجة كريپكي الإبستمولوجية نظرية الوصف إذا كانت نظرية الوصف مقترحة كنظرية لـ«لغة المجتمع». كما لا تنقُض حجج كريپكي نظرية الوصف لو عُدِّلت النظرية لتشمل هذا الجانب الاجتماعي، رغم أنها تنقض بوضوحٍ الصيغة الفردية للنظرية. فيمكننا القول إنَّ وصفًا معرَّفًا يُحدد إحالة الاسم في المجتمع، لأن الناس ينصاعون لغويًا.

2.8 الأوصاف الجوهرية

بالنظر إلى الإضافات والتعديلات التي أُجريت على نظرية الوصف الكلاسيكية، قد تتساءل كيف يمكننا صياغة النوع الصحيح من الأوصاف. تأمّل شخصًا بدماغ د، فمن يملك ذلك الدماغ فهو ذلك الشخص. فلا يمكن لوصف «الشخص ذو الدماغ د» أن يفشل في الانطباق على أيّ شخصٍ يملك ذلك الدماغ. قد يقول قائل «ربما لم يكن أرسطو فيلسوفًا شهيرًا»، وهذه جملة صحيحة لأنها تُعبِّر عن مصادفة، ولكن ليس من المصادف أن أرسطو له دماغٌ معينٌ، فعلى أرسطو أن يحمل ذلك الدماغ في كل العوالم المحتملة بما أنه جزءٌ من جوهره الفرديّ. يمكن لهذه الحجة أن تُطرَح باستخدام مجموعة منوّعة من نظريات التطابق الشخصي. تأمّل الوصف التالي: «الشخص ذو الروح ر»، «الشخص ذو الضمير ض»، «الشخص ذو الذاكرة ذ»، «الشخص ذو الشخصية ش». كل هذه التعابير تعبّر عن نظريات حول ما يكونه الشخص من الناحية الجوهرية. لذلك، يمكننا أن نختار أيّ نظرية تطابق شخصية تصِف بوضوحٍ جوهَرَ الشخص، وفقًا للنظرات الميتافيزيقية، ونعبّر عنها بوصف. فعلى سبيل المثال، إن كان ضمير شخصٍ ما هو بالفعل جوهر ذلك الشخص، فوصف «الشخص ذي الضمير ض» يمكن أن يُستخدم على أنَّهُ مَنْ يُشَكِّل معنى اسم ذلك الشخص. وهذا النوع من الوصف لا يمكن أن يكون قابلًا للنقض بأيّ حجَّةٍ من حجج كريبكي الاحتمالية. أما في حال الحجج الإبستمولوجية، فثمّة دائمًا خيار الانصياع لأعضاء المجتمع المختصّين في موضوع ما، كالعلماء الميتافيزيقيين للتطابق الشخصي. ففي مثالنا بالأعلى، سيكون الناس الذين لم يقابلوا الشخص ذا الدماغ «د» قادرين على الانصياع لأولئك الذين حَظَوا بمقابلته.

باختصار، يمكننا توليد أوصاف تحدد إحالة الاسم، وتقدّم صحة ضرورية حول حامل الاسم كما تُعطي معنى الاسم (وبالتالي تحل مشكلة فريغه القائمة عن جُمَل المطابقة التثقيفية)، ويمكنها أن تُستخدم للتعامل مع اعتراضات كريبكي الإبستمولوجية. الفكرة الأساسية هنا أن الأوصاف تُحيل إلى أشياء في العالم وصفيًّا، وبالتالي تدخل الأسماء على ظهورها كاختصارات لتلك الأسماء، وهذا ينطبق على كيفية إحالة

الأسماء. فالطريقة الأساسية للإحالة يكون عبر الأوصاف، والأسماء مبنية بصورة ثانوية على الأوصاف. ولا نحتاج إلى شرح منفصل لإحالة الأسماء. رغم كل ما سبق، يظلّ ثمة اعتراض آخر حول نظرية الوصف بحاجة إلى تأمُّل، ولم يذكره كريبكي أبدًا.

2.9 الأوصاف غير النقية

لنعد إلى مثالنا حول اسم «أرسطو» والوصف المعرّف «أفضل طلاب أفلاطون». لاحِظْ أن هذا الوصف يحتوي على اسم «أفلاطون»، وكثير من هذه الأوصاف المعرّفة بدقة تحتوي على مثل هذه الأسماء. تقول نظرية الوصف إنَّ كل الأسماء مماثلةٌ للأوصاف. فماذا يُقصد إذن بالاسم «أفلاطون»؟ فلا يمكن للاسم «أفلاطون» أن يختصر الوصف المعرّف «معلم أرسطو» لأن ذلك الوصف سيسير في دائرة مفرغة. يجب علينا للإحالة إلى أفلاطون أن نقدّم وصفًا معرّفًا جديدًا. فيمكننا القول «أشهر فلاسفة اليونان القديمة»، ولكن السؤال الذي سيطرح نفسه حينها ما الذي يعنيه اسم «اليونان»؟ الفكرة هنا أن الوصف المعرّف يحتوي نفسه في اسم آخر. ولكي نشرح معنى الاسم، سيستمر الوصف في التقهقر إلى أوصاف تحتوي أسماء أخرى. وستشكل هذه المسألة مشكلةً كبرى لنظرية الوصف، لأن من المفترض أن تعتمد الأسماء بصورة نهائية على أوصاف لإحالاتها.

نوع واحد من الأوصاف التي يمكن أن تُستخدم هنا هو ذلك الذي يتضمّن «اسم إشارة» (demonstrative)، كـ «مالك ذلك الكلب». هنا نؤمِّن إحالة خاصة إلى المالك، بالإشارة إلى كلبه باسم إشارة. فلم يُستخدم هنا أي اسم. وقد يُعطي وصفٌ كهذا معنى الاسم دون أن يحتوي على اسم. فأسماء الإشارة كـ«هذا» و«ذلك» مهمة في لغتنا، وغالبًا ما تُستخدم لتقدِّم إحالةً وصفيةً دون استخدام أسماء. فبدون هذا الاستخدام لأسماء الإشارة، سيتم إعاقة الإحالات التي تتم بالأوصاف. هذا يعني أنَّ «الإحالة الإشارية» (demonstrative reference) أساسية. فلا يمكن تحليلُها من خلال إحالة وصفية بحتة. فأسماء الإشارة ليست اختصارًا لأوصاف خالية من أسماء الإشارة، وسنتأمل أسماء الإشارة

بالتفصيل في الفصول التالية. ما يهمنا الآن هو أنْ نلاحظ أنَّه لا يمكن تطبيق نظرية الوصف الخاصة بالأسماء على أسماء الإشارة.

الخلاصة، إذن، هي أنه وبالرغم من صحةِ مماثلةِ الأسماء للأوصاف، تتضمّن هذه الأوصاف دائمًا أسماء إشارة. وبما أن أسماء الإشارة لا يمكن شرحُها بالأوصاف، فالإحالة ليست وصفيةً بالأساس. وحتى وإن كانت نظرية الوصف تصحُّ مع الأسماء، فهذا لا يؤكِّد أنَّ الطريقة التي بها نُحيل إلى الأشياء في العالم بالأساس تتمّ عن طريق الأوصاف. فالطريقة الأساسية التي نُحيل بها إلى الأشياء هي طريقة أسماء الإشارة غير المماثلة للأوصاف. إذن، فانتصار نظرية الوصف على هجوم كريبكي هو «انتصار بيروسي» (A Pyrrhic Victory)، أي انتصار بطعم الخسارة. فعلينا في النهاية أن نقبل بالحقيقة القائلة إنَّ بعض المصطلحات الإحالية تعمل بطريقة غير وصفية.

---

(21) Saul Kripke, Naming and Necessity (Lecture II) in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 128–146.

(22) Gottlob Frege, «On Sense and Reference», in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 126.

(23) المترجم: أترجم هنا كلمة (satisfies) بـ«يرضي» وهي من الكلمات المتخصِّصَة التي يُقصد بها إرضاء الفاعل ومناسبته للمسند اللاحق له، فنجدُ مثلًا (أرسطو) كفاعل يُرضي المسند (أفضل طلاب أفلاطون) فتكون الجملة مع هذا الإرضاء: «أرسطو أفضل طلاب أفلاطون». وهذه الترجمة هي الأنسب لهذا التعبير وستجد تبريرَ ذلك حين تصل إلى نقاش تارسكي لمصطلح «الإرضاء» (satisfication) في قسم (8.6) (الفصل الثامن).

(24) المترجم: بما أن المؤلف يستخدم حرف (O) كاختصار لكلمة (Origin) كونه أول أحرفها، فقد استخدمت حرف «أ» كاختصار لكلمة «أصل» كونه أول أحرفها بالاتساق.

رَسِلْ عن الأوصاف المعرّفة

3.1 الأوصاف المعرّفة وغير المعرّفة

ناقشنا، في الفصل السابق، نظرية الوصف للأسماء، ولم نتحدّث كثيرًا عن تحليل الأوصاف نفسها. وقلنا إنَّ فريغه يتعامل مع الأوصاف المعرّفة على أنها تنتمي إلى نفس الفئة التي تنتمي إليها أسماء العلم، فهي «مصطلحات مفردة» (singular terms)، وظيفتها إعطاء معنى للشيء، وتكون مهمة الجملة المتبقية الحديث عنه. فلكلٍ من الأوصاف وأسماء العلم معنى وإحالة. «برتراند رَسِلْ» (Bertrand Russell) يخالف هذه الفكرة، وينكر أنَّ الأوصاف المعرّفة مصطلحات مفردة تُشبه أسماء العلم، فهو يراها تنتمي إلى فئة دلالية مختلفة تمامًا. كما ينكر رَسِلْ على وجه الخصوص أنَّ للأوصاف المعرّفة إحالة؛ لذلك، يعتقد أنَّ صيغتها النحوية الظاهرة مُضلِّلَة. وسنرى في هذا الفصل الأسباب التي جعلته يقول ذلك.

في النص الذي نناقشه، وهو فصل من كتاب رَسِلْ «مدخل إلى الفلسفة الرياضية» (Introduction to Mathematical Philosophy) (وقد كتَبَهُ رَسِلْ بينما هو في السجن بتهمة الخيانة إبّان الحرب العالمية الأولى)، يبني رَسِلْ نظريته للأوصاف المعرّفة بدراسة الأوصاف غير المعرّفة أولًا. فبمجرد أنْ يؤسّس لتحليل منطقي صحيح للأوصاف غير المعرّفة، سيبدو تحليله للأوصاف المعرّفة وكأنه إضافة بسيطة. ففكرته الأساسية تقول إنَّ الأوصاف المعرّفة «محددات كمّية» (quantifiers) وإنْ لم يستخدم رَسِلْ هذا المصطلح (فإن كنت غير مُلِمٍّ بهذا المفهوم الآن، فسأقوم بشرحه في الصفحات القادمة). أولى أمثلة رَسِلْ التي أورَدَها في كتابه جملة «قابلتُ رجلًا» (I met a man)، بحيث يكون الوصف غير المعرّف تلك العبارة المركّبة من أداة التنكير «a»، بينما يكون الوصف المعرّف تلك العبارة المتشكِّلَة من أداة التعريف «أل» «the». فمثال رَسِلْ الشهير للوصف المعرّف هو «ملك فرنسا» (the king of

France)، ومثاله للوصف غير المعرّف «ملك لفرنسا» (a king of France). بهذا، ستكون جملة «أنا قابلتُ رجلًا» (I met a man) مُشكلة من الوصف غير المعرّف «رجل» (a man) متصلة بالفعل «قابلت» (met) والمصطلح المفرد الإشاري «أنا» (I) (سيتم مناقشة المصطلحات الإشارية indexical terms في الفصول التالية). ومن الأمثلة الأخرى للجمل التي تستخدم وصفًا غير معرّف جملة: «سقراط رجل» (Socrates is a man).

يرى فريغه أنَّ التعبير ذا الصيغة «الفاء» (the F) هو اسم علم يعمل عمل الفاعل لـ«جملة فاعل-مسند» (subject-predicate sentence). فيمكن استبدال الوصف غير المعرّف، مع الحفاظ على «السلامة النحوية» (grammaticality). وهذا يجعل من الطبيعي أن نفترض أنَّ «فاء» (an F) هي أيضًا اسم عَلَم تُشكّل فاعل جملة. لهذا، ينذر رَسِلْ نفسَه لسؤال ما إذا كان «رجلًا» في جملة «قابلتُ رجلًا» اسم عَلَم. ففي المقطع التالي، يتساءل ما إذا كان «رجلًا» في «قابلتُ رجلًا» تُحيل إلى «جونز» (Jones):

> سؤالنا كالتالي: ما الذي أصرّح به عندما أقول «قابلتُ رجلًا»؟ دعنا نفترض للحظةٍ أنَّ قولي صحيح، وأنني بالفِعل قابلتُ جونز. فمن الواضح أنَّ ما صرّحتُ به ليس «قابلتُ جونز». فيمكنني القول «قابلتُ رجلًا، ليس بجونز». ففي هذه الحالة، وعلى الرغم من أنني أكذب، فلستُ أناقض نفسي، كما هو الحال والواجب عليّ حين أقول قابلتُ رجلًا وأقصد فعلًا أنَّني قابلتُ جونز. فمن الواضح أنَّ الشخص الذي أتحدّث إليه يفهم ما أقول، حتى وإن كان رجلًا غريبًا لم يسمع بـ«جونز»[25].

هنا، يعترض رَسِلْ ببساطة على أنّ جملة «قابلتُ رجلًا» مرادفةٌ لجملة «قابلتُ جونز»: ولتفرض أنَّني قابلتُ جونز، ولكنني أكذب وأقول «قابلتُ رجلًا ليس بجونز». أو ربما أنّني لا أكذب ولكنني نسيتُ أنَّني قابلتُ جونز، فأنا أقول شيئًا خاطئًا. بصرف النظر عن دوافعي، وعلى الرغم من أنني أقول جملة خاطئة، فلا يعني ذلك أنَّي أناقض نفسي. فإذا كانت جملة «قابلتُ رجلًا» تعني نفس الشيء كجملة «قابلتُ جونز»، فسأكون كمن يقول «قابلتُ جونز ولكني لم أقابل جونز». وهذه طريقة كذب رديئة

للغاية. مع ذلك، يزعم بوضوحٍ أنّي لا أناقض نفسي حين أقول «قابلتُ رجلًا ولم يكن جونز» حتى وإن كنتُ قد قابلتُ جونز. فلا يمكن أن تكون كلمة «رجلًا» بذات المعنى الذي تحمله كلمة «جونز» في هذه الجملة، حتى وإن كان جونز هو الرجل الذي قابلت. فلا يمكن أن يُعطي معنى «رجلًا» من خلال المعنى الخاص باسم الرجل الذي قابلت. وهذه أولى أدلة رَسِلْ التي تُظهِر أنَّ الوصف غير المعرّف ليس اسمًا لشخص. فلا يمكن للعلاقة بين «رجلًا» و«جونز» أن تكون علاقة ترادف، وإلا فسأكون أناقض نفسي لو قلت «قابلت رجلًا ليس بجونز».

حين ننظر للأمر من منظورٍ نحويّ، لن يفترض أحدٌ أنَّ كلمة «رجلًا» اسم عَلَم، لأنها من الناحية النحوية تعبير مختلف عن «جونز». ولكن حين ننظر إليها من حيث الإحالة، سيكون من الطبيعيّ أن نفكّر بهذه الطريقة حول الكيفية التي تحدّد «شروط الصحّة» (truth conditions) للجملة. فحتى تكون الجملة صحيحةً، ينبغي أن يكون ثمة علاقة بين شخصٍ يُحال إليه بـ«أنا» (I) وشخصٍ يُحال إليه بـ«رجل» (a man)، فهذه الجملة ستعبّر عن مضمون علاقة تربطني بالشخص الذي قابلت. ويجب أن تأخذ صيغة «أ ع ب» (a R b)[26]. ولكن إن كان ذلك صحيحًا، فإنَّ «أ» و«ب» أسماء، وهذا يناقض ظاهرهما، فـ«رجل» ليست اسمًا. فعلينا أن نفترض أن «رجل» اسم من الناحية المنطقية، على الرغم أنها ليست كذلك من الناحية النحوية. لهذا يرى رَسِلْ أنَّ هذا التحليل غير صحيحٍ، وإلا ستكون جملة «قابلت رجلًا ليس بجونز» تناقضًا كما يقول، على افتراض أنني قابلتُ جونز فعلًا.

الفكرة الثانية التي يريد إيصالها رَسِلْ لها نفس المغزى. تأمّل جملة «قابلتُ حصانًا مُقرّنًا (=حيوان خرافي)» (I met a unicorn). فإذا كنا نعتقد أنَّ الأوصاف غير المعرّفة أسماء، فيجب أن يكون ثمة شيءٌ يُسمّيه الاسم لكي يجعل الاسم ذا معنى. وفي تلك الحالة، لا يوجد «أحصنة مُقرّنة» لتسميتها، لذلك فعبارة «حصان مُقرّن» لا يمكن أن تعمل في تلك الجملة كاسم لشيء، وإلا فستكون بلا معنى فضلًا عن أن تكون خاطئة فحسب. أما في الجملة السابقة «قابلتُ رجلًا»، فثمّة شخص فِعْليّ تمّت مقابلته ويمكن أن يكون هو حامل الاسم. فيما لا يمكن لشيءٍ في الواقع

في مثال الحصان المُقرّن أن يحمل ذلك الاسم، لذلك فهي جملة بلا معنى. لا يمكن لك مقابلة حصان مُقرّن، لأنه لا يوجد أحصنة مقرّنة لتقابلها. يريد رَسِلْ من هذه الفكرة أنه إذا كانت عبارة «حصان مُقرّن» اسمًا لشيءٍ ما، فلا يمكن أن يكون ذلك الاسم ذا معنى إلا إذا كان ثمّة شيء تمت تسميتُه بذلك. وبما أنه لا يوجد شيء مسمّى بذلك، فسيفتقر الاسم للمعنى، وإن بدا وله معنى. فالطريقة الوحيدة للجملة لأن تكون خاطئة هو أن تكون ذات معنى. وبهذا لا يمكن أن تكون عبارة «حصان مُقرّن» اسمًا لشيء؛ فالشيء الذي يدخل في المضمون المعبَّر عنه بتلك الكلمات ليس شيئًا تمّتْ تسميَتُه، بل هو «المفهوم» (concept) الخاص بحصان مُقرّن، إذ يُعدُّ مركب المضمون المعبَّر عنه بالجملة «أنا قابلتُ حصانًا مُقرّنًا». أما فيما يخصّ كلمة «أنا» (I)، فالذي يدخل في المضمون «شيء» (an object) لا مفهوم، فلست مفهومًا. فجُمَل من قبيل «قابلتُ حصانًا مُقرّنًا» أو «قابلتُ رجلًا» تُدخل مفهوميّ «حصان مُقرّن» و«رجل» في المضمون، لا الحصان المقرّن الفعليّ والرجل الفعليّ. لهذا تُحيل كلمة «رجلًا» في مثال «قابلتُ رجلًا» إلى مفهوم عام بحسب رَسِلْ، لا إلى رجلٍ بعينِه.

يستخدم رَسِلْ مصطلح «الوظيفة المضمونية» (propositional function)[27] ليصِفَ ما يتبقّى من المضمون عندما يتم إزالة جزء منه. فحين أقول «أنا قابلتُ جونز»، فهذا مضمون مألوف يتشكل من مركبات «أنا» و«جونز». ولكن، حين نحذف الاسم ونضع مكانه الحرف «س» (x)، فإن الحرف «س» لا يُحيل إلى أي شخصٍ أبدًا. فهو «شاغل مكان» (placeholder) يُحيل إلى أن جزءًا من الجملة حُذِفَ وتُرِكَ فارغًا. فعبارة «س رجل» (x is a man) تسمًّى وظيفة مضمونية، لأن أيَّ شيءٍ محددٍ يُمكن أن يُضاف كبديل لـ«س»، وعادةً ما يُسمّى «متغير» (variable)، وبهِ تعبّر الجملة كاملةً عن مضمون. وهو في الجوهر الصيغة المجردة للمضمون، لا المضمون المحدد على وجه الخصوص. ففي المنطق المألوف، يُشار هنا إلى «س» بـ«متغير حرّ» (free variable)، ولا يمكن لعبارة فيها «س» أن تكون مضمونًا حتى يتمّ إدخال اسم مكانها لاستبدالها كمتغيّر.

يمكن للوظائف المضمونية أن تكون بسيطةً أو معقدةً. بالتالي، يناقش رَسِلْ جملة «قابلت س، وس إنسان» ويتعامل معها على أنها تعني «قابلتُ شخصًا أو شيئًا، وذلك الشخص أو الشيء إنسان»، أو ببساطة «قابلتُ شيئًا، وهو إنسان». ويشرح رَسِلْ ذلك قائلًا إنَّ الوظيفة المضمونية تكون «أحيانًا صحيحةً» إذا تمَّ استبدال «س» باسم علم مُدرج. فيقترح أن نستبدل صيغة العلاقة «أ ع ب» (a R b) بصيغة هذه الوظيفة المضمونية «قابلتُ س». وبهذا يقال إنَّ للوظيفة المضمونية «قابلتُ س» حالة تكون فيها الجملة الناتجة صحيحة. فإذا قابلتُ جونز، وأدخلت «جونز» في الوظيفة المضمونية، فستكون الجملة صحيحة. وعندما يقول شخصٌ «قابلتُ رجلًا» فلا يتكلم في الواقع عن شخص معين، بحسب رَسِلْ. بل يقول رَسِلْ إنَّه عندما يقول شخصٌ «قابلتُ رجلًا»، فإنه يتحدّث عن وظيفة مضمونية لها «حالة/مثال» (instance)، على الرغم من أنه لا يعرف ماهية تلك الحالة. فمن المهم ملاحظة أنَّ أيَّ اسمٍ يمكن أن يُدْرَج في هذه الوظيفة المضمونية. فبما أن الاسم يُحيل إلى شخصٍ حقيقيٍّ، فالوظيفة لها حالة، وبالتالي تكون صحيحةً. على ذلك، ثمة علاقتان يمكن لجونز أن يحظى بهما مع المضمون ليكون صحيحًا. الأولى أن جونز يمكن تسميته باسم في ذلك المضمون. أما في العلاقة الأخرى، فيمكن لجونز أن يكون حالة لوظيفة مضمونية دون أن يُسمّى بها. بعبارة أخرى، يمكن أن يُسمَّى جونز بطريقة واضحة، أو يمكن أن يندرج تحت مصطلح عام أو مسند كـ«رجلٌ قابلته». واندراجه تحت مسند علاقة ليست بنفس علاقة أنْ يتسمّى. فإذا قلت «كل شخص في هذه الغرفة فيلسوف»، فلم أُسَمِّ أحدًا، حتى وإن كان ثمة عدة أشخاص يندرجون تحت المسند «شخصٌ في هذه الغرفة فيلسوف».

فإنْ أردنا التعبير عن ذلك بمصطلحات معاصرة، فإن ما يريد رَسِلْ قولُه هنا هو أنَّ الأوصاف غير المعرّفة «محددات كمية» (quantifiers). ونعرف الآن أنَّ محددات الكمية والأسماء ليست نفس الشيء من الناحية الدلالية. فخُذْ مثلًا عبارة محدد الكمية «لا أحد» (no one): فلا يمكن أن تكون اسمًا لشخص! فإن كانت كذلك، فجملة «لا أحد أطول من عشرة أقدام» ستقتضي أنَّ «شخصٌ ما أطول من عشرة أقدام».

ولكن حتى «شخصٌ ما» ليست اسمًا لشخص، لأنها إن كانت كذلك، فمن هو ذلك الشخص؟ وحتى وإن كان ثمة شخصٌ يُصحّح ما يقوله شخصٌ آخر حين يقول «شخصٌ ما سرق درّاجتي»، فذلك الشخص لا يُسمّي ذلك السارق، لأنه إنْ فَعَلَ، فقد عرف مَنْ سَرَقَ درّاجته.

كل ذلك ذو علاقة بالثورة التي مسَّت المنطق التقليدي التي تعود أصولها إلى أرسطو. فقد كان كل شيء في الماضي مجرد مصطلحات ومسانيد. وقد نبذ رَسِلْ هذا المنطق التقليدي، وأوضح فريغه أيضًا أنَّ تعابير محددات الكمية (كـ«شيء ما» (something)، «كل شيء» (everything) إلخ) لا ينبغي تشبيهها بالأسماء، فمحدّد الكمية «مفهوم مستوى ثان» (second-level concept)، لذلك يرى فريغه أنَّ هذه الكلمات ليست أسماء لأشياء، ولا تعابير مفاهيم كـ«هو رجل» (is a man). فمفهوم المستوى الثاني ينطبق على «مفهوم المستوى الأول» (first-level concept). فحين يقول المرء «شخصٌ ما رجل» (someone is a man)، تكون كلمة محدد الكمية مثل وظيفة مضمونية من «الرتبة الثانية» (second-order): فهي تعليق حول المفهوم ذي المستوى الأول المعبَّر عنه بـ«رجل». فإن قال شخص «جاك رجل» (Jack is a man)، فإنه يتحدّث عن جاك ويقول إنَّه رجل. ولكن حين يقول «شخصٌ ما رجل»، فإنه الآن يتحدث عن وظيفة مضمونية، مؤكدًا أنَّ لها حالة/مثال، فيقول التالي: «المفهوم ذو المستوى الأول المعبر عنه بـ«هو رجل» له على الأقل حالة واحدة». فالتحليل الصحيح في مثال رَسِلْ «قابلتُ رجلًا» هو أن «للوظيفة المضمونية (قابلت س، وس بشر) على الأقل حالة واحدة». وبهذا لا يوجد ذِكرٌ لجونز بالاسم، حتى ولو كان هو الحالة المعنيّة تحت النقاش.

إن لهذا التحليل تأثيرًا على الجُمَل التي تتحدّث عن الوجود. فحين يقول مُلحِدٌ «الإله غير موجود» (God does not exist)، فما يقوله بالفعل هو أن «الوظيفة المضمونية لـ (س هو الإله) ليس لها حالة». إنه لا يتحدث عن شخصٍ ما يُسمّى «الإله» فيقول إنَّه غير موجود، فلو قالها لكانت انتكاسة. لهذا، يرى رَسِلْ أنَّه لا يمكن للمرء أن يُشكّل جملة وجود منفية صحيحة عن شخص مسمّى لأنه لم يتحدث مسبقًا عن أي

شخص من البداية؛ فهو يتحدث بدلًا عن ذلك عن وظيفة مضمونية، مؤكدًا أنَّ ليس لها حالة. وبإعادة صياغة الجملة في جملة ذات وظيفة مضمونية، لا يمكن أن ننخدع ونعتقد أنَّ مصطلحات كـ«رجل» أو «شخص ما» أو «لا أحد» تعمل إلى حدٍّ ما كأسماء تتطلّب إحالة. فالشيء الوحيد الذي يُحال إليه بوظيفة مضمونية هو المفهوم، والذي نؤكِّد ما إذا كان له حالة من عدَمِه. فالفكرة التي يريد رَسِلْ إيصالَها في نهاية المطاف هي أن الوصف المعرّف محدد كمية أيضًا، لا اسم. وبالتالي يحلّ رَسِلْ بتبَنِّيه لهذه المقاربة الكثير من الألغاز التي ظهرت بسبب الأوصاف المعرّفة، خصوصًا حين تكون «فارغة» (empty).

لقد تبنَّى رَسِلْ نظرة ألكسيوس مينونغ (Alexius Meinong)، وهي نظرة تقول إنه، بالإضافة إلى الأشياء المألوفة الموجودة، ثمّة أشياء أخرى متواجدة لها شِبْه وجود غريب. فالأشياء التي غالبًا لا يؤمن الناس أنَّ لها «وجود» (existence) من مثيل الأحصنة المقرّنة والجبال الذهبية لها طبيعة «التواجد» (subsistence). وبسبب هذه الفئة التواجدية، يرى مينونغ أنَّ تعابير من قبيل «الجبل الذهبي» تُحيل فعلًا إلى أشياء، ولأن لها إحالة فلها معنى أيضًا. وهذه النظرة تتناقض مع رؤية فريغه أنَّ هذه المصطلحات لها معنى دون إحالة. فبحسب مينونغ، يُعدّ تعبير «الجبل الذهبي» تعبيرًا له معنى لأنه يُحيل إلى الجبل الذهبي وهو شيءٌ متواجدٌ. فيمكن تطعيم هذه التعابير بإحالة في نظام مينونغ، ما دمنا نتقبّل هذه الأنطولوجيا المتمدِّدة للكيانات المتواجدة. يتحاشى رَسِلْ هذه النظرة وذلك بتطوير نظرية للأوصاف لا تنصُّ على أنطولوجيا مينونغ وذلك لإعطاء معنى للأوصاف المعرّفة الفارغة. فيرى أنَّ هذه العبارات لا تعني شيئًا، حتى وإن كان لها مقابلٌ موجود. وهذه نفس الفكرة التي يطرحها حول عبارة «رجل»، فالوصف المعرّف ليس عبارة تعمل عمل الاسم. أمّا الحالات التي لا يوجد فيها أشياء لها معاني (مثال «الجبل الذهبي») فلا تتطلب أنطولوجيا إضافية كأنطولوجيا مينونغ. فيمكننا القول إنَّ التعبير ليس عبارة تعني شيئًا، ولكنه شيء مختلف تمامًا عن ذلك، كما أن «رجلًا» ليست عبارة تعني شيئًا. كما يرى رَسِلْ أنَّ الأوصاف المعرّفة لا تعبّر أيضًا عن وظائف مضمونية لا تُحيل إلى أو تعني أو تُسَمّي الأشياء.

فتلك الأوصاف، بحسب صياغات فريغه، تعمل كمحددات كمية. وبما أن محددات الكمية مختلفة عن الأسماء، فإن الأوصاف المعرّفة مختلفة عن الأسماء. لذلك تُبْنَى نظرية رَسِلْ الجديدة في سياق نظرية مينونغ، والتي تُعَدُّ نسخةً من نظرية فريغه التي تفترض أنَّ الأوصاف المعرّفة تعمل كأسماء العَلَم.

3.2. نظريات ثلاث عن الأوصاف المعرّفة

قبل الاستمرار في تقديم تحليلٍ شاملٍ لنظرية رَسِلْ، من المهم أن نعلم أنَّ رَسِلْ لا يتّبع أعرافًا واضحةً تحدد متى يقوم بالاقتباس في نصّه من عدمه، فقد اشتُهِرَ في الواقع بسوء استعماله للاقتباسات، فعلينا الحذر.

ثمة ثلاث نظريات حول الأوصاف المعرّفة ذات علاقة بالأوصاف المعرّفة التي يتحدث عنها رَسِلْ. ويمكننا استخدام مثال رَسِلْ الأول، «ملك فرنسا»، لنشرح هذه النظريات الثلاث. يُعَدُّ وصف «ملك فرنسا» (the king of France) «وصفًا فارغًا» (empty description)، أي بلا إحالة، لأنه في الوقت الذي استخدم فيه رَسِلْ هذا المثال، لم يكن لفرنسا أيّ ملك. وعلى الرغم من أن هذا الوصف فارغ، إلا أنه ذو معنى كوصف «ملكة إنغلترا» (the queen of England)، على الرغم من الوصف الأخير له إحالة. إن حقيقة وجود أوصاف فارغة تنفي الفكرة القائلة إنَّ معنى الوصف المعرّف مطابق لإحالته. فإذا كانت الإحالة والمعنى متطابقين، فلن يكون لمثالنا الأوّل أيّ معنى.

تُعدُّ نظرية فريغه منسجمةً مع هذه الحقيقة، لأنها تسمح لتلك التعابير أنْ يكون لها معنى دون إحالة. وبالطبع، يكمن المعنى حين اكتماله. وأكثر ما يمكننا فهْمُه من فريغه هو أنه يعتقد أنَّ كل تعبير ذي معنى له معنى، ولا يوجد ثمة تعابير يكون معناها الإحالة بكل بساطة. فكل تعبير موجود في اللغة الطبيعية هو شيء له معنى مبنيٌّ على معناه، فالمعنى مستقلٌ عن الإحالة. لم يَضَع رَسِلْ في حسابه نظرة فريغه هذه أثناء النقاش. لذلك، ربما يختلط الأمر على بعض القراء حين يكتفون بقراءة بعض نصوصه، فدائمًا ما يطرح رَسِلْ تأكيدات تُناقِض نظرية فريغه، إذ يفترض أنَّ نظرية فريغه خاطئة دون التصريح برفضه لنظرية

المعنى والإحالة بوضوح، كما يقدّم بدلًا عنها نظريةً إحاليّةً للمعنى، مؤمنًا أنَّ معنى التعبير هو إحالته.

تقول نظرة مينونغ إنَّ لتعبير «ملك فرنسا» إحالةً لشيء متواجدٍ غريبٍ. فلن تكون إحالته بنفس طريقة إحالة «الملكة إليزابيث الثانية» (Queen Elizabeth II). ففي أنطولوجيا مينونغ، يُقسَّم العالم إلى أشياء موجودة وغير موجودة، وحتى الأشياء غير الموجودة لها نوع من «الكينونة» (Being). ونظرًا لتمييزِه بين «الوجود» (existence) و«التواجد» (subsistence)، فقد يُجادل مينونغ أنَّ «ملك فرنسا» يُحيل إلى شيء متواجد. فبالنظر إلى الشخصيات الخيالية، تصبح نظرة مينونغ قابلة للفهم. ففي رأيه، يُحيل الاسم «هاملت» إلى شخصية خيالية، لا إلى أمير دنماركي موجود. فلهذه الشخصيات الخيالية في نظريته كينونة دون وجود-تواجد. ولهذا يُحيل اسمٌ كـ«هاملت» إلى كيان متواجد. يمكن بهذه النظرة المحافظة على نظرية إحالية للمعنى، دون اعتبار للتميز الذي اقترحه فريغه بين المعنى والإحالة. فإذا كان التعبير ذا معنى بسبب إحالته، فلسنا بحاجة لجلب معناه لتأكيد معناه، لأن لدينا «إحالات تواجدية» (subsistent references) حين نفتقر لـ«إحالات موجودة» (existent references).

يرى رَسِلْ أنَّ لكل اسم عَلَم أو تعبير مفرد معنًى تُحدِّده إحالته. فلا يقبل نظرية ذات مستويين للإحالة والمعنى، إذ يعتقد أنَّه يمكنه فِعل كل شيء بالإحالة فقط. فعلى خلاف ما يظهر، يحتَجُّ رَسِلْ أنَّ الوصف المعرّف ليس مصطلحًا مفردًا أبدًا ولا يعني شيئًا. فإذا كان فريغه يرى أنَّ الوصف الفارغ كـ«ملك فرنسا» ليس له إحالة ولكن تعابير كتلك ذات معاني لأن لها معنى، فيما يرى مينونغ أنَّ تلك التعابير تُحيل إلى أشياء متواجدة وهي ذات معنى على ذلك النحو، فإن رَسِلْ يرى أنَّ تلك التعابير ليست إحالية، وبالتالي لا مشكلة في فراغها.

وكما ذكرنا سلفًا، تأثّر رَسِلْ بمينونغ في سنينه الأولى. ولكن بمجرد أن حرَّر نفسه من محاولة إيجاد إحالة للأوصاف الفارغة، لم يَعُد يتقبّل الكيانات المتواجدة الغامضة، إذ يرى أنَّ اللغة العادية مضللة بصورة منطقية، لأنها تجعل الأوصاف المعرّفة تحتل أماكن الأسماء. فمثلًا، نجد

في اللغة المألوفة كلا الجملتين «ملك فرنسا أصلع» و«برتراند رَسِلْ أصلع»، وكلاهما تتشكّلان من فاعل ومسند. ولكنَّ الفاعل في الأولى وصفٌ معرَّفٌ وفي الثانية اسم. فاللغة العادية تُظهِر وكأن الأوصاف المعرَّفة تعمل عمل أسماء العلم، على الرغم من أنها لا تعمل عمل الأسماء من الناحية المنطقية.

وسنجد أنَّ تعابير محددات الكمية توضح هذه النقطة أيضًا. فجملة «شخصٌ ما أصلع» تبدو وكأنما تعبّر عن مضمون فاعل-مسند بنفس طريقة «برتراند رَسِلْ أصلع». فهذان التعبيران يبدوان نفس الشيء من الناحية النحوية والتركيبية. مع ذلك، سيكون من الغريب أن نعتقد أنَّ «شخصٌ ما» اسم («شخصٌ ما، تعال هنا!»). ولتتأمّل الزَّعْم الذي يقول إنَّ «شخصٌ ما» تعني جونز في جملة «شخصٌ ما أصلع»، حيث يكون جونز أصلعَ بالفعل. لا يمكن أن يكون «شخصٌ ما» اسم جونز، لأن جملة «شخصٌ ما أصلع ولكنه ليس جونز» ليست متناقضة حتى وإن كان جونز هو الشخص الأصلع الوحيد. فيجب أن يكون حالة الفاعل والمسند لجملة «شخصٌ ما أصلع» شيئًا مضلِّلًا.

كما لا يمكن أن نعتقد في نفس الوقت أنَّ مصطلح «شخصٌ ما» يُحيل إلى شخص أصلع محتمل ومثالي وغير واضح، كما يفترض مينونغ. فَرَسِلْ يحتجّ بأنَّ مصطلحات كـ«شخصٌ ما» ليست مصطلحات مفردة من الناحية المنطقية، لذلك كان على رأس أهدافه شرح دورها المنطقي. فبما أننا رأينا أنَّ هذا النوع من المصطلحات ليست تعابير إحالية أبدًا، فلا يمكن لمعناها أن يتشكّل من خلال الإحالة. ولكن بسبب عيوب اللغة المألوفة، يُساء تفسير هذا النوع من الجُمَل على أنها بصيغة الفاعل المسند، مع أن الواقع يقول إنَّ افتقار هذه المصطلحات إلى إحالة مفردة لا يعني أنَّها تفتقر إلى معنى.

لكلٍ من فريغه ومينونغ شرْحُه الخاص فيما يخصُّ السبب وراء افتقار هذه المصطلحات كـ«ملك فرنسا» لإحالة موجودة مع أنَّ لها معاني. يستخدم فريغه تمييزاته بين المعنى والإحالة، بينما ينصُّ مينونغ على التمييز بين الوجود والتواجد. أمّا رَسِلْ، فيرفض كلا الفكرتين، إذ يرى أنَّ كل تعبير إحاليٍّ له معنى يتم تحديده من قبل الإحالة، ولكن هذه الأنواع

من التعابير ليست إحاليةً بدءًا. مع ذلك، يتقبل رَسِلْ أن تكون هذه الأنواع من التعابير إحاليةً من حيث المظهر، بسبب خداع اللغة الطبيعية. وتُعَدّ هذه الفكرة المعنيّة بعيوب اللغة الطبعية مهمّةً بالنسبة لرَسِلْ، لأنها تبيّن أنّ اللغة المألوفة قد تكون مضلِّلة من الناحية المنطقية، ولها تأثير على سؤال تركيب لغة منطقية مثالية. ففي «مبادئ الرياضيات» (Principia Mathematica)، يصوغ رَسِلْ وألفرد نورث وايتهيد (Alfred North Whitehead) لغةً مثاليةً مشابهةً بالأساس لـ«المنطق الإسنادي» (predicate logic). وقد انتهت هذه الصياغة لهذه اللغة المنطقيّة إلى فكرة أن اللغات الطبيعية كافية للغايات العملية، ولكنها مَعيبة للغايات المنطقية. لقد كانت هذه النظرة هي السائدة لفترة طويلة وقد شكَّلَتْ الفلسفة في النصف الأول من القرن العشرين حتى جاء لوديغ فتيغنشتاين وعارض هذه النظرة، مع أنه سبق وتبنّاها بنفسه في كتابه «**رسالة منطقية فلسفية**» (Tractatus Logico-Philosophicus). لقد كان لهذه المسألة عن الأوصاف تأثيراتها الفلسفيّة الواسعة.

فمن المهم فَهْم السياق الذي قدَّمَ فيه رَسِلْ عمَلَه، فالكثير من الأساليب المنهجيّة الصحيحة في فلسفة القرن العشرين والكثير من التوقُّعات المتعلِّقة باللغة مبنيّة على نظرية الأوصاف بالإضافة إلى إسهاماتها في المنطق المحَضْ. وقد شكَّلَتْ نظرية رَسِلْ بصورة عملية أساس الفلسفة التحليلية في القرن العشرين، وكان لها الكثير من الأهمية في الوقت الذي شيّدها فيه، فصار الحوار القائم في فلسفة القرن العشرين يدور حول ما إذا كان الفلاسفة يوافقون نظريته أمْ لا.

3.3 الأوصاف غير المعرّفة والتطابق

يرى رَسِلْ وجوب إعادة صياغة الجمل التي تحوي أوصافًا كـ«رجل» (a man) لنتكشف معناها. وهذا يتطلب تغيير صيغتها دراماتيكيًّا باستخدام رموز منطقية. فحتى نعيد صياغة الجمل، يستخدم رَسِلْ الوظائف المضمونية لينتزع التعابير المعرّفة من أي جملة ويستبدلها بالمتغير «س» (x). ففي هذه الحالة، سيُدخل «س» مكان «رجل»، ليشكل

وظيفة مضمونية «قابلت س، و س إنسان». ويُقال إنَّ لهذه الوظيفة المضمونية على الأقل حالة واحدة، أي إنها تنطبق على الأقل على شيء واحد في العالم، وجونز هو الحالة الوحيدة من كل تلك الأشياء في العالم التي قد تجعل الوظيفة المضمونية صحيحة. فعلى الرغم من أن الجملة تُحيل فيما يبدو إلى شخص معين في العالم بتعبير «رجل»، فإن صيغة الجملة الأصلية مضللة من الناحية المنطقية. فما تريد الجملة قولَهُ فعلًا، بحسب رَسِلْ، هو أن للوظيفة المضمونية المحددة على الأقل حالة واحدة. ولهذه الأسباب يستخدم رَسِلْ هذه الآلية في الشرح ليجعل من الواضح فلسفيًا أنَّ هذه الجملة عن وظيفة مضمونية.

سنعتاد اليوم على استخدام محددات الكمية لنعبر عن فكرة رَسِلْ. خُذْ على سبيل المثال الصيغة المنطقية التالية:

1. ثمة س بحيث قابلت س و س إنسان.

There is an x such that I met x and x is human.

قد يكون لنفس هذه الوظيفة المضمونية صيغٌ متعددة فقد تُقرأ وجوديًا على النحو التالي:

2. يوجد ثمة س بحيث إنني قابلتُ س و س إنسان.

There exists an x such that I met x and x is human.

تحدد نظريات مختلفة عن محددات الكمية الطرق التي يمكن أن تُقرأ بها جمل كهذه. ولكن من الطرق المفيدة لتفسير «محددات الكمية الوجودية» (existential quantifiers) هو أن المتغير «س» قابلٌ للاستبدال باسم. وسيكون هناك، بعد هذا الاستبدال، على الأقل حالة واحدة تجعل هذا الاستبدال صحيحًا. ففي مثالنا الحالي، قد يجعل جونز الجملة صحيحة. وهذا التحليل غالبًا ما يُسمّى «التأويل الاستبدالي» (substitutional interpretation) لمحدد الكمية الوجودية لأن استبدالًا معينًا يتم في الجملة المفتوحة التي تعبر عن وظيفة مضمونية قد يجعل الجملة الناتجة صحيحة. يميل رَسِلْ إلى تَبَنّي التأويل

الاستبدالي وأفضل طريقة لفهم هذا التأويل تكون عبر جملة «أنا قابلتُ شيئًا ما وذلك الشيء إنسان». فالمصطلح الوحيد في هذه الجملة والذي يُحيل إلى شخص هو «أنا» (I). وعبارة «رجل» (a man) تكون جزءًا من محدّد الكمية الوجودي. بالتالي، ثمّة عطف لمسندين يعطياننا تأكيدًا حول مقابلتي لإنسان. فالأشياء الوحيدة المجلوبة من قبل عبارة محدّد الكمية هي مفاهيم. وكي نشرح هذه النقطة بصورة أوضح، يمكننا استخدام جملة تحتوي على كيان غير موجود: «قابلتُ حصانًا مُقرّنًا». فبما أنه لا يوجد أحصنة مقرنة، فلا يمكن أن أكون قد قابلتُ حصانًا مقرّنًا. ولكننا حين نستخدم آلية رَسِلْ لتحليل هذه الجملة، نستطيع أن نرى أنَّ المضمون يحتوي عليّ فقط وعلى صفة كينونة الحصان المقرّن. فالجملة في الواقع تقول (وبالخطأ) إن ثمة حالة لتلك الصفة وإنني قابلت تلك الحالة، وفي هذه الصيغة، لا يوجد حصان مُقرّن تمَّتْ تسميَتُه.

إنَّ امتياز نظرية رَسِلْ يكمن في كونها تمكّننا من شرح كيف نتحدّث عن أشياء غير موجودة دون أن نخلق أنطولوجيا جديدة بالكامل. فبحسب نظرة مينونغ، نحتاج إلى جبال ذهبية متواجدة لنحل «تسلقتُ الجبال الذهبية». أما رَسِلْ، فيتحاشى خَلْقَ أنطولوجيا جديدة كاملة للأشياء المتواجدة، إذْ يرى أنَّ الجملة تتحدّث عن وظيفة مضمونية أساسًا. لذلك، يقول إنَّ الأسماء الأصليّة التي تُعدُّ فارغةً هي في الواقع بلا معنى، وإن «الجبل الذهبي» ليس اسمًا أصليًا. فيفترض أنَّ فريغه مخطئ، لأنه يفترض ظهور معنى الاسم من إحالته إذا كان بالفعل اسمًا؛ كما يميّز، بخلاف فريغه، بين الأسماء والأوصاف بوضوح، فيرى أنَّ الأوصاف، المعرّفة وغير المعرّفة، لا تعمل كما تعمل الأسماء.

كما يُضمّن رَسِلْ مقاطع قليلة عن أهمية التمييز بين «هو» (is) الخاصة بـ«الإسناد» (predication) و«هو» (is) الخاصة بـ«التطابق» (identity)، والتي سنتوقف للحظات هنا لشرحها. فعلى الرغم من أن هذه النقاط ليست مهمة لموقفه الحجاجيّ، إلا أن لها أهمية كبرى في الفلسفة التحليلية. يقول رَسِلْ: ثمة نوعان من «هو»: «هو» الخاصة بالتطابق، وتلك الخاصة بالإسناد. تُستخدم «هو» الخاصة بالتطابق في

جمل يمكن إعادة صياغتها على طريقة «أ=ب»، كـ«هيسپيروس هو فوسفوروس» (Hesperus is Phosphorus). يوضّح رَسِلْ أنَّنا لا نستخدم «هو» بمعنى التطابق دائمًا. تأمَّل جملة «هذه الطاولة هي بُنيّة» (This table is brown). فالطاولة لها لون بُنّيّ، ولكن هوية الطاولة ليس البُنّيّ. فثمة الكثير من الأشياء في العالم لها اللون البني لا هذه الطاولة فحسب. فمن الغرابة أن نزعم أنَّ هذه الطاولة مطابقة للون البُنّيّ. لذلك، تكون «هو» المستخدمة في جملة «هذه الطاولة هي بُنّيّة» بحسب رَسِلْ هي «هو» الخاصة بالإسناد. وتكون «هو» المستخدمة في جملة «سقراط هو إنسان» (Socrates is human) مختلفة تمامًا عن «هو» المستخدمة في جملة «سقراط هو رجل» (Socrates is a man). فالأولى «هو» الخاصة بالإسناد والأخرى «هو» الخاصة بالتطابق. يقدم لنا رَسِلْ إعادة الصياغة التالية للجملة باستخدام «هو» الخاصة بالتطابق:

3. ثمة س حيث إن سقراط مطابق لـ س وس إنسان.

There is an x such that Socrates is identical to x and x is human.

فكرة رَسِلْ العامة هي أنه يجب علينا أن نكون واعين بالصيغتين المختلفتين لـ«هو» في اللغة. فغموض «هو» أيضًا تضيف دليلًا آخر لفكرَتِه أنَّ اللغة العادية مُضلِّلَة بصورة منطقية، لأن هذه الكلمة -«هو»- تُستخدم في جُمَل الإسناد وجمل التطابق. أما اللغة المثالية، فيرى رَسِلْ أنَّها لن تعاني من غموض كهذا.

3.4 رَفْضُ رَسِلْ لأنطولوجيا مينونغ

يمكن العثور على رفض رَسِلْ القاطع لأنطولوجيا مينونغ في هذا المقطع المثير:

> بسبب الحاجة إلى آلية للوظائف المضمونية، انقادَ كثيرٌ من المناطقة وخلُصوا إلى أن ثمّة أشياء غير واقعية. فجادلوا، كما في حالة مينونغ، أنَّنا نستطيع الحديث عن «الجبل الذهبي» و«المربع الدائري» إلخ، ويمكننا أن نطرح مضامين صحيحة تكون فيها تلك الأشياء هي الفاعل. وعلى هذا لا بد أن يكون لها بعض النوع من

الكينونة المنطقية، وإلا فإن المضامين التي ستظهر فيها ستكون بلا معنى. في هذه النظريات، يبدو لي أنَّ ثمة فشلًا في استشعار الواقع الذي يجب أن نحافظ عليه حتى في الدراسات الأكثر تجريدًا. فعليَّ أن أقول إنَّه لا ينبغي للمنطق بعد الآن أنْ يُقرَّ بالحصان المقرَّن أكثر مما تُقر به علوم الحيوان، لأن المنطق معنيٌّ بالعالم الواقعيّ بنفس حال علم الحيوان، برغم سِماته العامّة والأكثر تجريدًا. إن قولَنا إنَّ للأحصنة المقرّنة وجودًا في فنون الشعارات أو في الآداب أو في الخيال، هو التفافٌ تافهٌ مثيرٌ للشفقة. فما هو موجود في فن الشعارات ليس حيوانًا، من لحم ودم، يتحرك ويتنفس بتلقائيته. ما هو موجود صورة أو وصف للكلمات. وعلى ذات النحو، زعمنا أنَّ هاملت، مثلًا، موجود في عالمه الخاص، أي في عالم وخيال شكسبير. فهذا صحيحٌ كصحّة قولنا مثلًا إنَّ نابليون قد وُجِد في العالم المألوف، وهذا كقول شيء مُربِك بتعمّد، أو مربِك لدرجة ألا يُصدَّق. ليس ثمة غير عالمٍ واحدٍ، هو العالم «الواقعي»: وخيال شكسبير هو جزء منه، والأفكار التي يملكها حين كتب هاملت واقعية. وكذلك الأفكار التي لدينا حين نقرأ المسرحية. ولكن من جوهر الخيال أن فقط الأفكار، والمشاعر، إلخ، بداخل شكسبير وقرّائِه هي الواقعية، وأنه ليس ثمة، بالإضافة إليهم، هاملت ملموس. فحين تأخذ بالاعتبار كل المشاعر التي أشعلها نابليون في الكتّاب وقرّاء التاريخ، فإنك لن تلمس الرجل الحقيقي؛ ولكن في حالة هاملت، فقد تصل إلى أخمص قدميه. فإذا لم يفكّر أحدٌ في هاملت، فلن يتبقّى منه شيء؛ وإذا لم تخطر بذهن شخص فكرة عن نابليون، فسيرى سريعًا أنَّ شخصًا ما خطرت بذهنه الفكرة. إن معنى الواقع أساسيّ في المنطق، وكل من يعبث به بالتظاهر أنَّ هاملت هو نوع آخر من الحقيقة يُسيء إلى الفكر. فالمعنى الصارم للواقع ضروريٌّ جدًّا في تشكيل تحليل صحيح للمضامين عن الأحصنة المقرّنة، والجبال الذهبية، والمربعات الدائرية، وبقية الأشياء الوهمية[28].

يمكننا أن نرى بوضوح هنا صلابة فكرة رَسِلْ. فقولُنا إنَّ هاملت موجودٌ في خيال شكسبير أو في خيالاتنا هو طريقة مُربكة في الحديث. فهاملت، كما يجادل رَسِلْ، ليس له نفس الوجود في خيالاتنا كوجوده لديك حين تقرأ النص. فقد تعني جملة «لهاملت وجود في خيال شكسبير» أنَّ شكسبير اخترع شخصية هاملت الخيالية. فالجملة لا تعني في الأغلب أنَّنا يمكننا أن نذهب إلى مكان اسمه «الخيال» (imagination)، ونجد هاملت يتسكّع هناك، فهو موجود كما يتواجد أحدنا في الواقع. وهنا يكمن الجانب المضلِّل للغة المألوفة؛ فجملة «ثمة كلب في الغرفة المجاورة» تسمح للسامع أو القارئ أن يفهم معناها، فسيرى كلبًا في الغرفة المجاورة إنْ ذهب لتلك الغرفة. ولكن جملة «ثمة كلب في خيالي» تجعل الأمر يبدو وكأن الخيال مكانٌ يمكن أن يُسافر إليه المرء، وبالوصول إليه، سيجد كلبًا، ينبح ويهزّ ذيلَه. يرى رَسِلْ أنَّ هذه الفكرة سخيفة؛ فلا يوجد كلبٌ أو حصانٌ مُقرّن في خيال أحد بنفس طريقة وجود حصان في الحقل.

أمّا فيما يخصُّ ما إذا كان المقطع السابق ينقض رأي مينونغ، فلا نستطيع الجزم بذلك بعد. فمينونغ لم يقل أبدًا إنَّ عبارات كـ«الجبل الذهبيّ» تُحيل إلى أشياء لها وجود. فحجَّتُه الكاملة مبنيَّةٌ على فكرة أنَّ ثمّة أشياء لها تواجد. كما لم يصرّح مينونغ أنَّ ثمة أشياء في الخيال بنفس وجود أشخاص في القرى والمدن. وبالطبع من حق رَسِلْ أن يُناقِض ما يظنه أنَّه من اقتراحات مينونغ، لا ما يقوله مينونغ بالفعل. وسنفترض من أجل فهم نظرية رَسِلْ أنَّه مصيبٌ حول الكيفية التي يجب أن نتعامل بها مع الأوصاف المعرّفة التي تُحيل إلى هذه الأشياء غير الموجودة، أي إنَّه ليس لها إحالة أبدًا.

3.5 تفاصيل نظرية رَسِلْ للأوصاف

لقد أصبحت نظرية الأوصاف بسيطةً الآن، فأيّ وصفٍ غير معرّف كـ«رجل» (a man) مماثل لمحدد كمية وجودي. وقد يتساءل القارئ عند هذه النقطة عن الكيفية التي يفرّق بها رَسِلْ بين الوصف المعرّف وغير المعرّف، ولنبدأ بالوصف غير المعرّف في جملة «الملك الحالي لفرنسا

محظوظ» (A present king of France is lucky). يُمكننا إعادة صياغة تلك الجملة بالطريقة التالية «ثمة شخص ما «س» بحيث يكون «س» الملك الحالي لفرنسا وس محظوظ» (There exists someone x such that x is a present king of France and x is lucky). بعد قيامنا بإعادة الصياغة، يطالبنا رَسِلْ أن نتأمل مثالًا تتشكل فيه الجملة من «ملك فرنسا» (the king of France)، فالفارق يكمن فيما إذا كان ثمة «فرادة» (uniqueness) مقتضاة. ففي جملة «قابلتُ رجلًا» (I met a man)، لا يقتضي قائل الجملة بصورة منطقية أنَّه قابَلَ شخصًا واحدًا فقط، فقد تنطَبِق هذه الأوصاف باستخدام أداة التنكير (a) على أكثر من رجل. في المقابل، يُمكن للوصف المعرّف بـ«أل» التعريف (the) (مثال: ملك فرنسا the king of France) أن ينطبق على شخص واحد فقط إنْ حُقَّ له أن ينطبق على شيء. لذلك، تُضاف «الفرادة» حين يتم استبدال أداة التنكير (a) بـ«أل» التعريف (the). وبناءً على هذا، يحتَجُّ رَسِلْ أنَّه يجب علينا أن نُحلل الأوصاف المعرّفة بنفس الطريقة الأساسية التي نحلل بها الأوصاف غير المعرّفة، فالفرق الوحيد في هذه التحاليل يكمن في كون الأوصاف المعرّفة تحظى بفرادة مُضافة. وبأخذ هذه التأملات في الاعتبار، سنتحقق أولًا من تحليل الوصف غير المعرّف، ثم سنتحقق من تحليل الوصف المعرّف. فلنتأمّل الآن «فاء هو جيم» (An F is G) و«الفاء هو جيم» (the F is G). تكون الجملة الأولى صحيحةً إذا وفقط إذا كان ثمة شيء واحد على الأقل هو «فاء» و«جيم». أما الثانية فتكون صحيحة إذا وفقط إذا كان ثمة شيء واحد على الأقل هو «فاء» والآخر «جيم»، وشيء واحد على الأكثر هو «فاء» والآخر «جيم»، وكلاهما يقتضي الوجود المعبر عنه بـ«على الأقل» (at least)، فيما تقتضي الأولى فقط الفرادة المعبّر عنها بـ«على الأكثر» (at most). فإذا حللنا الجملة «ملكة إنغلترا سعيدة» (The queen of England is happy)، فعلينا القول إنَّ ثمة ملكة لإنغلترا، وإن ثمة فقط ملكة واحدة لإنغلترا وإنها سعيدة.

ثمة ثلاثة «معطوفات» (conjuncts) في هذا التحليل لـ«الفاء هو جيم»: (1) يوجد شيء ما يكون «فاء»، و(2) ثمة شيء واحد فقط هو «فاء»، و(3) ذلك الشيء «جيم». لهذا حين تقول جملة «ملك فرنسا

أصلع» (The king of France is bald)، فإنك تقول ثمّة شيء ما هو ملك لفرنسا، وثمة على الأكثر شيء واحد فقط هو ملك لفرنسا وذلك الشيء «أصلع».

هذه هي صياغة رَسِلْ العامة لتحليل الجملة «الفاء هو جيم». فنظريته مباشرة بصورة واضحة. فالفكرة الأساسية هي أن الكلمة «أل» (the) تعني الوجود والفرادة. والوجود يعني على الأقل واحد، والفرادة تعني على الأكثر واحد، ومن ذلك يتأتّى الإسناد المعين («هو أصلع»). مع هذا، يبدأ تأويل رَسِلْ للأوصاف المعرّفة من الصيغة النحوية بالعبارة البسيطة «الفاء» (the F). وبالتالي يتم إعادة صياغتها بعطف الوجود والفرادة، مما يُنتج صيغة لغوية معقدة. فهذه الصيغة المنطقية مختلفة تمامًا عن الصيغة الظاهرة في اللغة المألوفة، حيث لا تكون «الفاء» (the F) عطفًا أبدًا. فالوصف المعرّف يختفي كمصطلح مفرد في هذا التحليل، وليس له إحالة خاصة به.

ولدينا ثمة ملاحظة جانبية عن الجزء التقنيّ من تحليل رَسِلْ: فثمة طريقتان لتحليل الفرادة من الناحية المنطقية. الأول يحمل هذا الترميز «∃!x (Fx and Gx)» ويُقرأ «ثمة س فريدة بحيث تكون فاء-س وجيم-س» (There is a unique x such that Fx and Gx). وهي طريقة سهلة ومريحة للغاية لبناء فرادة في محدد الكمية. فبتلك الطريقة، نكون قد حدّدنا الفرادة دون تحليل: فقط استخدمنا «!» كرمز بدائيّ للتعبير عن الفرادة. مع ذلك، ثمّة طريقة أخرى أبسط لتحليل الفرادة في المفردات المنطقية. تأمّل التالي:

4. ثمة س بحيث فاء-س، ولكل ص إذا فاء-ص، بالتالي س=ي، وجيم-س[29].

There is an x such that Fx and for all y if Fy, then x = y and Gx.

ففي اللغة الأكثر بساطة، يقول هذا التحليل التالي: «ثمة س حيث إن س هو ملك فرنسا، ولأي شيء ص، إذا كان ص ملك لفرنسا، فـ ص إذن مطابق لـ س، وس أصلع». وهذه طريقة لقول إن شخصًا ما هو ملك

لفرنسا بصورة فريدة وأصلع. ونحن نقول ومن منطلقٍ حدسيٍّ إنه إذا كان ثمة أي شيء آخر في العالم هو ملك لفرنسا، فهو متطابقٌ مع الشيء الأول. وذلك يقتضي أنه ليس ثمة شيء آخر غير ذلك الشيء الواحد، مع إنَ أيّ شيءٍ يكون ملك لفرنسا فسيكون الشيء الأول. كما إن هذه هي الطريقة المتعارَف عليها للتعبير عن الفرادة باستخدام منطق محدد الكمية العادي مع التطابق، وهو ليس ضروريًا لفهم النظرية، مع إنها طريقة واحدة لتحليل ما تعنيه الفرادة. فالفرادة تعني «على الأكثر». وعمومًا، فهذا الجزء من النظرية، الذي يستخدم المنطق المتعارف عليه، ليس ضروريًا لفكرة رَسِلْ الأساسية. هو فقط شرح لما تعنيه الفرادة.

كما رأينا، يعتقد رَسِلْ أنَّ الأوصاف المعرّفة ليست أسماء عَلَم، على الرغم من أنها تظْهَر إلى حدٍّ ما وكأنها أسماء عَلَم. ومتى ما أدرك فيلسوف اللغة أن النحو مضلِلٌ من الناحية المنطقية، فسيشكّل نظريةً لن تكون مُضللة منطقيًا. فبحسب رَسِلْ، لا نحتاج إلى أن ننصَّ في نظريتنا للمعنى على أيّ شيءٍ أكثر من إحالة المصطلحات، حين يتمّ تحليل جُمَلِنا بصورة كاملة. فرَسِلْ متأثر بجون ستيوارت مِل (John Stuart Mill) حول أسماء العلم الأصلية، لأنه يعتقد أنَّ التعابير تعني في النهاية ما تعنيه بحكم الإحالة إلى ما تُحيل إليه.

فإذا كان رَسِلْ لا يقتنع أنَّ الأوصاف المعرّفة هي أسماء علم، فربما نتساءل عمّا تكون أسماء العلم بالنسبة إليه. يرى رَسِلْ أنَّ ثمة أسماء علم، مع إن لديه مجموعة غريبة من المعايير الخاصة بالأسماء. فكما أوضحنا أعلاه، يقول في إحدى أفكاره إنَّ الكلمات التي تظهر في اللغة على أنها أسماء علم ليست في الواقع أسماء علم، لأن اللغة مُضللة بصورة منطقية. فاسم كـ«برتراند رَسِلْ» مثلًا سيَرِد في اللغة على الرغم من أنه ليس اسمَ علم أبدًا. بذلك، يؤيد رَسِلْ نظرية الوصف الخاصة بالأسماء ويعتبر تلك الأسماء كأشياء مماثلة للوصف، فيأخذ الاسم ويعيد صياغته فيحوّلُه إلى وصف (مثال: «مؤلف مبادئ الرياضيات»)، ثم يُحلّل الوصف بنظريته للأوصاف، وبالتالي يستبعد الاسم كاسم. فلا يرى رَسِلْ أنَّ ثمة اسمًا في اللغة المألوفة يكون اسم علم بصورة منطقية؛ فجميعها أسماء مزيفة، ولكنها تظهر على أنها أسماء، مع إنها ليست أسماء في

الواقع. وتؤكد نظرته هذه أنَّ كل الكلمات المتعارف عليها والتي نعدّها كأسماء علم في اللغة الطبيعية هي أوصاف معرّفة «متنكرة» (disguised)، وتلك الأوصاف تُحلل بنظرية الأوصاف. وباتباع هذه النظرية، لا يكون لتلك الأوصاف معاني بحكم إحالتها، كما هي حالة أسماء ال‌علم المألوفة.

يعتقد رَسِلْ أنَّ ثمة كلمات يمكن أن يكون لها معنى بحكم إحالتها، وهذه الكلمات يُسمّيها بـ«أسماء العلم المنطقية» (logically proper names). وأسماء العلم المنطقية ذات معنًى بحكم ما تُحيل إليه. أمّا أسماء العلم المألوفة فليست أسماء علم منطقية، لأن ليس لها معنى بحكم ما تُحيل إليه. إذن لدينا فئة منطقية خاصة بأسماء العلم لا تنتمي إليها التعابير المألوفة التي تُعرَف بالأسماء. فحين تقارن نظرة رَسِلْ بنظرات أكثر تحفظًا من الناحية النحوية كنظرات فريغه ومينونغ، فستكون نظرته غريبةً بعض الشيء إذ يرى أنَّ اللغة مضللة لدرجة أنها لا تحوي أسماء علم حقيقية رغم ما يظهر للناس. وفي المقطع التالي، يصف رَسِلْ ما يعنيه بالأسماء فيقول:

> «الاسم رمز بسيط له معنى ويدل على شيءٍ قد يَرِد كفاعل، أقصد شيئًا من النوع الذي عرّفناه على أنه «فرد» (individual) أو «محدد» (particulara). والرمز «البسيط» شيء ليس له أجزاء رموز. بالتالي، فإن «سكوت» (Scott) رمز بسيط، لأنه، ورغم أن له أجزاء (أحرف متقطعة)، إلا أن هذه الأجزاء ليست رموزًا. في المقابل، «مؤلف «المتموج»» (the author of Waverly) ليس رمزًا بسيطًا، لأن أجزاء الكلمة التي تشكّل العبارة هي أجزاء بمثابة الرموز. إذن، فلدينا شيئان نقارن بينهما: (1) اسم، وهو رمز بسيط، ويُعيّن بصورة مباشرة شخصًا له معنى، وله معنى بصورة مستقلة، بعيدًا عن معنى الكلمات الأخرى؛ (2) ووصف، ويتشكّل من كلمات عدة، لها معانٍ ثابتة مُسبقًا، ومنها ينتج ما يمكن أن يعبّر عن معنى الوصف. فالمضمون الذي يحتوي على وصف ليس مطابقًا لما سيكونه ذلك المضمون إذا تمَّ الاستبدال باسم، حتى وإن كان الاسم يُسَمّي نفس الشيء الذي يصِفُه الوصف.

فـ«سكوت مؤلف «المتموج»» مضمون مختلف بصورة واضحة عن «سكوت هو سكوت»: فالأول حقيقة في التاريخ الأدبي، والثاني حقيقة بديهية تافهة. فإذا وضعنا أيّ شخص آخر غير سكوت مكان «مؤلف المتموج»، فسيكون المضمون خاطئًا، وبالتالي لن يكون نفس المضمون أبدًا[30]».

فكرة رَسِلْ هنا أن اسم العلم رمز بسيط ليس له تحليل ولا أجزاء، ويعني الاسم ما يعنيه بسبب ما يُعيّنه بكل بساطة. أمّا الأوصاف المعرّفة، فليست أسماء علم بذلك المعنى أبدًا، لأن المضمون المعبَّر عنه لا يمكن أن يُحافظ عليه باستبدال الوصف بالاسم (أو العكس). فلن يكون هذا الاستبدال ممكنًا لأن الأوصاف المعرّفة والأسماء أنواع مختلفة جدًا من التعابير، ولها أنواع مختلفة جدًا من المعاني.

يوظّف رَسِلْ فكرة «التعيين المباشر» (direct designation). فالتعيين المباشر يصف كيف يُعيّن اسمٌ حقيقيٌّ حاملَه، وذلك بدون أيّ وصف. فالاسم لا يعبّر عن وصف يمكن أن يلتقط شيئًا، بل يُعيّن حامله بصورة مباشرة، والحامل هو معنى الاسم. بالتالي، يبدو أنَّ رَسِلْ متأثرٌ بمِل، لأنه يعتقد أنَّ للأسماء معانيها بحكم إحالاتها وإحالاتها فحسب.

يمكن ملاحظة شيء واحد وهو أن رَسِلْ يعجز في مقالة «الأوصاف المعرّفة» أن يقول شيئًا عمّا يمكن أن يكونه اسم العلم. ولكنه يقترح في الكتابات الأخرى أن اسم العلم المنطقي هو «اسم إشارة» (demonstrative)، لأن اسم الإشارة يمكنه أن يُحيل مباشرةً إلى «بيانات المعنى» (sense data). فلا يمكن لشخص، بحسب رؤية رَسِلْ، أن يُحيل مُباشرةً إلى أشياء ماديّة، لأن الأشياء المادية قد لا تكون موجودة (فالرائي قد يهلوس عن أشياء). بالتالي، فأسماء العلم المنطقية عبارات كـ«تلك الرقعة السوداء التي تراها الآن»، حيث يُحيل هذا إلى «معلومة معنى شخصية» (subjective sense datum). وأسماء الإشارة، بحسب رَسِلْ، هي أسماء العلم المنطقية الوحيدة، لأنها تُحيل فقط إلى معلومات المعنى. وهذا يبدو غريبًا؛ فنحن في الغالب لا نُصنّف أسماء الإشارة على أنها أسماء. فمتى كانت آخر مرة سُمّيَتْ معلومات المعنى لديك بأسماء علم؟ هل سبق وأشرتَ إلى معلومة معنى بـ«فِل» (Phill) مثلًا؟

حين نعود إلى نقاشنا عن فريغه، فقد تثور بعض الأسئلة لدينا عن نظرية رَسِلْ المتأثرة بمِل. فمثلًا، كيف تعمل فكرة رَسِلْ عن أسماء العلم المنطقية مع جُمَل التطابق؟ فلم يتكلم رَسِلْ عن ذلك، ربما لأنه كان مهمومًا جدًّا بسؤال الوجود، وكان فريغه مهمومًا بالتطابق بصورة أساسية. فلم يَقُلْ رَسِلْ أيَّ شيء عن جمل التطابق، إذ يفترض أنَّ اسميَ علم منطقييَن لنفس الشيء يحملان نفس المعنى، لأن معنى اسم العلم هو حامله. فرَسِلْ ملتزم بالموقف القائل إنَّ جملة التطابق التي تربط اسميْ علم منطقييَن هي «حشو» (tautology)، فيتحاشى اعتراضًا واضحًا هنا بتحاشيه لسؤال هيسپيروس وفوسفوروس.

يؤكد موقف رَسِلْ فيما يخصّ طريقة التعامل مع جملة التطابق التي تربط اسمَيْ علم منطقيَّيْن على أنه لا يمكن لاسميْ العلم المنطقيّين غير المترادفين، بحسب نظامه، أن يُعيّنا نفس الشيء. فالأسماء تختلف في معناها حين تُحيل إلى نفس الشيء، فقط إذا لم تكن أسماء فعلًا. فإذا كانت أسماء، كما يُعرِّف رَسِلْ أسماء العلم المنطقية، فلا يمكن أن تختلف في معناها حين تسمّي بعضها بعضًا. فيجب أن تحوي جُمَل التطابق على أسماء إشارة تُحيل إلى معلومات المعنى. وبالطبع، ستكون جملة تطابق خاطئة إذا كانت الإحالة تُحيل إلى مظهرين مختلفين. فهيسپيروس، بحسب الناظر، سيستجْمِع معلومات معنى مختلفة في الصباح عمّا سيستجمعه فوسفوروس في المساء. ولأن هذين يمثّلان أجزاء مختلفة تمامًا من معلومات المعنى، فلا يمكن أن يناسبا معايير رَسِلْ لأسماء العلم المنطقية. لذلك، فـ«هيسپيروس» ليس اسمًا، بالنسبة لرَسِلْ. الاسم هو «معلومة المعنى هذه الخاصة بالنقطة المستنيرة». فلا يوجد، بحسب نظام رَسِلْ، جمل تطابق يمكن أن تكون تثقيفية وتحوي أسماء مألوفة.

تعدُّ كيفية تعامل رَسِلْ مع «قيم الصحة» (truth-values) من الآثار المترتبة على نظريته التي أثارت كثيرًا من الأسئلة. فبحسب رَسِلْ، تكون قيمة الصحة الخاصة بجملة «ملك فرنسا أصلع» (the king of France is bald) خاطئة؛ فمن الطبيعي أن نفترض أنَّ هذه الجملة ستكون خاطئة، فقط إذا كان ملك فرنسا المتواجد بحسب مينونغ له شَعْر.

ولكن رَسِلْ لا ينظر من خلال هذه النظرات أبدًا، إذ يعتقد أنَّ أيّ جملة تحوي ذلك الوصف فهي خاطئة، لأن ملك فرنسا ليس موجودًا. ففي تعاطيه مع قيم الصحة، تكون جملة «شيرلوك هومز مخْبِر» (Sherlock Holmes is a detective) خاطئة، لأنها تقتضي من الناحية المنطقية وجودًا حقيقيًّا لشيرلوك هومز. يعترض پيتر فريدريك ستروسن (Peter Frederick Strawson) على هذه الفكرة في مقالته الشهيرة «عن الإحالة» (On Referring)، مجادلًا بأنَّ هذه الجملة لا يمكن أن تكون صحيحة ولا خاطئة، لأنه لا يوجد ملك لفرنسا أصلع أو غير أصلع. فالطريقة الوحيدة لتلك الجملة كي تكون صحيحة هي أن يكون ملك فرنسا أصلع، والطريقة الوحيدة التي تجعلها خاطئة هي أن يكون ملك فرنسا برأسٍ مليءٍ بالشَعْر. وبما أن هاتين الحالتين ليستا هما الحال القائم، فعلى جملة «ملك فرنسا أصلع» ألا تكون صحيحةً أو خاطئةً، بخلاف تحليل رَسِلْ الذي يقتضي أنَّها خاطئةٌ تمامًا.

3.6 مشاكل مع رَسِلْ

رغم شرحنا لتحليل رَسِلْ في الأقسام السابقة، لم نناقش بعْدُ ما إذا كان تحليلُهُ صائبًا من عدمه. تأمَّل المقطع التالي ففيه تلخيصٌ مميزٌ لما ناقشناه في الأقسام السابقة:

> «وقد نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ونقول إنَّه، في كل هذه المعارف التي يُعبَّر عنها بالكلمات، باستثناء «هذا» و«ذلك» وقليل من الكلمات التي تتغيّر معانيها بتغيُّر مناسباتها، لا يوجد اسم، بالمعنى الحرفي للاسم، أي موجود، فما تبدو لنا أسماء هي أوصاف فعلًا. وقد نتساءل باهتمام ما إذا كان «هوميروس» (Homer) موجودًا، ولا يمكننا فِعْلُ ذلك إذا كان «هوميروس» اسمًا. فمضمون «كذا وكذا موجود» (so-and-so exists) مهمٌّ، سواءٌ كان صائبًا أو خاطئًا؛ بينما إذا كان «أ» هو «كذا وكذا» (أي إنَّ «أ» اسم)، فليس لكلمات «أ موجود» معنى. فهي فقط ذات وصف، معرَّف أو غير معرَّف، ومنها يُؤكَّد الوجود بشدة؛ لذلك، إذا كان «أ» اسمًا، فيجب أن يُسمِّي شيئًا ما: وما لا يُسمّي شيئًا فليس

اسمًا، وبالتالي، إذا أريد منها أن تكون اسمًا، فستكون رمزًا بلا معنى، بينما لا تصبح الأوصاف من قبيل «الملك الحالي لفرنسا» عاجزة عن الظهور بناءً على أنها تصف لا شيء، فالسبب يعود إلى كونها رموزًا معقّدةً، يُشتق المعنى من رموزها المُركَّبة. فحين نسأل ما إذا كان «هوميروس» موجودًا، فنحن نستخدم الكلمة «هوميروس» كوصف مختصر: وقد نستبدلها مثلًا بـ«مؤلف الإلياذة والأوديسّة» (the author of Iliad and the Odyssey). وتنطبق نفس الاعتبارات على كل استخدامات ما يبدو لنا أسماء علم[31]».

في هذا المقطع، يوضّح رَسِلْ ثلاث نقاط مهمّة. يُعرّف الاسم كرمز بسيط معناه الإحالة، فأيّ اسمٍ بلا إحالة سيفتقر للمعنى. أمّا تسمية الاسم بـ«الفارغ» (empty) فهو تناقُضٌ في المصطلحات، لأن الاسم بلا إحالة ليس اسمًا من البدء. كما يرى رَسِلْ أنَّ الأوصاف محددات كمية، وأن «الأسماء» المألوفة مماثلة للأوصاف؛ ويعود السبب الذي يجعل الأسماء المألوفة لنا تبدو أسماء إلى ضعف اللغة الطبيعية.

ثمّة آثار مترتبة لتصوّر رَسِلْ عن الأسماء الأصلية على الجمل الوجودية، إذْ يعتقد أنَّ الجُمَل الوجودية مُضلّلة للغاية لأنها تظهر وكأنها تحوي أسماء بينما لا تحويها. فجُمَل من قبيل «أ موجود» (a exists) تبدو وكأنها تحوي اسم العلم «أ»، بينما ثمة احتمالان لهذا النوع من الجُمَل. الأول، إذا كان الاسم «أ» يُحيل فعلًا إلى شيء، فمعنى الاسم يضمن أنَّ الاسم له إحالة. بالتالي، فإضافة «موجود» (exists) إلى الاسم هو تأكيدٌ لحشو، لأن الأسماء في نظام رَسِلْ ستُحيل إلى الأشياء الموجودة، ويمكننا تصميم مثال لنبيّن هذه النقطة. إذا نظر شخصٌ ما للأعلى سيقول، إحالةً إلى لون السماء، «ذلك التدرُّج للأزرق موجود» (That shade of blue exists)، وهو يعرف أنَّ ذلك التدرُّج للأزرق موجود، لأنه جانب من معلومة المعنى. فالقول إنَّ اللون موجود غير ضروري، لأنه مفهوم بحكم فَهْم الاسم بمفردِه.

يظهر الاحتمال الثاني إذا كان الاسم «أ» لا يُحيل إلى أيّ شيء. فإذا كان الاسم لا يُحيل إلى أيّ شيء، فالجملة التي تحويه هي جملة بلا معنى إذن

وبجزءٍ بلا معنى، وبالتالي ليست جملة واقعية. خُذْ على سبيل المثال جملة «أ غير موجود» (a does not exist): بما أن الاسم «أ» لا يُحيل إلى شيء، نستطيع القول إنَّه «فارغ». فالمشكلة مع تلك الجملة المزعومة «أ غير موجود» أنها لا يمكن أن تكون صحيحة لأن الاسم يفتقر للإحالة وبالتالي سيكون بلا معنى. ولا يمكن، بحسب رَسِلْ، أن تنطبق الجمل الوجودية على الأسماء، بينما يمكن أن تنطبق الجمل الوجودية على الأوصاف، لأن الأوصاف لا تحتاج إلى إحالة كي تكون بمعنى. إذن، لن تحوي الجمل الوجودية أسماء أبدًا. فيجب أن يكون للأسماء، في نظام رَسِلْ، إحالة كي يكون لها معنى، كما إنه من تافهِ القول أنَّ إحالتها موجودة، لأنَّ عليها أن تكون موجودةً دائمًا.

يقدّم رَسِلْ مقترحًا راديكاليًّا للغاية، تكون الفكرة الثاوية خلفه أن ثمة مضامين تختفي خلف الجُمَل، وكل مضمون له نوع من الصيغ المنطقيّة الجوهريّة. أي إنَّ هذه المضامين مُتدثّرة في جمل اللغة المألوفة، ولكن دثارها مُضلّل عن الصيغة الواقعية للمضمون؛ ووظيفة الفيلسوف أن يتسلّل تحت الدثار ويكتشف الطبيعة الحقيقية للمضمون. لذلك، استطاع رَسِلْ أن يصمِّم ترميزًا لإظهار تلك الطبيعة. وقد أفضى مقتَرَحُه إلى الفكرة القائلة إنَّ الفلاسفة محتاجون إلى تصميم لغة كاملة من الناحية المنطقية لتكشف التركيب الواقعي المتواري خلف اللغة المألوفة. ففي مثالنا «أ موجود» (a exists)، تبدو وكأنها جملة فاعل-مسند كـ «أ أحمر» (a is red)، ولكنها في الواقع جملة محدد كمية. بالتالي، فالمضمون المتواري هو من نوعٍ مختلفٌ تمامًا عمّا يعبّر عنه من خلال الجملة «أ أحمر». ومن الأسباب التي جعلت تحليل رَسِلْ للأوصاف مهمًّا جدًا أنه أشعل النقاش حول احتمالية تكوين لغة كاملة من الناحية المنطقية، وقد اعتقد الكثير من الفلاسفة أنَّ هذه اللغة الكاملة من الناحية المنطقية قد تحلّ كل الإشكالات الفلسفية وقد تحلّ بصورة خاصة المشاكل الأنطولوجية، لتخلصنا من أنطولوجيا مينونغ الغامضة. فعلى سبيل المثال، خُذْ الدليل الأنطولوجي لوجود الإله: فالإله له كافة الكمالات، ومن هذه الكمالات الوجود، وبالتالي فالله موجود. يرى رَسِلْ أنَّ هذا الكلام يفترض أنَّ الوجود مُسند. بعبارة أخرى، ستعطي جمل

الفاعل-المسند من قبيل «الله موجود» (God exists) مسندًا لشيء يُسَمّى «الإله». وتلك الجملة، وفقًا لرَسِلْ وفريغه، ليست جملة فاعل-مسند أبدًا، لأن كلمة «موجود» (exists) ليست مسندًا. أي إنَّ ذلك الوجود ليس مسندًا أو صفة للأشياء، ككونه أحمر. بل مفهوم من الرتبة الثانية ويُعدُّ صفةً للوظيفة المضمونية. وبهذا، لن تكون الحجة الأنطولوجية قوية فعلينا تشكيل لغة لحل المشاكل الفلسفية كي نُظهر الصيغة الخفية للمضامين.

3.7 وُرود أساسي وفرعي

ناقشنا حتى الآن جمل لها صيغة «الفاء هو جيم» (the F is G) وقد نتساءل عن كيفية تعاطي رَسِلْ مع جمل لها صيغة «الفاء ليست جيمًا» (the F is not G). يرى رَسِلْ أنَّ مثل هذه الجمل غامضة. وحتى نفهم فكرته، لننظر في حالة تنطبق فيها «ليست» (not) على مسند، كـ«ملكة إنغلترا ليست حاملًا» (The queen of England is not pregnant)، فهنا نُلحق عدم الحمل بجلالتها. ولكن بدلًا من وضع علامة النفي قبل «جيم» (G) مباشرة، يمكننا أن نضعها في البداية ونشكّل جملة «ليس الحال أنَّ ملكة إنغلترا حامل» (It is not the case that the queen of England is pregnant). فإذا ترجمنا هذه إلى نظام رَسِلْ، سنحصل على نفي المقطع الوجودي «ليس الحال أن على الأقل شيئًا واحدًا هو ملكة إنغلترا» (It is not the case that at least one thing is a queen of England)، وستعبّر هذه الجملة عن مضمون، وهو أنه ليس الحال أنَّ ملكة إنغلترا موجودة.

لنأخذ الآن مثالًا يكون فيه الوصف فارغًا: «ليس الحال أنَّ ثمة على الأقل ملكًا واحدًا لفرنسا». فبِنَفْيِ الجملة الوجودية القائلة إن ثمة ملكًا لفرنسا، ستصبح الجملة صحيحة. وبما أنه ليس الحال أنَّ ثمة على الأقل ملكًا واحدًا لفرنسا، فستكون الجملة «ملك فرنسا ليس أصلع» صحيحة عندما تُؤَوَّل بتلك الطريقة. ولكن وفقًا للتأويل الأول، لن تكون الجملة صحيحة. فللمضمونين قيمتا صحة مختلفتان. بالتالي، تعتمد صحة أو خطأ الجملة على المكان الذي تم فيه إدخال النفي. ففي الحالة

الثانية، ستُنفى الجملة كاملة، وفي الأولى، سيُنفى المسند فحسب. خُذْ جملة «ليس الحال أن ثمّة ملكة لإنغلترا وأنها حامل». بما أن ثمة ملكة لإنغلترا، فهذه الجملة خاطئة. في المقابل، إذا وُضِعَتْ «ليس» (not) قبل المسند، ستكون الجملة صحيحة (لأن ملكة إنغلترا ليست حاملًا). وللتعاطي مع هذا النوع من الغموض، يطرح رَسِلْ مصطلحات الورود الأساسي والفرعي. فنجد «الورود الأساسي» (primary occurrence) للوصف حين يَرِدُ النفي قبل المسند، ونجد «الورود الفرعي» (secondary occurrence) للوصف حين يُطبّق النفي على الجملة كاملة بما فيها الوصف. ولنُبيّن هذه النقطة بوضوح، نستطيع أن نستجلب من المنطق مصطلح «نطاق النفي» (scope of negation). ففي الورود الأساسي، يكون للنفي «نطاق ضيّق» (narrow scope)، وفي الورود الثانوي يكون للنفي «نطاق عريض» (wide scope) فيشمل الوصف. وسيخبرنا النطاق بصورة يسيرة ما تمَّ تضمينُه في النفي: هل نحن ننفي المضمون كاملًا أو جزءًا منه مماثلًا للمسند؟

كما تنطبق هذه النقطة الخاصة بالنفي على «الضرورة» (necessity). فالضرورة مثل النفي لها نفس النوع من الغموض. وقد يتساءل إنسانٌ كيف نقرأ جملة «ملكة إنغلترا حامل بالضرورة» (the queen of England is necessarily pregnant). قد تُقرأ إمّا كـ«ضروري أن ثمة ملكة لإنغلترا وفقط واحدة، وهي حامل» أو كـ«ثمة ملكة لإنغلترا وواحدة فقط وهي حامل بالضرورة». وفي الحالة الأولى يكون لـ«العامل الاحتمالي» (modal operator) نطاق واسع، وفي الثانية نطاق ضيق. ولهذه قيَم صحّة مختلفة. فعندما تَرِد هذه الأنواع من العوامل كالنفي والضرورة والاحتمال في الجمل التي تحوي أوصافًا، فسيحدّد النطاق التفاعل المنطقي بين العامل والوصف، ويمكن لهذا التفاعل أن يُصبِحَ معقّدًا إذا احتَوَتْ الجملة على عوامل متعددة.

بهذا نختم نقاشنا عن نظرية رَسِلْ للأوصاف. وسنرى، في الفصل الثاني، بعض الانتقادات الممكنة لنظرية رَسِلْ.

---

(25) Bertrand Russell, «Descriptions», in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 147.

(26) المترجم: بما أن المؤلف يستخدم حرف R كاختصار كونه أول حرف من كلمة (Relationship) فقد استخدمتُ هنا «ع» كاختصار كونه أول حرف من كلمة «علاقة».

(27) المترجم: يترجم المناطقة لفظة (function) بـ«دالة» أو «وظيفة»، وهنا نستخدم «وظيفة» لشيوعها، ولهذا ننبّه القارئ في حالة تفضيله لـ«دالة».

(28) Ibid., 148.

(29) المترجم: هنا أترجم(x) بـ«س» و(y) بـ«ص»، وهي متغيرات شائعة. أما المتغيرات المتبقية كـ (F) و(G) فلأنها تُعرّف بأل التعريف، فإني أترجمها كأسماء حروفها «الفاء-فاء»، «الجيم-جيم» بدلًا من ألف،ألج.

(30) Ibid., 150–151.

(31) Ibid., 153–154.

تفرقة دنلَن

4.1 مدخل

لنلخّص ما غطّيناه حتى الآن بنقاش نظريتين أساسيتين للأوصاف: نظرية فريغه ونظرية رَسِلْ. فبحسب نظرية فريغه، تعَدُّ الأوصاف أسماء عَلَم تُحيل إلى أشياء. أمّا نظرية رَسِلْ فترى أنَّ أسماء العلم المنطقية تُحيل إلى أشياء، والأوصاف لا تُحيل بل يتمّ تحليلها على صيغة محدّدات كمّيّة. وفي حالة فشل الوصف في الانطباق على شيء، يكون لهاتين النظريتين عواقب مختلفة. فالجمل المشكلة باستخدام الأوصاف دون إحالة (مثال: «ملك فرنسا أصلع» تكون بحسب رَسِلْ دائمًا خاطئة، كونها تؤكد الوجود. فبما أن الجملة تعبّر جزئيًا عن المضمون القائل إنَّ ثمة ملك لفرنسا، ولا يوجد ملك لفرنسا، فقيمة الصحة الخاصة بالجملة خاطئة. أما في نظرية فريغه، فستكون الجملة السابقة إمّا صحيحة أو خاطئة. فإن كان الوصف يُحيل إلى شيء وكان المسند ينطبق على مفعول به يُحيل الوصفُ إليه، فالجملة صحيحة. والشرط الذي يجعلها خاطئةً هو أنْ يكون الشيء المُحال إليه من قبل الوصف لا يُرضي المسند. أما إنْ كان الوصف لا يُحيل إلى أيّ شيء، فستكون الجملة لا صحيحة ولا خاطئة، وعلى هذا فلا يُشترط أنْ يكون كل مضمون إمّا صحيحًا أو خاطئًا. ففي مقالته «عن الإحالة» (On referring)، يوضّح بيتر فريدريك ستروسن (Peter Fredrick Strawson) فكرة «فراغات قيَم الصحة» (truth-value gaps) وتتضح هذه الفكرة حين نتأمّل مثالًا يتشكّل من أسماء. فلتأخذ اسم عَلَم مألوف تمَّ استخدامه في جملة، فإن كان ذلك الاسم لا يُحيل إلى شيء أبدًا، فلن نستنتج أنَّ الجملة خاطئة، لأنه لا يوجد إحالة تفشل في إرضاء المسند، فهي لا صحيحة ولا خاطئة. وهدف هاتين النظريتين أنْ تقدِّم تحليلًا متّسِقًا لمعنى الأوصاف المعرّفة عند ظهورها، فهي نظريات عن «المنطق الداخلي» (inner logic) للأوصاف.

سنرى أنَّ «كيث دنَلَن» (Keith Donnellan) يخالف هذين المخيَّمين. فلا يرى أنَّ التحاليل المنتظمة لدلالة الأوصاف المعرّفة تُقدّم تحليلًا للأوصاف المعرّفة بحسب استخدامها في كل جملة. لهذا يقترح أنَّ الأوصاف المعرفة قد تعمل بطريقتين مختلفتين. فقد تعمل في بعض الجمل بالطريقة التي يدّعيها رَسِلْ، وقد تعمل في جمل أخرى بالطريقة التي يدّعيها فريغه وستروسن. لذلك، لا يرفض دنَلَن نظراتهم بالكامل، ولكنه يرى أنَّه ليس ثمة نظرية واحدة تغطّي دلالة كل الأوصاف المعرفة.

ثمة احتمالية ثالثة عند دنَلَن فيما يخصُّ قيَم الصحة. فإذا كان رَسِلْ يرى أنَّ الوصف الفارغ يتسبّب في جملة خاطئة، ويرى فريغه أنه يتسبب في جملة لا صحيحة ولا خاطئة، فإنَّ دنَلَن يرى أن الوصف الفارغ يتسبب في جملة صحيحة، مقدِّمًا احتمالية ثالثة ستتضح أسبابها فيما يلي من صفحات.

فالفكرة العامة التي يطرحها دنَلَن من خلال أمثلته هي أن الأوصاف قد تعمل بأكثر من طريقة بخلاف الطرق الثابتة التي أشار إليها رَسِل وفريغه وستروسن. وبما أن النظريات التي تحقَّقْنا منها حتى الآن تحلل «دلالة» (semantics) اللغة، يؤمن دنَلَن أننا إذا أردنا نظرية كاملة للغة، فعلينا أن نُدْخِلَ «تداولية» (pragmatics) اللغة. فالدلالة تهتم بالتحليل المجرد للغة بصرف النظر عن المتحدثين، بينما تتحقق التداولية من اللغة وعلاقتها بالمتحدثين في مناسبات تحاورية ملموسة. بالتالي، يُشكّل نقد دنَلَن جزءًا من حركة عامة نحو تحليل «الممارسات الكلامية» (speech acts) لفهم اللغة. فعلينا أن ننظر ماذا يفعل المتحدثون بالكلمات لا ما تفعله الكلمات فحسب. فدنَلَن يرى أنَّ نظرتنا لطريقة عمل الأوصاف أثناء ممارسات التواصل ستتغير إذا تحققنا من دور الأوصاف في الممارسات الكلامية.

4.2 الاستخدامات النعتية والإحالية

يسمي دنَلَن نظرة ستروسن وفريغه بـ«النظرة الإحالية» (referential view) للأوصاف، لأنها تزعم أنَّ الأوصاف إحالية، فهي أدوات تشبه الأسماء. وبما أن موقف رَسِل يقول إنَّ الأوصاف المعرفة محددات كمية،

يمكننا أن نسمي نظرية رَسِل بـ«نظرة محدد الكمية» (quantifier view) للأوصاف، ولكن دنَلَن يُفضّل أن يسميها بـ«النظرة النعتية» (attributive view). والمقطع التالي يلخص فهْمَهُ لهذه المصطلحات.

> سأسمّي الاستخدامين للأوصاف المعرّفة التي أعْرِفُها بالاستخدام النعتي والاستخدام الإحالي. فالمتحدث الذي يستخدم الوصف المعرّف نعتيًّا في حديثه يصرّح بشيء عن كونه كذا وكذا. أما الشخص الذي يستخدم الوصف المعرّف إحاليًا في حديثه فيستخدم الوصف ليُمَكّن المستمعين من التقاط الشيء أو الشخص الذي يتحدث عنه، مصرِّحًا بشيء عن الشخص أو الشيء. ففي الحالة الأولى، يُقال إن الوصف المعرّف يظهر بصورة جوهرية، لأن المتحدث يريد تأكيد شيء عمّا يناسب الوصف، ولكن في الاستخدام الإحالي، يكون الوصف المعرف مجرد أداة للقيام بعمل، وهو لفت الانتباه لشخص أو شيء، فأي أداة لعمل نفس العمل، سواء وصف أو اسم، ستقوم عمومًا بنفس الشيء. ففي الاستخدام النعتي، يكون نعت الشيء المسمّى كذا وكذا هو الأهم، بينما ليس هو الأهم في الاستخدام الإحالي[32].

نرى الوصف الإحالي في جُمَل يتم فيها استخدام المسند «فاء» (F) في الوصف لينطبق على ما يرضيه، لا على شيء معين. فقولُنا إنَّ شيئًا في العالم يرضي المسند هو قولٌ جوهري وبالغ الأهمية. وبفكرة دنَلَن هذه عن الاستخدام النعتي، يمكننا إعادة صياغة الجملة «ملك فرنسا أصلع» إلى «أي شخص هو بصورة فريدة ملك فرنسا فهو أصلع»، ربما بالتأكيد على الحقيقة القائلة إنَّ كون أيّ شخص ملكًا لفرنسا يتطلب وجود الصلع في كل من يشغل ذلك المنصب. ولتحديد ما إذا كانت هذه الجملة صحيحة، سيتعيّن علينا أن نجد شخصًا في العالم يلائم وصف «ملك فرنسا» ثم نُحدد ما إذا كان ذلك الشخص أصلعَ. وهذا يتسق مع تحليل رَسِل لدلالة الأوصاف.

أما الاستخدام الإحالي، فيظهر عندما يلتقط الوصف شيئًا معيّنًا ليُعرّفه للجمهور، بحيث يكون الوصف مجرد أداةٍ للفت انتباه الجمهور في الاتجاه الصحيح. وفي أبسط الحالات، يكون الشيء المثير للاهتمام

أمام المتكلم بصورةٍ مباشرةٍ وكذلك أمام نظر الجمهور. فيتمّ استخدام الوصف ليرى الجمهور الشيء الذي يدور بذهن المتحدث. وهنا يكون الوصف غير جوهريٍّ وغير بالغ الأهمية، لأن ثمة «طرائق تعريفية» (modes of identification) أخرى ستؤدّي نفس المهمة. تصوّر فصلًا دراسيًا ممتلئًا بالطلاب بحيث يلبس أحد الطلاب الذكور قميصًا أخضر. ستُشكِّل طالبة في الفصل جملة عنه بالطرق التالية «ذلك الشخص اللابس لقميص أخضر ذو نظرة تأملية»، أو «هو (وتُشير إليه) ذو نظرة تأملية»، أو «بِل Bill ذو نظرة تأملية». فالمتحدثة إذن استخدمت طريقة واحدة مع أنه بإمكانها استخدام طرق أخرى، وبناء على ما تفكّر فيه ستوجِّه انتباه الجمهور إلى الشخص المعني بفاعلية كبرى. فغايتها أن تُعرِّف شخصًا وتُعلّق عليه، ولا تهتم بالوصف نفسه؛ فهي تريد التعليق على نظرة الطالب التأملية وستقوم أي «طريقة تعيين» (mode of designation) بتلك المهمة.

تقول فكرة دنلَن إن هذه أحوال كلامية مختلفة، يتمتع فيها المتحدث بنوايا تواصُليّة متباينة. فبحسْبِه، يعمل الوصف بصورة مختلفة وفقًا للنية المتوارية خلف «الممارسة الكلامية». لذلك، يستخدم تجربة ذهنية ليشرح نقطته هذه بوضوح. تخيل مُحقِّقًا في مسرح جريمة عثر على جثة رجل يُدعى سميث. وكانت حالة الجثة مشوّهة لدرجة أن قال المحقق «قاتل سميت مجنون!». وعندما قال ذلك، لم يكن يعرف هوية القاتل. فتلك الجملة يمكن إعادة صياغتها بالقول «أيًّا يكن قاتل سميت، فهو بلا شك مجنون». هذا مثال جيد على الاستخدام النعتي. فلكي تكون تلك الجملة صحيحة، سيتوجّب على المحقق أن يجد الإنسان الذي قتل سميث ويحدد ما إذا كان مجنونًا أم لا. فليس لديه في ذهنه أي شخص معين، وبالتالي هو يستخدم محدد الكمية «أيًّا يكن قاتل سميث».

ويمكن لنفس الوصف أن يظهر باستخدامٍ إحاليّ. فلتفرض أن جونز يُحاكم بسبب مقتل سميث، وقد لاحظ واحدٌ من لجنة القضاء أنَّ جونز يتصرّف بعصبية طوال الوقت. عندها، أشار هذا العضو في لجنة القضاء إلى جونز قائلًا «قاتل سميث مجنون». هنا، نجح هذا العضو في

تعريف جونز، وأراد أن يميّزه ويُعلّق عليه، وبالتالي فإن استخدام عبارة محدِّد الكمية هنا غير لائق.

تأمل الآن الحال لو كان جونز ليس هو قاتل سميث الفعلي على الرغم من أنه تحت المحاكمة ويتصرف بعصبية. يرى دنَلَن أن عضو لجنة القضاء لا يزال قادرًا على تعريف ذلك الشخص حتى وإن لم يكن هو قاتل سميث، لأن الجمهور فهِمَ أنه يريد أن يُحيل إلى جونز ويقول أنه مجنون. فقد يكون الحال أنَّ جونز مجنون ولكن قاتل سميث ليس مجنونًا. ففي تلك الحالة، لا يزال عضو لجنة القضاء يقول شيئًا صحيحًا عن جونز لأن جونز مجنون وقد استطاع تمييزه. وبصرف النظر عن هذا المثال وعن صحة أو خطأ وصف عضو لجنة القضاء، فعضو لجنة القضاء قد وُفِّقَ في تحديد الشخص المتهم باستخدام ذلك الوصف المعرّف. فالوصف نفسه ليس بالغ الأهمية بالإحالة التي قبض عليها عضو لجنة القضاء، وليس من الجوهري أن المحال إليه يلائمها فعليًا. فعلى الرغم من أن الوصف قد يكون مُعابًا إذا لم ينطبق على جونز (بناءً على هذا الحال)، فلا يزال عضو لجنة القضاء موفقًا في تحديد الشخص المعين باستخدام الوصف. وكأن الوصف يستطيع العمل إمّا كعبارة محدد كمية أو كاسم إشارة يُعيِّن الشخص. فعضو لجنة القضاء قد نجح في نيته الإحالية بتحديد الشخص وبقول جملة عنه. أما المحقق فقولُهُ في أحسن الأحوال هو قولٌ عن شيء يتم تحليله وفقًا لنظرية رَسِل.

ثمة تجربة تخيّلية استخدمها دنَلَن ليشرح نفس الفكرة. تخيل أنَّكَ في حفلٍ وثمّة رجلٌ يظهر كأنه يشرب «مارتيني» وذلك الرجل فيلسوف شهير. فبمجرد رؤية ذلك الرجل، ستقول «الرجل الذي يشرب مارتيني فيلسوف شهير». ثم لتفترض أنَّ الرجل، وبالرغم من أنه لا يزال فيلسوفًا شهيرًا، يشرب ماء في كأس مارتيني، ولا يشرب مارتيني. هنا، تكون قد قلتَ شيئًا صحيحًا عنه، ولكن وصفك التعريفي لا ينطبق عليه. مع ذلك، يمكن للوصف أن يؤدي نفس الوظيفة في تحديد من الذي تقصد بالإحالة إليه.

ثم تأمل الآن حالة مشابهة توضح الاستخدام النعتي. تصور أن المرأة التي تدير الحفل لا تريد أن يشرب الناس الكحول فتقول «من الرجل الذي يشرب المارتيني؟». إنها لا تنوي هنا أن تحدّد شخصًا ما كما تفعل

أنت في المثال السابق، ولكنها تحاول بالفعل أن تستكشف من هو شارب المارتيني. فإذا اتَّضَحَ أنَّ الرجل الذي يظهر أنه يشرب مارتيني لا يشرب مارتيني، فلن تهتمّ بالأمر. فممارستها الكلامية تتطلَّب أن يكون ثمة شخص يلائم ذلك الوصف. فإن كان ثمة شخص في الحفل يلائم ذلك الوصف، فستكون قد حققتْ هدفَها من استخدام ذلك الوصف، فهي تستخدمه لتقصد «أي شخصٍ يشرب مارتيني»، ولا يدور بذهنها شخصٌ معين.

ومن الممكن في الواقع أن يكون ثمة شخص آخر في الحفل يشرب مارتيني، وهو في غرفة أخرى، وليس بفيلسوف شهير. بذلك، ستكون جملة «الرجل الذي يشرب مارتيني فيلسوف شهير» خاطئةً إذا تمّ تأويل الوصف بصورة نعتية. فرغم أن الرجل الذي يشرب المارتيني ليس هو إحالتك المقصودة، فقد حدث أن ناسب وصفَكَ. فإحالتك تُحيل إلى الشخص الذي تصِفُه بالخطأ بشارب المارتيني، رغم أنك قد قلت شيئًا صحيحًا عنه أيضًا.

فأفضل طريقة لفهم كلا المثالين هو أن تحدِّد نيّة المتحدث، ثم تسأل نفسك: هل المتحدث ينوي تحديد شخص معين أو ينوي فقط الحديث عمّا يناسب وصفًا معينًا؟ فثمة أحيانًا خلف استخدام الوصف المعرف نيّةٌ (نعتية) عامة، وأحيانًا خلفها نية (إحالية) فردية، ويعتمد ذلك كاملًا على ما ينتوي المتحدث إيصاله.

يواصل دنَلَن مقالته بالتشديد على حجَّتِه الأساسية، وستشرح أمثلته التالية الفرق في النية بين الاستخدام النعتي والاستخدام الإحالي، فتلك هي طريقة دنَلَن الأساسية لفهم أيٍّ من تلك الأمثلة. فإذا كان لا يهم ما إذا كان الوصف يلائم الشيء، فهذا استخدام إحالي. وإن كان يهمُّ، فهو إذن استخدامٌ نعتيٌّ. بالتالي، يمكننا في الواقع أن نُحيلَ إلى شيءٍ باستخدام الوصف دون أن نصِفَ ما نُحيل إليه بصورة صحيحة، فالنجاح الإحالي لا يعتمد على وصف دقيق.

باختصار، يكمن جوهر حجة دنَلَن في التفرقة بين الاستخدام الإحالي والاستخدام النعتي. ويشرح هذا الفرق عن طريق تجارب تخيُّلية، سبَقَ

ووصفناها. فالمتحدّث يستخدم الوصف نعتيًّا حين يقول «قاتل سميث» أو حين يقول «إن القاتل، أيًّا يكن، مجنون» بنيّة عامة، إذ لا يدور بذهن المتحدِّث شخصٌ حين يستخدم ذلك الوصف. أمّا الاستخدام الإحالي فيظهر حين يكون في ذهن المتحدث شخصٌ معينٌ ويستخدم وصفه ليلتقط ذلك الشخص الذي يدور بذهنه. فحجة دنَلَن الأساسية تتعامل مع استخدامين للوصف: عمومية الاستخدام النعتي، وخصوصية الاستخدام الإحالي. ونتيجةً لهذا التمييز، ووفقًا لدنَلَن، تكون الممارسة الكلامية، في الاستخدام الإحاليّ، ناجحة بصرف النظر عن صحة أو خطأ الوصف. فبالعودة إلى مثال قاتل سميث، قد لا يكون جونز هو القاتل ولكن عضو لجنة القضاء لا يزال يحدد جونز بقول «قاتل سميث مجنون». وعلى خلاف الاستخدام النعتي، يكون المحتوى الوصفي ليس بالغ الأهمية في الاستخدام الإحالي، فالوصف في الاستخدام الإحالي عَرَضي، فهو مجرد أداة لتحديد شخص. لذلك، يرى دنَلَن أن نظريات رَسِل وفريغه وستروسن خاطئة لأنها لا تعترف باستخدام ثنائي للأوصاف.

يستحضر دنَلَن في بقية ورقته الآثار المتنوعة والمترتبة على هذه الفكرة الأساسية. فبفهم الفرق بين هذين الاستخدامين، يمكننا الآن فَهْمُ حجَّتِه الجوهريّة. فمن رأيه أن الاستخدام الإحالي يظهر حين يتمّ تعيين شيء معين، ويظهر الاستخدام النعتي حين ينطوي التعليق على فكرة عامة. وهذا هو الفرق بين «المضمون الكمّي» (quantified proposition) (كما في «أيّ» (whoever))، و«المضمون المحدد» (particular proposition) (كما في «هذا الشخص»). فهذا الفرق مشابِهٌ للفرق الذي ناقشه رَسِل حين تحدّث عن الفرق بين الاسم والوصف. فاستعانتنا بفهم رَسِل هي طريقة أخرى لشرح تفرقة دنَلَن، إذْ يرى دنَلَن أن بعض الاستخدامات للأوصاف المعرفة تشبه الأسماء بالمعنى الرَسِلي، ولكن ثمة أشياء أخرى تُشْبِه الوظائف المضمونية، مع أن التعابير نفسها تظل ثابتةً من استخدامٍ لآخر.

كما أنه من الآثار المترتبة على هذه التفرقة أنه بالرغم من أن المتحدث -في كلا الاستخدامين- يفترض أن الشخص الذي يُحيل إليه (أو يحاول الإحالة إليه) يلائم الوصف، إلا أن ثمة نتائج مختلفة لذلك الشخص لا

تلائم ذلك الوصف. فإذا كان الوصف نعتيًّا ولا يوجد أحد يناسب ذلك الوصف، فلا يمكن أن تكون الجملة صحيحة، فستكون بحسب رَسِل خاطئةً ببساطة. فمثلًا، تكون جملة «ملك فرنسا أصلع» بحسب نظرية الأوصاف خاطئة لأنه لا يوجد هذا الشيء المسمّى ملك فرنسا. فإذا استخدمنا نفس الوصف بصورة نعتية، وكان المقتضى أن يكون ثمة شيء يناسب ذلك الوصف فسيكون الوصف خاطئًا، ولا يمكن أن تكون بذلك الجملة صحيحة، بل خاطئة. في المقابل، وبحسب دنَلَن، ستظل الجملة، في حالة الاستخدام الإحالي، قادرةً على قول شيءٍ صحيحٍ بصرف النظر عمّا إذا كان المحال إليه يناسب الوصف من عدَمِه. فربما يكون جونز مجنونًا فعلًا حتى وإن لم يكن هو قاتل سميث.

وقد يكون ثمة حالات لا يعتقد فيها المتحدث أن الوصف الذي يستخدمه حين يُحيل إلى شخصٍ ما هو وصف صحيح عن ذلك الشخص. ففي أغلب الحالات، سيرى المتحدث أن الوصف ينطبق (مثلًا، أن جونز الماثل في قفص الاتهام هو القاتل أو أن الرجل الماثل هناك يشرب مارتيني). مع ذلك، يقترح دنَلَن أن ثمة حالات فيها يعرف المتحدث أن الوصف ليس صحيحًا، ولكنه يستخدمه لتحديد الشخص على أيّ حال. فتأمَّل المثال الذي يقدِّمُه دنَلَن عن مَلِكٍ غير مستحق. فقد يعتقد المتحدث أن هذا الملك غير المستحق مُغتصبٌ للمُلْك وليس الملك فعلًا. ولأن كل شخصٍ آخر في الدولة يرى أن ذلك الرجل هو الملك الفعلي، يُحيل إليه المتحدِّث بالملك (مثال «هل الملك في بيت المال؟»). فرغم عدم اعتقاد المتحدّث أن ذلك الشخص الذي يريد الحديث عنه هو الملك، إلا أنه يستخدم الوصف الملكي على أي حال. فهو يُطبّق استخدامًا إحاليًّا ناجحًا بصرف النظر عن الوصف الخاطئ. كما أن سامع الجملة قد لا يُصدق الوصف أيضًا. فبدلًا من أن يعتقد جميع المحيطين بالملك غير المستحق أنه هو الملك، فقد يعتقدون جميعًا أنه مغتصب للمُلْك. ومع ذلك، يظلّون يُحيلون إليه بـ«الملك» لتجنُّب المشاكل. فكل من هم في البلاط سيُحيلون إلى مغتصب المُلْك بوصف «الملك» مع أنهم يعرفون أنه ليس الملك ولكنهم يظلون يستخدمون ذلك الوصف على أي حال. ففي هذه الحالة، إذا سأل متحدّثنا الأصليّ «هل الملك في بيت المال؟»، فكل

من في البلاط سيفهم إلى من يُحيل متحدِّثُنا، حتى وإن لم يصدقوا أن ذلك الرجل غير المستحق هو الملك. فالوصف يظل يحيل إلى شيء، حتى وإن كان خاطئًا، وحتى وإن كان المتحدّث والمستمع يعرفون أنه خاطئ.

4.3 الدلالة والإحالة

ورغم قولنا هذا، لا يزال دنَلَن يُفرّق أكثر بين «الدلالة» (denoting) و«الإحالة» (referring). فلا يُنكر أن ثمة معنى يدل فيه وصف «قاتل سميث» على شخص غير جونز، بافتراض أن جونز بريء. فعضو لجنة القضاء يُحيل إلى جونز بالوصف الخاطئ، ويتقبّل دنَلَن أن يكون للوصف دلالة غير جونز. فإن افترضنا أن براون هو الرجل الذي قتل سميث، فـ«قاتل سميث» يدلّ على براون. وفي تلك الحالة، يُحيل عضو لجنة القضاء إلى جونز بقوله «قاتل سميث» رغم أن وصفه حينها يدل على براون. يستعير دنَلَن فكرة الدلالة هذه من رَسِل. فيرى أنه يمكن للمتحدِّث أن يُحيل إلى شخصٍ ما بوصف ولا يكون هو الشخص الذي يدل عليه الوصف. لذلك، يجب تمييز الإحالة عن الدلالة.

فالدلالة فكرة دلالية عن التأويل الحرفيّ والصارم لعبارة «قاتل سميث»، وليست فكرة «تداولية» عمَّن يُحيل إليه المتحدّث حين يستخدم تلك العبارة. وهذا يؤكّد الفارق بين السؤال التداولي والسؤال الدلالي. فدنَلَن يُقرّ أنه مهتمٌ جدًا بالسؤال التداولي الخاص بكيفية إيصال المتحدّثين لرسالتهم إلى المستمعين في مناسبات معينة. فهو يتقبّل أن يدل الوصف، بذاته، على ما يلائم الوصف دلاليًا، ويعمل بذلك «نعتيًا». بالتالي، يمكن للمتحدث استخدام وصفٍ يدلُ على شخص معين (براون) دلاليًا ويُحيل إلى شخص آخر (جونز) تداوليًا. بالتالي، لا يزعم دنَلَن أن ثمة تأويلين مختلفين للتدليل الدلالي، إذ يرى أنَّ الدلالة تتبَع نظرية رَسِل، ولكن ثمة استخدامات تداولية يُحيل فيها المتحدِّث إلى شيء غير الدلالة.

وفي الواقع إن دنَلَن تكلّم بوضوح في إحدى المواضع في مقالة «الإحالة والأوصاف المعرفة» (Reference and Definite Descriptions) أنه لا يُعارِض نظرية رَسِل الدلالية:

> لا يبدو ممكنًا أن نقول بصورة قاطعة عن وصف معرّف في جملة معينة أنه تعبيرٌ إحاليٌّ (وبالطبع، قد يقول شخصٌ ذلك إنْ كان يقصد استخدامه للإحالة). فعمومًا، سواء استخدَمَ المتحدِّث الوصف المعرّف إحاليًّا أو نعتيًّا فهي وظيفة لنوايا المتحدِّث في موقف معين. فقد يُستخدم «قاتل سميث» بأي طريقة في جملة «قاتل سميث مجنون»، ولا يبدو ممكنًا أن نشرح ذلك أيضًا، كغموض في الجملة. فيبدو التركيب النحوي للجملة أنه نفسه سواء استخدم الوصف إحاليًّا أو نعتيًّا: أيْ، ليست غامضة تركيبيًّا. كما لا يبدو جذّابًا أبدًا أن نفترض أن الغموض في معنى الكلمات، فالكلمات لا تبدو غامضة دلاليًا. (ربما نستطيع القول أن الجملة غامضة تداوليًا: فالتفرقة بين الأدوار التي يلعبها الوصف هو وظيفة نوايا المتحدث)[33].

هذا المقطع مهم جدًّا لتأكيد قوة حجج دنَلَن، إذ يزعم هنا أنه لا وجود لـ«الغموض الدلالي» (semantic ambiguity) في الأوصاف. ويقصد بالغموض الدلالي ما قد تعنيه الكلمات فعليًّا في اللغة، أي تحليلها المنطقي. فلا يوجد غموض دلالي في الأوصاف حتى وإن استخدم المتحدّثون تلك الأوصاف بطريقتين مختلفتين. وبهذا يُقرّ دنَلَن أن الأوصاف دائمًا نعتيّة دلاليًا، أي إنَّه متأثر برَسِل. ويكمن أحد الانتقادات الأساسية لدنَلَن، والتي سنطرحها لاحقًا، في أن نقده لنظرية رَسِل نقدٌ هشّ لأنه يحاول أن يطبّق تمييزًا تداوليًّا على سؤال دلالي. وبالتالي، يكون فهمنا لقيمة هذا المقطع مهمًّا للنقاش.

4.4 فراغات قيم الصحة

يطرح دنَلَن بعض اعتراضاته الأساسية على ستروسن في نهاية مقالته، محتجًّا أن ستروسن مخطئٌ حين اقترح أن المتحدِّث يتحدّث عن شيءٍ ليس بالصحيح ولا بالخاطئ حين يستخدم وصفًا فارغًا بصورة إحالية. فيمكن للمتحدِّث، بحسب دنَلَن، أنْ يقولَ شيئًا صحيحًا باستخدام وصفٍ عاجزٍ عن الإحالة. فإذا لم يكن ثمّة قاتل لسميث أبدًا، وأن المسألة فقط حادث شنيع، وصرخ المتحدث «قاتل سميث مجنون»

مشيرًا إلى جونز، فإن ستروسن يرى أن تلك الجملة ليست صحيحةً ولا خاطئةً؛ بينما يعترض دنلَن على ذلك مؤكِّدًا أن المتحدث قال شيئًا صحيحًا عن جونز، بافتراض أنه مجنونٌ في الواقع.

يواصل دنلَن ويُبيّن اتفاقه مع ستروسن في بعض المواضع، إذ قد يكون ثمة حالات تفشل أنتَ فيها في أن تُحيل إلى شيء باستخدام وصف معين. ولتتأمل موقفًا يرى فيه أحد العابرين رجلًا يبدو وكأنه يحمل عصا فيقول: «هذا الرجل الحامل للعصا منقطع الأنفاس». لنفترض أنه ثمّة رجلٌ، وأنه يحمل بندقية بدلًا عن العصا. يرى دنلَن أنَّ العابر لا يزال هنا يُحيل إلى الرجل، حتى وإن كان ذلك الرجل الذي يحمل بندقية لا يلائم الوصف الذي يستخدمه الشخص العابر. مع ذلك، فقد يحتمل الموقف أن العابر يهلوِس تمامًا ويرى أنه ثمة رجلٌ يمشي. فربما التبس عليه فرأى شجرة أو صخرة على أنها رجلٌ يحمل عصا، وفي هذه الحالة يعتقد دنلَن أنَّ العابر لا يزال يُحيل إلى شيءٍ بنجاح. ولكن هذه القدرة الإحالية تتوقَف في النهاية عند نقطة معينة. فإذا كان العابر يهلوس أنه ثمّة رجلٌ يحمل عصا ولا يوجد سوى مساحة فارغة، ولا يوجد لا شجرة ولا صخرة، فيرى دنلَن أن ذلك الشخص قد فشل تمامًا في الإحالة إلى شيءٍ ذي علاقة أنسان، أو صخرة أو شجرة أو جِرْم في تلك المساحة. فهو، بعبارة إحالية، غير محظوظ. وهنا سيكون ستروسن مُحقًّا حين يقول أن الإحالة في هذا الموقف لا صحيحة ولا خاطئة، إذ إنَّ نيّة المتحدث للإحالة ستُلغى بصورة كاملة، ولن يبرز سؤال قيمة الصحة في هذا النوع من المواقف.

لهذا يرى دنلَن أن ثمة أمثلة على إحالات إلى أشياء، يظهر بالنهاية عدم وقوع تلك الإحالات، وتكون عاقبة مثل هذا الفشل الجذري في الإحالة أن المتحدث يقول شيئًا لا هو صحيحٌ ولا هو خاطئٌ. ستعبّر جُمَل مثل تلك، بحسب نظرية رَسِل، عن مضمونٍ خاطئٍ بصورة مباشرة. مع ذلك، يتخذ دنلَن موقفًا وسطًا، فهو لا يرى أنَّ الشخص يقول دائمًا شيئًا صحيحًا أو خاطئًا، لذلك يرى أن ستروسن قد بالَغَ في اعتقاده بتكرر فراغات قيَم الصحة. ولهذا، يرى أنَّ كلًا من رَسِل وستروسن مخطئان بخصوص حالات فشل الإحالة، على الرغم من أنهما محقّان في أشياء أخرى.

وفي ختام حديثه عن ستروسن، يؤكد دنَلَن بعضَ التشابُه بين نظراته ونظرات رَسِل. فعلى الرغم من أن دنَلَن يعتقد أن نظرية رَسِل غير كاملة لأنها لا تُقرّ بالاستخدام الإحالي للأوصاف، فإنه لا يزال يرى أن تصوره للأوصاف ليس مُشابهًا لتصور رَسِل للأسماء. فرَسِل يرى أن الأسماء الحقيقية مجرد علامات على أشياء معينة ليست أوصافًا للأشياء، ولذلك يُفرّق كثيرًا بين الأسماء والأوصاف. فالاسم الحقيقيّ في نظام رَسِل يتصرف كعلامة على شيء ولا يصف الشيء أبدًا. بناءً على ما سبق، يقترح دنَلَن أنَّ بإمكانه إسقاط تفرقته على تفرقة رَسِل، إذ يرى أن المحتوى الوصفي لا يلعب دورًا في الاستخدام الإحالي للأوصاف. فيؤكد أن الأوصاف المستخدمة إحاليًا هي مجرد علامات على أشياء، فهي تُشْبِه الأسماء. فلا يهمُ ما إذا وَصَفَ الوصفُ شيئًا بصورةٍ صحيحةٍ أم لا، لأن الشيء قد سبَقَ تحديدُهُ بصورةٍ ناجحةٍ. فهذه الأوصاف في نظام دنَلَن تبدو أوصافًا لأنها لا تُحيل من خلال التوصيف. فهي تترك علامة أو نقطة. وبالتالي تتصرف الأوصاف مثل الأسماء برؤية رَسِل، وبالتالي ليس مهمًّا ما إذا كان الشيء يناسب الوصف، لأن الأوصاف تنجح في الإحالة وإن كانت خاطئة. بهذا يكون المحتوى الوصفي للأوصاف عند دنَلَن أمرًا مصادِفًا يمكن الاستغناء عنه بالدور الذي يلعبه الوصف في الإحالة في سياق الاستخدامات الإحالية.

ثمة نوع آخر من الأمثلة لا يغطّيها دنَلَن في ورقته، مع أنها توضِّح نقطته بوضوح. ففي ذلك النوع من الأمثلة، تعمل الأوصاف عمل الأسماء، ويكون من الواضح أنها تصِف الأشياء التي تُحيل إليها بدقة. تأمل وصف «الإمبراطورية الرومانية المقدسة» (the Holy Roman Empire)، فهو وصفٌ يُحيل على نحوٍ معروفٍ إلى شيءٍ ليس مقدَّسًا ولا رومانيًّا ولا إمبراطورية[34]. فذلك الوصف في ذلك المثال لا يُحيل إلى شيءٍ من خلال محتواه الوصفي. فتلك الكلمات تُحيل إلى شيءٍ مستأصَلٍ تمامًا من معناها الإسنادي الواقعي. قارن «المجتمع الأوربي» أو «الولايات المتحدة» أو «الأمر السامي لمزارعي الخنازير» (الوصف الأخير قمت باختلاقه)، فهذه المجموعات من الكلمات في هذه الأوصاف قد أصبحت علامات

ويبقى المعنى الوصفي بلا صلة بالموضوع. فهذه المجموعات تمثّل الاستخدامات الإحاليّة عند دنَلَن.

4.5 تقييم تفرقة دنَلَن

حين نقيّم قوة حجج دنَلَن، من المهم أن نتأمَّل مواقف قد تظهر حين نستخدم أنواعًا أخرى من التعابير في الجمل. فلتتأمل موقفًا مشابهًا لهذه التجربة التخيّلية الخاصة بالفيلسوف الشهير الذي ظهر وكأنه يشرب مارتيني في الحفل. تأمل هذه المرة أنَّ ذلك الفيلسوف الشهير في الحفلة هو شخصٌ معروف، لنقل، جيري فودر (Jerry Fodor). دعنا نفرض أن مضيفة الحفل قد سمعت عن الفيلسوف سول كريپكي (Saul Kripke) وسمعت عن أوصافه، ثم وجدت من الأسباب ما يكفي ليُقنعها أن كريپكي في الحفل. لتفترض الآن أنها رأت فودر يتحدث مع مجموعة من الناس عن الفلسفة. فشكّلت بسبب ذلك قناعةً أن ذلك الشخص المتحدث هو كريپكي فقالت «كريپكي نشِطٌ جدًا». فلا شك أنّها أخطأت في معرفة من يقف أمامها ولكن السؤال المطروح: إلى من تُحيل باسم كريپكي؟ قد يُغرينا الأمر فنقول إنّها نجحت في الإحالة إلى فودر بـ«كريپكي» وعلَّقَتْ عليه بتعليقٍ صحيحٍ، على الرغم أنَّ من أحالت إليه لا يناسب الاسم الذي استخدَمَتْه. فكريپكي نفسه قد يكون مَغشيًّا عليه في غرفة أخرى، وليس نشِطًا أبدًا، فهل أحالت إليه وقدَّمت جملة خاطئة عنه؟ إذا اقتدينا بدنَلَن، فسنقول إن مثل هذا المثال يوضِّح الاستخدام الإحالي للأسماء، والذي فيه يتم اعتبار الدقة إلى حدٍّ ما: ألم تكن المضيفة إلى حدٍّ ما تُحيل إلى الرجل أمامها، أيْ فودر؟ فمن الناحية الدلالية، يدل الاسم كريپكي على كريپكي، ولكن تداوليًّا، تبدو مضيفتنا وكأنها تُحيل به إلى فودر. لقد أحالت إلى غير كريپكي باسم «كريپكي»، وهو اسمٌ له معنى خاصّ يجعله يدلُّ فقط على كريپكي. بعبارة أخرى، لقد أساءت مضيفتنا استخدام الاسم بطريقة لا تناسب معناه المألوف الواقعي.

قد كان بإمكان دنَلَن أن يكتب مقالةً يسمّيها «الإحالة والأسماء» (Reference and Names) ويقول عن الأسماء نفس الأشياء التي قالها

عن الأوصاف. فثمّة استخدامان للأسماء، إحاليّ ونعتيّ، ويجب التفرقة بين الإحالة والدلالة، إلخ. ولكن يبدو أنه سيكون ثمة شيءٌ خاطئٌ في هذه الحجّة إذا كانت الطرق التي يُسيء بها المتحدث استخدام كلماته توضح أن النظريات الدلالية للأسماء خاطئة. فحين نتساءل هل تنطبق اعتراضات دنَلَن على نظريات أسماء العلم، فعلينا عندها أن نتساءل هل تنطبق أيضًا على أسماء الإشارة. فلتفترض أنّ ثمة سائحًا أمام حيوان في الحديقة فيقول: «ذلك الظبي بُنّيّ» (That antelope is brown)، فيما لم يكن ذلك الحيوان ظبيًا بل من فصيلة أخرى من الغزلان. فعلى الرغم أن المتحدِّث نجح في الإحالة إلى حدٍّ ما، فإن الحيوان الذي يتحدّث عنه لا يناسب اسم الإشارة الذي استخدمه. فإساءة المتحدّث لاستخدام اسم الإشارة كإساءة استخدام المضيفة لاسم «كريپكي». فالإحالة المقصودة من السائح هي الحيوان الماثل أمامه، ولم يكن ظبيًا كما تصوَّرَ. فمن الممكن إذن استخدام اسم إشارة للإحالة إلى شيء غير دلالة اسم الإشارة «ذلك» (that)، إن كان لها من دلالة. فاسم إشارة كهذا سيكون فارغًا فبحسب رَسِل وستروسن، لأنه يفتقر إلى الدلالة. وسيظل السائح موفقًا في قولِهِ شيئًا صحيحًا عن الحيوان الماثل أمامه، وإن لم يكن ظبيًا.

بما أن الأمر ينطبق على الأسماء وأسماء الإشارة، فيبدو بإمكاننا تطبيق معالجة دنَلَن على أيّ تعبير. فثمة أمثلة منوعة في الثقافة الشعبية لإساءة الاستخدام اللغوي، خصوصًا حين يستخدم المتحدثون بعض المصطلحات ويحاولون من خلالها أن يبدوا أذكياء فيبدون بذلك أكثر جهلًا. فبعض المتحدّثين يتعامل مع كلمات كـ«غير مهتم» (disinterested) و«لا مهتم» (uninterested) وكأنها بنفس المعنى، مع إن كلمة «لا مهتم» تعني أنَّ الشخص يفتقر للاهتمام في شيء، بينما تعني كلمة «غير مهتم» أنه محايد حول شيء ما. فالمتفرج غير المهتم لمباراة تنس، مثلًا، قد لا يكون لا مهتمًا. وعلى العكس، فقد يكون المتفرج غير المهتم متفرجًا مهتمًا، ولكنه محايد. وقد يقول شخص «إنني غير مهتمّ تمامًا بذلك الموضوع»، وقد يستنتج السامع، رغم إدراكه للخطأ، من خلال إساءة استخدام المتحدث للكلمة الفكرة التي يريد المتحدث إيصالها وهو أنه يفتقر للاهتمام بذلك الموضوع. فثمة أشياء صحيحة

قد تصل من خلال إساءة استخدام الكلمات. ولو كنا عباقرة في هذا المجال، لاستطعنا تصميم أمثلة دنَلَن باستخدام كلمات محدد كمية، أو بكلمات مثل «و» (and) أو «ليس» (not)، أو بأي شيء. فكل ما تحتاج فِعْلَهُ هو أن تضع مثالًا يتحدث فيه المتحدث بكلمة لها معنى مألوف معين (أي دلالة) ويستخدم الكلمة بطريقة خاطئة. فحتى وإن كانت الكلمة لا تنطبق على الشيء الذي يطبّقها المتحدث عليه، فسيفهم الجمهور ما يقصده المتحدث وما يريد إيصاله، وستكون الممارسة الكلامية ناجحة. فأي تعبير للغة قد يُستَخْدَم بطريقة مُحرّفة. فإن عرفت أنَّ لديَّ ميولًا إلى لخبطة محددات الكمية (فربما كنتُ دخيلًا على اللغة التي أتحدّثها)، فيمكنك أحيانًا أن تُؤول استعمالي لـ«شخص ما» (someone) ليعني «لا أحد» (no one)، وبالتالي حين أقول «شخص ما في تلك الغرفة» تقوم بتأويل كلامي على أنني أريد أن أوصِّف انطباعي أنه لا أحد في تلك الغرفة (لا سيّما وإن كانت الغرفة فارغة فعلًا).

تكمن أهمية هذه النقطة فيما إذا كان إنتاج أمثلة دنَلَن قد يقوّض نظريات الدلالة لبعض أنواع التعابير. فإذا كان ثمة تعريف دلالي وثابت لكلمة ويمكن القبض عليه من خلال نظرية معينة، فهل يمكن تقويض تلك النظرية بإيضاح أن الناس يسيؤون استخدام الكلمات أحيانًا؟ الإجابة بالطبع لا، فإساءة استخدام الكلمة لا تُغيّر من مكانتها الدلالية، ولا تؤكد أن نظرية المعنى الخاصة بها نظرية خاطئة. فالناس تُسيء استخدام الكلمات بنفس الطريقة التي يصفها دنَلَن، وذلك لا يعني أنَّ إساءة الاستخدامات تؤسس لثنائية لغوية مثيرة. فإذا لم يفهم متحدث أجنبي للإنغليزية اللغة الإنغليزية واستخدم الكلمة «و» (and) بينما يقصد «كل» (all)، فإساءة استخدامه للكلمة «و» لن يغير معنى «و»، ولن يؤكّد أن النظرية الخاصة بـ«و» كواصلة للجمل بوظائف صحة هي نظرية مغلوطة أو مبسَّطَة للغاية. فهل نقول أن معنى «و» غامض لأن متحدّثًا أجنبيًّا استخدمها بالخطأ؟ الإجابة.. لا، ولن نقول أيضًا أن «و» لها استعمالان، كواصلة للجمل وكمحدد كمية عالمي. فكما يُقرُّ دنَلَن في مقطعه السابق ذكره، فإنه لا يُشير إلى أيّ غموض دلالي. ولكن قد لا تكون اعتبارات دنَلَن ذات صلة بسؤال الدلالة لأنها ذات علاقة

بالتداولية. فالفكرة التداولية التي يوصلها هي أنه من الممكن للمتحدثين أن يستخدموا الكلمات ليوصِلوا شيئًا منفصلًا تمامًا عمّا تعنيه تلك الكلمات فعليًّا. بالتالي، يمكن للمتحدث أن يعبر عن اعتقاده عن جونز باستخدام كلمات تدل على «براون» («قاتل سميث»). ففكرة دنَلَن فكرة تداولية بحتة، ولا تُقوّض أي نظرية دلالية. وبما أن نظريتَيْ رَسِل وستروسن قد تمّ تقديمهما كنظريات دلالية، فليس لفكرة دنَلَن أيّ علاقة بتلك النظريات. فرغم كل ما يقوله دنَلَن، يظل رَسِل محقًّا تمامًا عن دلالة الأوصاف. فالأوصاف تدلّ دائمًا على ما يناسبها دلاليًّا. ويمكن للمتحدّثين استخدام تلك الأوصاف بصورة خاطئة لتشكيل إحالة فردية، ولكن ذلك لا يُظهر أن رَسِل مخطئًا في النظرية الدلالية التي شيَّدَها.

4.6 التضمين والإضمار

لكي نقيّم موقف دنَلَن بوضوح، سنستحَضْر هنا بعض النقاط المذكورة في مقطع مأخوذ من كتاب «ستيفن نيل» (Stephen Neale) بعنوان «الأوصاف» (Descriptions)[35]، وهو مقطعٌ استعانَ فيه نيل ببعض الأفكار التي طرحها «پول غرايس» (Paul Grice). وبما أن هذه الأفكار مهمّة بذاتها، سنقضي بعض الوقت في شرحها. فأشهر فكرة تم تغطيَتُها في مقالته قد تكون فكرة «الإضمار التحاوري» (Conversational Implicature). ولشرح فكرة الإضمار التحاوري، سنتخيّل مثالًا طُلِبَ فيه من بروفيسور أن يكتب رسالةَ توصيةٍ لأحد طلابه المتخرجين:

إلى من يهمه الأمر،

جون سميث يمتاز بخط متميز للغاية.

مع التحية، أ.د. هوراتيو هاندويڤي

لن تستنتج اللجنة المعنية بمراجعة طلب سميث أنَّ لديه قدرة فلسفية مميزة من رسالة التوصية السابقة. بل سيستنتجون أن البروفيسور هاندويڤي لا يقتنع بكفاءة سميث. لتفترض أنَّ اللجنة قررت، بعد مراجعة طلب سميث الكامل وإجراء مقابلة شخصية معه، أنَّ سميث مرشَّح مميّز. ثم سأل أحد أعضاء اللجنة كاتب التوصية لماذا قال

إن جون طالب ضعيف. سيرد هاندويڤي بحماس «أنا لم أقل أنه طالب ضعيف، لقد قلت فقط إن لديه خطًّا متميزًا للغاية. فأنا في الواقع أرى أنَّ سميث طالبٌ ذكيٌّ». وهذا القول صحيح، فهاندويڤي لم يقُلْ شيئًا خاطئًا عن قدرة سميث الفلسفية. بل إنَّه قال شيئًا صحيحًا، وهو أنَّ جون خطّاط متميّز أيضًا. ولكن البروفيسور يُضْمِر شيئًا خاطئًا بطريقة غير مسؤولة. فلم يَكْذِب بصورة مباشرة، ولكنه أعطى انطباعًا خاطئًا. فقد كان على خطأ من الناحية الأخلاقية، حتى وإن لم يكن كذلك من الناحية المعلوماتية.

يوضح هذا المثالُ الإضمارَ التحاوريَّ، ذا الصلة بما تقترحه الجملة بحسب سياقها. فلا شيء قد قيل في الرسالة السابقة يقضي منطقيًا أن جون سميث طالب فلسفة ضعيف. مع ذلك، أضمر البروفيسور ذلك تحاوريًا، بحسب سياق رسالة التوصية. فيمكننا إعادة صياغة الجملة الأصلية بحسب إضمارها التحاوري كالتالي: في ذلك السياق، يكون القول أن «جون سميث لديه خطٌّ متميّزٌ» كالقول أن «جون سميث طالب فلسفة ضعيف». ففكرة الإضمار التحاوري تكشف الفرق بين ما يقصده المتحدث بدقة عندما يقول جملة وما يُضمره أثناء قولها. مع ذلك، فقد تبتعد مقاصد المتحدث وما يمكن فهْمُه منها عن المعنى الحرفي للجملة المقولة بصورة جذرية. فحين يقول متحدّثٌ جملةً، فثمة مضمون هو المقصود تحاوريًا ومضمون تمّ التعبير عنه حرفيًا. وهذان المضمونانِ قد يتقاطعان وقد لا يتقاطعان.

يوضّح نيل هذا الفرق في كتابه، قائلًا إنّ «المضمون المعبَّر عنه» (the proposition expressed) مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بمعنى تلك الجملة في لغةٍ ما، بينما «المضمون المقصود» (the proposition meant) يعتمد على السياق والتوقعات الخاصة بالممارسة الكلامية. وقد يكون المضمون المعبَّر عنه والمضمون المقصود مضمونين مختلفين تمامًا ولا يرتبطان ببعضهما البعض من الناحية المنطقية. بالتالي يتِمّ إضمار المضامين تحاوريًا في الإضمار التحاوري لدرجة ألا يُعبَّر عنها بكلمات بصورة مباشرة. وهذه الفكرة مهمةٌ جدًا من الناحية الفلسفية لأنها تُقوّض كثيرًا من الادّعاءات الفلسفية المطروحة عن مواضيع متعدِّدَة. فمن المهم جدًّا

التمييز بين ما إذا كان قول شخصٍ للجملة خاطئًا بصورة عامة، أو أنَّ من المضلل قولها في سياق معين. فالحقيقة القائلة إن شيئًا ما يكون مُضللًا في سياق معين لا يوضّح أنه خاطئ. فمن المضلل أن تقول «يبدو لي وكأن ثمة كلبًا في الطريق» إذا كنت لا تشكُّ أبدًا أنَّ ثمة كلبًا في الطريق فعلًا، وربما كنتَ تقول شيئًا صحيحًا، فهكذا تبدو لك الأشياء.

يكمن اختلاف نيل مع دنلَن في كون دنلَن يرفض هذه التفرقة. فدنلَن يقترح أنَّ تحليل رَسِل للأوصاف المعرّفة ليس كافيًا لأنه لا يقارب أمثلته ذات الاستخدام الإحاليّ. ويرفض نيل هذه الصيغة من الاحتجاج، لأنه لا يرى نقاط دنلَن التداولية على أن لها مقتضيات للدلالة. فرغم أن نيل لم يبيّن ذلك، فقد ناقشنا مقطعًا من مقالة دنلَن الأصلية يقرُّ فيه بهذا التمييز. ففي ذلك المقطع، يصرّح دنلَن بوضوحٍ أنه لا يوجد غموضٌ دلاليٌّ أو تركيبيٌّ في الجمل التي تحتوي على أوصاف معرّفة. مع ذلك، لا يزال يرى أن ثمة شيئًا خاطئًا في تحليل رَسِل لمعنى الأوصاف المعرّفة. فالسؤال القائم: كيف يطرح هذا الإقرار ثم يصر على حجّتِه؟ فدنلَن يرى أنَّ استخداميَه التداوليَيْن يوضِّحان إلى حدٍّ ما أنَّ ثمة شيئًا خاطئًا في تحليل رَسِل الدلالي، ولكنه يقبل أن نقاشاته عنها ليس لها علاقة بالدلالة.

لنفترض أنَّ تحليل رَسِل للاستخدامات النعتيّة صائبٌ، وأنَّ الأوصاف محددات كمّية حين تُستخدم بصورة نعتية. فبحسب دنلَن، لن يكون ثمة غموض دلالي في الأوصاف المعرّفة. بالتالي، حين تُستخدم الأوصاف المعرّفة إحاليًّا، فلديها «نفس المعنى» حين تُستخدم نعتيًّا. فإن كان ذلك هو الحال، فعلينا إذن أن نفترض أن نظرية رَسِل تعطي المعنى الصحيح في كلا الحالين. وقد رأينا كيف أن إساءة استخدام الكلمات لا يمكن أن تُقوِّض أيَّ تحليل لدلالتها. لذلك، لم يُشِرْ دنلَن إلى أي شيء يمكن أن يُهدّد نظرية رَسِل الدلالية. فإن كان رَسِل صائبًا في استخدامه النعتيّ، فهو إذن صائب حول الاستخدام الإحالي. والشيء الذي يدعو للفضول هو أن دنلَن يُقرّ سلفًا بالفكرة التي يطرحها نيل ضدَّه، وهي أنه لا يوجد غموض دلالي. مع ذلك، لا يبدو لنا أن دنلَن يشعر بعِظَمِ إقرارِه هذا.

يعتقد نيل أن حجج دنلَن توضح أهمية استحضار تفرقة غرايس بين المضمون المعبَّر عنه والمضمون المقصود. ولفهم كيف يهمُّنا هذا التمييز،

سنعود إلى أمثلة دنلَن. لنتأمّل مجددًا مثال «قاتل سميث» حيث يكون جونز هو الرجل الماثل في قفص الاتهام. يرى عضو لجنة القضاء تصرفات جونز العصبية ويريد أن يعبِّر عن اقتناعه أن جونز مجنون، لذلك يقول «قاتل سميث مجنون!». إن المعنى المقصود هنا أن جونز، ذلك الرجل الماثل في قفص الاتهام، مجنون حتى وإن كان جونز لم يقتل سميث كحقيقة موضوعية. فالمضمون المقصود يتَّسِق مع استخدام دنلَن الإحالي. مع ذلك، يظلّ المضمون المعبَّر عنه بالجملة نفسها («قاتل سميث مجنون!») أنَّ قاتل سميث مجنون، وهو أمرٌ قد يصِحُّ وقد يُخطئ. ففي حال كان جونز مجنونًا، فسيكون المضمون المقصود (أنَّ جونز مجنون) صحيحًا، ولكن المضمون المعبَّر عنه سيكون خاطئًا، بافتراض أن القاتل الحقيقي (براون) ليس مجنونًا. فتحليل دنلَن لهذه الأمثلة باستخدام تفرقة غرايس تساعدنا لنرى أن ثمة مضمونين مختلفين مرتبطين بقول الجملة في هذه الحالة. وهذان المضمونان هما عن شخصين مختلفين وقد يختلفان في قيمة الصحة.

كذلك يمكن لمثال الخطّ أن يوضِّح الفرق بين المضمون المعبَّر عنه والمضمون المقصود. ففي ذلك المثال، يكون المضمون المعبَّر عنه هو أن جون سميث يمتاز بخطٍّ متميّز، وأن المضمون المقصود (أو الذي يظهر أنه المقصود) هو أن جون سميث ليس فيلسوفًا جيّدًا. وأحد المضمونين مختلف تمامًا عن الآخر. ورغم أن المتحدث قد يستخدم الكلمات لإيصال مضمون معين، فإن الكلمات الفعليّة المنطوقة قد لا تعني ذلك المضمون. فما يريد دنلَن إيضاحَهُ هو أن المتحدّثين قد يستخدمون الجُمَل ليُعنونِ بها مضامين لا تعبّر عنها تلك الجملة، وبالتالي لإيصال معلومات ليست محتواةً في كلمات الجملة نفسها.

وبتأمُّل هذه الفكرة عمومًا، نستطيع أن نرى استخداماتٍ متعددةً للغة لها نفس الطبيعة. خُذْ «السخرية» (irony) على سبيل المثال. إذا قال متحدِّثٌ شيئًا بطريقة ساخرة، فإن المضمون المعبَّر عنه هو عكس المضمون المقصود، فمثلًا «أنت ذكيٌّ جدًا» تُقال بطريقة تهكمية. مع ذلك، سيكون من الغريب أن نزعم أنَّ احتمالية السخرية تغيّر إلى حدٍّ ما التحليل الدلالي للجملة. فالسخرية تعتمد على الحقيقة القائلة إن

المضمون المعبَّر عنه ليس نفس المضمون المقصود. وبالتالي، تكون السخرية مثالًا آخَر لهذا النوع من التفرقة التي تُبيِّن نفسها، حيث تكون العلاقة بين المعنى الحرفي ومعنى المتحدِّث معقَّدَة. ففي هذه الحالة، يكون أحد المضمونين نقيضَ الآخر.

كما توضح «المغالاة» (hyperbole) و«المبالغة» (exaggeration) هذه الفروقات. فالمغالاة تَستخدِم المبالغة لإيصال فكرة ما، فقد ينخدع الشخص حين يُؤوِّل جملةً مغاليًا فيها كجملةٍ حرفيةٍ. فحين نصِفُ شخصًا أنه طويلٌ للغاية بقولنا «ذلك الشخص طوله عشرون قدمًا»، فأغلب المستمعين لن يعتقدوا أنَّ طول الرجل بالفعل عشرون قدمًا. فثمَّة فرق بين ما تعنيه جملة وما يعنيه المتحدث حين يستخدم تلك الجملة بطريقة معينة. كذلك تُبيِّن «الاستعارات» (metaphors) هذه الفكرة. فحين يقول روميو «جولييت كالشمس»، فسيكون من الغريب أن يزعم السامع أنه اكتشف غموضًا دلاليًّا مخفيًّا في كلمة «الشمس». فلا يتعيَّن علينا أن نخلط الرسالة المراد توصيلها باستخدام لغةٍ مع ما تعنيه الكلمات حرفيًّا. وهذا في الواقع جوهر اللغة حين نستخدم كلمات أحيانًا لنقصد ما لا تعنيه تلك الكلمات فعليًّا.

هذا ختام نقاشنا عن دنلَن، لا نظرية رَسِل. فرغم أن نقد دنلَن لرَسِل يبدو مُضلِّلا للأسباب السابق ذكرها، فإن اعتراضاته على نظرية رَسِل قادرةٌ على الصمود، ولنستعرض هذه الاعتراضات على وجه السرعة.

4.7 اعتراضات أخرى على نظرية رَسِل

أولى هذه الاعتراضات اعتراض ستروسن: أن الأوصاف الفارغة تصنع جملًا ليست صحيحةً ولا خاطئةً. فوفقًا لنظرية رَسِل، تُعبِّر «الفاء هو جيم» (The F is G) عن مضمون وجودي، أي إن ثمة «فاء» (an F). فإن لم يكن ثمة «فاء»، فتعبِّر الجملة عن مضمون خاطئ. فكرة ستروسن أنَّ تعيين رَسِل لقيَم الصحَّة هو تعيين خاطئ من البدء، فمن الطبيعي أكثر أن نقول إن الجملة تفشل عن التعبير عن مضمون له قيمة صحة. فلا نريد أن نقول إن جملة «ملك فرنسا أصلع» خاطئة في حين لا وجود لذلك الملك من البدء. فقد تكون خاطئة فقط إن كان ثمة ملك لفرنسا

ولديه كمية وافرة من الشَعْر. لذلك، يؤكّد ستروسن أن الجملة ليست صحيحة ولا خاطئة حين يكون الوصف فارغًا.

مثال آخر يجعل هذا النقد أكثر وضوحًا: «الجبل الذهبي ذهبي». تبدو هذه الجملة صحيحة بصورة بديهية، ولكنها ستكون وفقًا لنظرية رَسِل خاطئةً ببساطة لعدم وجود جبال ذهبية. فهذه الجملة لا تبدو ملائمةً لنظرية رَسِل أبدًا. فقد يردُّ رَسِل بأن الأمر يعود إلى اللغة المألوفة، وقد أوضح أن الجملة، على عكس ما يظهر، خاطئة. وثمة شيءٌ هنا يمكن أن يُقال عن ردّ رَسِل. فمن الممكن دائمًا أن نُصِرَّ على أنَّ جُمَل مثل «الجبل الذهبي ذهبي» هي في الواقع خاطئة. فنحن لا نقول عادةً إنها خاطئة، ولكنها خاطئة. فسيحاول المنهج الشكّيّ أن يوضِّح أنّه ليس منّا أحدٌ يعرف. فبحسب المنهج الشكّيّ، سيكون من الخطأ أن تقول «أعرف أنني أقرأ هذه الكلمات»، إذ يبدو غريبًا جدًا أن نقول إن تلك الجملة خاطئة، ولكن من الممكن الاحتجاج بأنها بالفعل خاطئة. وبنفس الطريقة مع جمل من قبيل «الجبل الذهبي ذهبي»، فقد نُصرّ على أن الجملة بالفعل خاطئة رغم أنها تبدو صحيحةً عقلًا ونقلًا. رغم ذلك، يظلّ موقف رَسِل يصدم الآخرين كموقف من الصعب قبوله بل ويجعلهم يتساءلون عن صحة ذلك الموقف.

أمّا الاحتجاج الثاني فيكمن في كون «الجبل الذهبي» و«ملك فرنسا» عبارات لا جُمَل. فهي أجزاء من الجمل، وليست جملًا كاملةً. فهذه العبارات من الناحية النحويّة تشكِّل نفس الأجزاء اللغوية كالأسماء وأسماء الإشارة. فإن قال المتحدِّث فقط «ذلك الكلب» أو «سول كريبكي»، فهو يقول فقط جزءًا من الجُمَل وبالتالي لم يقل شيئًا. مع هذا فإنَّ رَسِل يرى أنَّ الأوصاف جُمَل كاملة لأنها تتمدّد في تأكيدات الوجود والفرادة. فإن قال متحدث «الشخص بالخارج»، سنعتقد أنه لم يعبِّر عن مضمون كامل بعد، ولكن وفقًا لنظرية رَسِل، فإنّ ذلك المتحدث قال إنّ ثمة شخصًا بالخارج، وفقط شخص واحد بالخارج. وهذا يبدو غريبًا لأن المتحدث لم يُكمل الجملة بعد. لاحظ بالإضافة إلى ذلك أننا إنْ طبقنا نظرية الوصف على الأسماء ثم حلّلنا الوصف بطريقة رَسِل، فإن قول الاسم فقط سيعبِّر عن مضمون كامل، على نحو أن «فاء» موجودة

بصورة فريدة. ولكن هل أقول شيئًا له قيمة صحّة حين أقول فقط «إريك كلابتون» (Eric Clapton)؟

يقترح كلا هذان الاحتجاجان أنَّ الأوصاف المعرَّفة تُشْبِه الأسماء أكثر مما يسمح به رَسِل، إذ تُستخدم كمصطلحات فاعل لتعريف شيءٍ له نعتٌ يعمل كمسند. وسواءٌ كانت الجملة صحيحة أو خاطئة فذلك يعتمد على ما إذا كان للشيء المعرَّف بالمصطلح الوصفيّ صفةٌ نعتيّةٌ. فالوصف يبدو أكثر شبهًا بالاسم من الجملة. والوصف يبدو جزءًا من الجملة -كجزء الفاعل- وليس كل الجملة. وهذا يجعلنا نتساءل عن مدى صحة تحليل رَسِل.

كما تثير «الجمل غير الخبرية» (non-indicative sentences) القلق حول نظرية رَسِل. ولنتأمل جملة الأمر التالية «اقتل ملك فرنسا». سيكون علينا باستخدام نظرية رَسِل إعادة صياغة تلك الجملة على النحو التالي: «اقتل ملك فرنسا الموجود بصورة فريدة». فأول ما يمكن قولُه عن إعادة الصياغة هذه أنها بلا معنى، وخاطئة وغير صحيحة نحويًا. فإذا تم استبدال الوصف المعرَّف بإعادة الصياغة الخاصة برَسِل، فستظهر الجملة وكأنها هراء. فلا يمكن أن تُطبَّق نظرية رَسِل بصورة ميكانيكية في هذا المثال، كما لم يناقش رَسِل كيفية التعامل مع هذه الأمثلة التي ترد فيها الأوصاف في جمل الأمر. فلا يفيد تحويل الأمر إلى «اجعل الحال أن يكون ملك فرنسا ميتًا» لأن جملة الأمر هذه ستجعل المخاطب يطلب من الحال أن يُوجِد ملكًا لفرنسا بصورة فريدة، وهو ما يعارض الأمر بقتْلِه.

كما أن ثمة مشكلة ذات علاقة بالمشكلة التي سبَّبَتها جُمَل الأمر، ويمكن تبيانُها بجملة «تساءل جورج الرابع عمّا إذا كان مؤلف «المتموّج» كان يدخّن». فاستبدال الوصف بإعادة الصياغة الخاصة برَسِل، سنقول إن جورج الرابع تساءَلَ ما إذا كان مؤلف «المتموّج» موجودًا وأن ثمة مؤلفًا واحدًا لـ«المتموّج» كان يدخّن. ولكن ربما جورج الرابع لم يتساءل أبدًا ما إذا كان مؤلِّف «المتموّج» كان موجودًا وأن ثمة مؤلفًا واحدًا فقط. فهو يتساءل فقط: هل مؤلف «المتموّج» يدخّن أم لا؟ ويُسلِّم أنَّ المؤلف المعنيّ موجود. فإن كان الوصف المعرَّف يرِدُ في سياق

المعنيّ موجود. فإن كان الوصف المعرّف يرِدُ في سياق ذي نظرة مضمونية (في هذا السياق «يتساءل ما إذا»)، فسننتهي إلى تحليلٍ خاطئٍ حين نطبّق نظرية رَسِل. بهذا فليس كل إيراد للأوصاف يناسب نظرية رَسِل.

ينبع الاعتراض الثالث من الحقيقة القائلة إن الأوصاف قد تعمل وهي غير مكتملة جذريًا بعد. خُذْ الوصف «الطاولة» ثم تأمّل الجملة «الطاولة خالية». إنْ قُمْنا الآن بتحليل هذه الجملة وفقًا لنظرية رَسِل، فثمّة مشكلة في العطف الثاني «يوجد طاولة واحدة فقط». فالجملة الأصليّة لا تقتضي حتمًا أن ثمة فقط طاولة واحدة في العالم. وإن كان كذلك، فستكون خاطئة. فحين تُحلّل الأوصاف غير المكتملة وفقًا لنظرية رَسِل، فسيكون مقطع الفرادة خاطئًا بوضوح.

ثمة مناورات معينة قد تساعِد رَسِل على التملُّص من هذه المشاكل. فقد يقترح البعض أنَّ عبارة كـ«الطاولة» هي اسم إشارة في الواقع. بالتالي، فجملة «الطاولة خالية» تعني «تلك الطاولة خالية». فإنْ استخدَمْنا هذه الصياغة، فستزول مشكلة الفرادة لأنَّ السياق يُعيّن الشيء المُحال إليه. وستبدو أوصافٌ كهذه أسماء إشارة وبالتالي لن تُحلّل وفقًا لنظرية رَسِل. ولكننا قد سبق وأقررنا أنّه ليس كل العبارات الوصفية يمكن إدراجُها تحت تحليل رَسِل. فأسماء الإشارة أدوات إحاليّة مفردة تلتقط شيئًا واحدًا، وليست عبارات محدّد كمّية. وبما أن بعض الأوصاف المعرّفة النحوية ليست كمحددات الكمية، فقد أخطأ رَسِل حين ادّعى أنَّ كل الأوصاف المعرفة محددات كمية.

كما إن لدينا أوصافًا غريبةً تُشْبِه الأسماء مثل «الفونز» (the Fonz)، و«الإكّة» (the Ace) و«الوضع» (the Situation). فعلى ما يبدو، سيُنكر رَسِل أن هذه أوصافٌ بدءًا، ولكنها تبدو مثل الأوصاف، مع إنها تشبه الأسماء بوضوحٍ. ماذا عن «الحزب الجمهوريّ» (the GOP)؟

أضف إلى هذه المشاكل في نظرية رَسِل مشكلةً تخصّ «الأول» (the former) و«الآخر» (the latter). فكيف سيحلل رَسِل هذه كعبارات محدّد كمية؟ فمن المستُحيل تمامًا أن نعيد صياغة هذه العبارات التي تحتوي أل التعريف (the) باستخدام نظرية رَسِل، كما في مثال «جاك وجيل صعدا التّلّة، فسقط الأول وجلس الآخر». جرِّب وسترى.

مع ذلك، تبدو نظرية رَسِل وكأنها تحوي عنصرًا قويًا من الصحة، مع إنه ثمّة صعوبات تظهر حين نحاول تطبيقها على كل شيء. ولا تزال كيفية التعامل مع هذه الصعوبات مشكلة غير محلولة في فلسفة اللغة.

مع ذلك، تبدو نظرية رَسِل وكأنها تحوي عنصرًا قويًا من الصحة، مع إنه ثمّة صعوبات تظهر حين نحاول تطبيقها على كل شيء. ولا تزال كيفية التعامل مع هذه الصعوبات مشكلة غير محلولة في فلسفة اللغة.

---

(32) Keith Donnellan, «Reference and Definite Descriptions», in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 157.

(33) Ibid., 164.

(34) المترجم: يقصد المؤلف بالإمبراطورية الرومانية المقدسة «تكتل سياسي قروسطي بأراضي أوربا الوسطى والغربية وُلد خلال العصور الوسطى المبكرة وتمَّ حلُّه رسميًا سنة 1806» (راجع: ويكيبيديا). فهذا التكتل ليس له علاقة بالرومان ولا بالقداسة كما إنه ليس إمبراطورية.

(35) Stephen Neale, Descriptions, excerpted in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 170.

كاپلان وأسماء الإشارة

5.1 الاستبطان والمصداق

مررنا بمواضع ذكرنا فيها أسماء الإشارة في تحقيقاتنا السابقة عن الأسماء والأوصاف، مُلاحظينَ دورها في الإحالة اللغوية. سننتقل الآن للنظر في أسماء الإشارة بصورة أوضح، وسنركّز في نقاشنا على أعمال «ديڤيد كاپلان» (David Kaplan). ولكن قبل القيام بذلك، نحتاج أن نقوم بجولة عن «دلالة العوالم المحتملة» (possible world semantics). ويمكننا تقديم هذا الموضوع من خلال تأمُّل جملة مألوفة صحيحة بصورة تصادُفيّة.

1. رافائيل نادال هو لاعب التنس رقم واحد في العالم في 2010م.

هذه الجملة صحيحة، ولكن ربما لن تكون صحيحة لو كان ثمّة شخص آخر أصبح هو لاعب التنس رقم واحد في العالم في تلك السنة (لنقل: «روغر فيدرر» Roger Federer). فإن فكّرنا في كل العوالم المحتملة، فسيكون ثمة عوالم محتملة لن يكون فيها «رافائيل نادال» (Rafael Nadal) هو اللاعب رقم واحد. فثمة عالم محتمل قد يكون فيه فيدرر هو اللاعب رقم واحد عام 2010م، وحينها ستكون جملتنا عن نادال خاطئة. فهذه الجملة التصادفية قد تكون صحيحةً في العالم الواقعيّ، ولكنها ليست صحيحةً في كل العوالم المحتملة.

يستخدم المناطقة والفلاسفة مصطلحات محدّدة حين يتحدَّثون عن الجملة التصادفية والعوالم المحتملة التي يكون فيها للجُمَل قيَم صحّة. فقيمة الصحة لجملة تصادفية معطاة في عالم ما يُسمَّى «مصداق الجملة» (Intension of the sentence). ومعنى الجملة -المضمون الذي تعبِّر عنه- يسمَّى «استبطان الجملة» (intension of the sentence). فلكل استبطانٍ تحمِلُه الجملة في اللغة الإنغليزية في العالم الواقعي

مصداقات فيما يخصُ العوالم المحتملة. وهذه الأفكار الخاصة بالاستبطان والمصداق مشابهةٌ لأفكار فريغه عن المعنى للجملة (فكرة) وإحالة الجملة (قيمة الصحة). فمصداق قيم الصحة يتنوَّع من عالمٍ لآخر، بينما يظل الاستبطان ثابتًا[36].

يوظّف كابلان طريقة تنظيرية نوعًا ما لشرح الاستبطان والمصداق. فيصف استبطان الجملة على أنه «وظيفة» (function) من عوالم محتملة إلى قيم الصحة. بالتالي، تتصرف الاستبطانات كوظائف رياضية آخذةً العوالم كـ«مكونات» (arguments) وتعطي قيَم الصحة قيمًا. فعلى سبيل المثال، تكون (2) و(3) في معادلة جمع كـ (2+3=5) مكونات لوظيفة الجمع، وتكون قيمة الوظيفة لهذه المكونات (5). وعلى ذات النحو، تكون قيمة الوظيفة التي تعد استبطانَ جملة «نادال هو لاعب التنس رقم واحد في العالم في 2010م» صحيحة كمكوِّن في العالم الواقعي، ولكن تكون قيمة هذه الوظيفة كمكوّن في العوالم الأخرى خاطئة. بذلك يتم التفكير في معاني الجمل على أنها وظائف من عوالم إلى قيَم صحّة. فالاستبطانات تحدِّد المصداقات الخاصة بالعوالم.

حين نحدد الوظيفة المعبَّر عنها بجملة معطاة من عوالم إلى قيَم صحَّة، سنحدد شروط صحة الجملة. فـ«شروط الصحة» (truth conditions) الخاصة بجملة هي مجموعة العوالم التي تصحُ فيها الجملة. لذلك، تكون جملتنا السابقة صحيحةً فقط في العوالم التي يكون فيها نادال هو رقم واحد. وقد يشرح المنظِّرون في دلالة العوالم المحتملة أن المعاني تعمل كالوظائف من عوالم إلى قيَم صحة، وذلك من خلال شروط الصحة. وقد تمتد هذه الفكرة لأجزاء الجملة كالأوصاف المعرفة. خُذْ مثلاً الوصف المعرَّف «مخترع النظّارة ثنائية البؤرة» (the inventor of bifocals). فلهذا الوصف، كجملة كاملة، استبطان ومصداق معين، ويُعدُّ المصداق إحالة الوصف، وسيكون «بنجامين فرانكلين» (Benjamin Franklin) في العالم الواقعي الإحالة (المصداق) لذلك الوصف. مع ذلك، قد يكون المصداق مُختلفًا في عالم محتمل، إذ قد لا يكون هو مخترع النظارة ثنائية البؤرة الفعلي، فربما اخترعها شخصٌ آخر. فاستبطان الوصف يُحدِّد شيئًا مختلفًا كمصداق له في عوالم

مختلفة، بنفس الطريقة التي يُحدِّد فيها استبطان الجملة قيَم صحَة مختلفة في عوالم مختلفة. ويظل معنى الوصف المعرَّف وظيفة من عوالم إلى مصداقات بنفس الطريقة التي يكون فيها معنى الجملة وظيفةً من عوالم إلى مصداقات. فيكمن الفارق في الحقيقة القائلة أن المصداق، لأي جملة، هو قيمة صحتها، بينما المصداق، لأي وصف، هو الشيء الموصوف. وسيكون المصداق المقابل للاستبطان الخاص بالعالم الواقعي في حالة الوصف المعرّف المحدد بنجامين فرانكلين، ولكن قد يعطي ذلك الاستبطان نفسه فيما يخص عالم مختلف «توماس جيفرسون» (Thomas Jefferson) كمصداق. فالمصداق يتنوع من عالم إلى عالم، بينما يبقى الاستبطان ثابتًا، وهذه طريقة من طرائق الحديث عن «التصادف» (contingency): فمن المصادف أن يكون مخترع النظارة ثنائية البؤرة بنجامين فرانكلين.

وهنا «ضرورة» يمكن تأمُّلها. فالجملة (2+2=4) تعبر عن استبطان له نفس المصداق فيما يخصُّ كل عالم، لأن المضمون صحيح بالضرورة. فلا يوجد عالم تُساوي فيه (2+2) شيئًا آخر عدا (4). فالوظيفة تُعطي نفس القيمة كمحصّلة بصرف النظر عن العالم الذي يدخلها كمدخل. ففي أيّ عالم تذهب إليه، سترى أن (2+2=4) في ذلك العالم. فالاستبطان هنا وظيفة ثابتة من العوالم إلى قيم الصحة، لغياب التنوع في مدخلات الوظيفة من عالم لعالم. في المقابل، إنْ كتبنا (2+2=5)، فستكون قيمة الصحة الخاصة بها خاطئة في كل عالم، لأنه لا يوجد عالم تكون فيه (2+2=5).

ثمة أيضًا أمثلة أخرى لا تكون فيها الأوصاف المعرَّفَة صحيحةً عن حاملها. وقد تكلَّمْنا عن واحدة من هذه الأمثلة حين ناقشنا كريبكي في الفصل الثاني. فعلى سبيل المثال، يُحيل «التابع لرقم (3)» إلى رقم واحد فقط من عالم لآخر لأن «التابع لرقم (3)» في كل عالم محتمل سيكون دائمًا رقم 4. وذلك الوصف بحسب تعبير كريبكي «مُعيّن صارم» (rigid designator)، لأن له نفس التعيين في كل عالم. فيمكننا القول، باستخدام ذلك المصطلح، إن «نادال رقم واحد» مُعيِّن غير صارم لقيمة الصحة «صحيح»، وأنَّ (2+2=4) مُعيِّن صارم لقيمة الصحة «صحيح».

إذن، ثمة أوصاف معرفة تكون معينات صارمة تعمل بنفس الطريقة التي تعمل بها المعينات غير الصارمة، أي إنها ترتبط باستبطانات تعمل كوظائف من عالم إلى مصداقات. فالفارق إذن يكمن في أن المعيّنات الصارمة تُعيِّن وظائف ثابتة، بينما المعيّنات غير الصارمة تُعبّر عن وظائف متغيرة.

لتفرض أننا قدمنا تمثيلًا للمضمون المعبَّر عنه بالجملة التي تحْمِل وصفًا معرّفًا. سيتشكّل الفكرة المعبَّر عنه بتلك الجملة، أيْ المضمون، من استبطانات لمصطلحات متنوِّعة للجملة. وسيكون الاستبطان لذلك الوصف كمفهوم «فاء» (F). بهذا سيكون مكوّن المضمون المقابل لـ«الفاء» (the F) مفهوم كينونة فريدة لـ«فاء»، وبالتالي لن يكون ثمة مكونات تعابير أخرى في الجملة؛ وسيكون مضمونٌ كهذا متوافقًا مع دلالة العالم المحتمل. أمّا المصداق فسيتمّ تحديدُهُ بتحديد الشيء الذي يناسب مفهوم «فاء» بصورة فريدة في أحد العوالم، والذي سيكون في مثالنا بنجامين فرانكلين في العالم الواقعي. فلن يكون بنجامين فرانكلين مكوّن ذلك المضمون، بل سيكون مكوِّن ذلك المضمون هو المفهوم «فاء» فقط، فالرجل نفسه مكوّن العالم. وسيتشكل المضمون من مفاهيم أو استبطانات أو معاني، لا إحالات ومصداقات. فالإحالة موجودة في العالم الموضوعي، لا بداخل المضامين، إذ ليس لها مساحة في المضامين. فالمضامين تتشكّل من استبطانات لا مصداقات، بحسب المُنَظِّرين للعوالم المحتملة المتأثرين بفريغه.

5.2 كابلان والإشاريات

يخالف كابلان صورة المعنى التي رسمتها دلالة العوالم المحتملة بسبب غياب «الإشاريات» (indexicals) في اللغة، ويرى أن الإشاريات تتطلّب تحليلًا بطريقة مختلفة. فثمة حاجة لتصوّرٍ مختلفٍ تمامًا للمعنى لتمثيل معنى الإشاريات. يُمهّد كابلان لفكرة دلالة الإحالة المباشرة في بداية مقالته، فيقول:

> إن كان ثمة مصطلحات، فالمضمون المعبَّر عنه بجملة والمحتوي على مصطلحات كهذه سيتضمَّن إذن أفرادًا بصورةٍ مباشرةٍ

عوضًا عن طريقة «المفاهيم المفردة» (individual concepts) أو «أساليب العرض» (manners of presentations) التي تدرّب على توقُّعها. ولنسمّي هذه المصطلحات المفردة المزعومة (إن كان ثمة مصطلحات كهذه) بـ«المصطلحات الإحالية المباشرة» (directly referential terms)، وهذه المضامين المزعومة (إن كان ثمة مضامين كهذه) بـ«المضامين المفردة» (singular propositions). فحتى وإن لم تحتوِ اللغة الإنغليزية مصطلحات مفردة لها دلالة سليمة هي إحدى الإحالات المباشرة، فهل يمكننا أن نقرّر تمهيد مصطلحات كهذه؟ وحتى إن لم يكن لدينا مصطلحات إحالية مباشرة ولم نمهّد لها، فهل ثمّة حاجة لاستخدام المضامين المفردة[37]؟

يُعرّف كاپلان «المضمون المفرد» (singular proposition) على خلاف التعريف التقليدي. فالمفهوم المفرد، لديه، لا يحتوي على مفهوم الاستبطان المماثل لـ«بنجامين فرانكلين» بل سيحتوي على الشخص نفسه بنجامين فرانكلين. فبنجامين فرانكلين الحقيقي هو مكوّنٌ للمضمون المفرَد بنفس الطريقة التي يكون فيها المفهوم هو المكوِّن لمضمون عام. وهذا يعارض بشدة أنموذج فريغه الكلاسيكي، لأن ثمّة الآن أشخاصًا ملموسين واقعيين داخل المضمون. وتُعدُّ هذه الفكرة أكثر اتساقًا مع نظرة رَسِل القائلة إنَّ بعض المصطلحات (كالأسماء الأصلية) تُدرج إحالة المصطلح في المضمون. فرَسِل يضع فارقًا مميزًا بين مصطلح يُمهّد لمفهوم (مثلًا، وصف) ومصطلح يُمهّد لشيء (مثلًا، اسم علم منطقي). لهذا يؤيد كاپلان الاستعانة بدلالة رَسِل ضد دلالة فريغه، إذ ينظر إلى المضمون المفرد على أنه يحوي أفرادًا ملموسين. فإن كان المصطلح الإحالي المباشر يَرِدُ في جملةٍ، فسيحتوي المضمون المفرد على شيءٍ من الإحالة دون وساطة معنى فريغه. فكاپلان يرى هذه النظرة تكون هي الأصح حين يتعلّق الأمر بالإشاريات.

أما رواية فريغه، فترى أن الكلمة تعبِّر عن المعنى، وذلك المعنى يحدِّد الإحالة، والتي تُعَدُّ فردًا معيّنًا. بالتالي، حين تُحيل الكلمة إلى فردٍ، تُحيل إليه بصورةٍ غير مباشرةٍ بالتعبير عن المعنى. فالمعنى هو المكوِّن المضموني،

أيْ الشيء الذي يدخل المضمون. والمعنى يحدِّد الإحالة لكونه مفهومَ فردٍ معيّن، وإن لم يكن ذلك الفرد مكوِّن المضمون. وكنتيجة غير مباشرة لهذه العلاقة في التعبير، تدلّ الكلمة على الفرد. أمّا رواية الإحالة المباشرة فمختلفة. فثمّة الكلمة والعلاقة الإحالية والفرد، لا غير. فالعلاقة التعبيرية والمعنى، الذي يحدد الإحالة، مستأصَلَةٌ هنا من الرواية، لذلك يقوم كاپلان باستحضار أدوات لغوية لاحقًا، ليُبقي المكون المضموني مشكّلًا من قبل الفرد ببساطة. فالفرد هو المكون المضموني، ولهذا وصف كاپلان العلاقة بالتطابق. فالشيء الفرد المحال إليه متطابقٌ حرفيًا مع المكوّن المضموني. والكلمة لا تُحيل بطريقة توسُطيّة من خلال المعنى؛ ولكنها تُحيل مباشرةً إلى الشخص. ويظل المكوّن المضموني هو المعنى، فيما يتحوّل المعنى إلى فرد يستوطن العالم الخارجي للغة.

إذن، فالفارق الكبير بين أنموذج فريغه وأنموذج الإحالة المباشر يكمن في كون الكثير من المعاني في الأنموذج الفريغي تُقابل الإحالات نفسها. وهذا لا يمكن أن يحدث في أنموذج كاپلان، لأن الفرد يحدد المعنى، لا العكس. والمكون المضموني هو المعنى، الذي تحدده الإحالة، وتبقى العلاقة ببساطة تطابُق. بالتالي، يمكن أن يكون ثمة معنى واحد فقط لكل إحالة، حتى يكون للمصطلحات متبادِلَة الإحالة نفس المعنى. فأنموذج كاپلان لا يعترف بأمثلة فريغه التي تحوي مصطلحين اثنين بمعنيين مختلفين ولهما نفس الإحالة. ورغم ذلك وكما ناقشنا عدة مرات سابقة، فإن هذا التحليل لمعنى الأسماء يواجِه مشكلة فريغه عن التطابق. فمع أن أنموذج الإحالة المباشرة جذّابٌ إلى حدٍ ما، إلا أن فريغه يعتقد أن هذه الآلية للمعنى والإحالة مطلوبَةٌ لحل مشكلة التطابق. وللأسف لا يحاول كاپلان مواجهة مشكلة فريغه في هذه الورقة، بل يكتفي بالتركيز على أسئلة أخرى، فيجب علينا وضع هذا التجاهل بالاعتبار كلّما توغّلنا في الموضوع. فيبدو من المستُحيل على ما يظهر أنَّ بإمكاننا التعامل مع أمثلة كـ«هيسپيروس» و«فوسفوروس» من حيث الإحالة فقط؛ وهذا يمثّل تحدّيًا لنظريات الإحالة المباشرة على كل حال.

ثم ما هو الإشاري؟ يمكن اعتبار أسماء الإشارة فئةً منحدرةً من الإشاريات. ونقصد بأسماء الإشارة كلمات من قبيل «ذلك» (that)

و«هذا» (this)، والتي تترافَق عادةً مع وضعيّة التأشير. كما تتضمّن الكلمات الإشارية أيضًا كلمات من قبيل «هنا» (here) و«هناك» (there)، و«أنت» (you) و«هو» (he) و«أنا» (I) و«الآن» (now). فالفكرة الأساسية في الإشاريات أنها كلمات تُستخدم في سياق معين وتعتمد في إحالتها على السياق. لذلك، نستطيع أن نسمي الإشاريات بـ«التعابير المعتمدة على السياق» (context-dependent expressions). فالكلمات الإشارية تختلف عن الأسماء والأوصاف المعرَّفَة، حتى وإن حَوَتْ بعض الأوصاف المعرّفة إشاريات. كما يوضح كاپلان اشتراطَهُ أنه لا يُضَمّن في الكلمات الإشارية الإشاريات المستخدمة «بصورة عائدية» (anaphorically) كما في «ذهب جون إلى الأسواق، واشترى]هو[ساندويتش هناك» (John went to the shops, and he bought a sandwich there)[38]. فكاپلان مهتم بالإشاريات التي لا تكتسب إحالتها من إحالة مفردة سابقة (كما هو الحال في «هو» he و«جون»John)، أي أنه مهتم بفهم دلالة تلك الكلمات، وستلعب فكرة الإحالة المباشرة دورًا كبيرًا في فهْمِه لها.

5.3 مبدآن للإشاريات

يخبرنا كاپلان أن ثمة مبدأين عن الإشاريات سيقودانا أثناء النقاش. الأول، أن الإشاريات معتمدة على السياق: فإحالة الإشاري تعتمد على السياق الذي يظهر فيه. فإن قال رافائيل نادال «أنا جذّاب» (I am hot)، فهو يُحيل إلى نفسه لأن سياق اللفظ يتضمَّن المتحدث. وإن قلتَ أنت أيها القارئ «أنا جذّاب»، فالسياق مختلف، فأنت تُحيل إلى نفسك. ولا تحظى الأوصاف المعرّفة وأسماء العلم بهذه الخاصية في الاعتماد على السياق: فإنْ قلتَ «رافائيل دانال»، فإنك تُحيل إلى نفس الشخص الذي يُحيل إليه نادال حين تقول ذلك الاسم، ولست تُحيل إلى اسمك بذلك!

المبدأ الثاني أن الإشاريات إحالية بصورة مباشرة. والمصطلح الإحالي بصورة مباشرة هو المصطلح الذي يكون فيه المضمون المعبَّر عنه بجملة إشارية مضمونًا مفردًا. فإنْ قال متحدِّثٌ «أنا جذّاب»، فسيتشكّل المضمون المعبّر عنه في تلك الجملة من المتحدث (الشخص الذي «أنا» أحيل إليه) بالإضافة إلى صفة الجاذبية. يرى كاپلان أن الإشاريات إحالية

بصورة مباشرة بنفس الطريقة التي يرى فيها رَسِل ومِل أن الأسماء إحالية بصورة مباشرة. فالإحالة لا يتم التوسُّط فيها من خلال مفاهيم وصفية تعرّف الأشياء بصورة فريدة.

إن نظرة كاپلان عن الإشاريات تشبه نظرة كريپكي عن الأسماء: فكلاهما يعارضان نظريات الوصف التي تحدد إحالة تلك التعابير. فكاپلان يرى أن الأسماء والإشاريات إحالية بصورة مباشرة. فالإشاريات من الناحية الدلالية مثل الأسماء بالمعنى الرَسِلي. وبما أن الأسماء معيّنات صارمة، فسيكون من المقبول أن تكون الإشاريات معينات صارمة أيضًا، وهو ما يؤكده كاپلان عن الإشاريات، مع إن كاپلان يرى أن استخدام ذلك المصطلح يخلط مفهومين مختلفين تمامًا، من الواجب أن يَبْقَيا منفصلين.

كما لا يختلف الوصف (المعيّن الصارم) من حيث الدلالة عن الوصف (المعيّن غير الصارم) فليس إحاليًّا بصورة مباشرة، فيما يظلّ المكوِّن المضموني نفسَهُ كما بيّنا في السابق: مفهوم. وعلى هذا يكون مكوِّن المضمون المعبَّر عنه بالمعين الصارم «التابع لـ 3» مفهوم التابع لـ 3، لا الرقم 4 نفسه. ففي حالة الوصف الصارم، يكون المكوّن المضموني مفهومًا (لا فردًا)، فلا يُعَدُّ الوصف الصارم أداةً إحاليّةً مباشرةً، فمركباته تتشكل من مفهوم عام (معنى الوصف) بالإضافة إلى كل ما تم إسناده. وهذا يتضح حين ننظر في ضرورة كريپكي لمثال الأصل. فحين تتأمل شخصًا بأصل «أ»، فسيكون المكوّن المضموني المماثل لـ«الشخص ذي الأصل أ» هو المفهوم العام ذو الأصل «أ». فمن حيث الدلالة، يعمل الوصف بالطريقة التي يعمل بها حين لا يكون صارمًا، فيكون المكوّن المضموني مفهومًا عامًا، ولا ينتج عن حقيقة كون المضمون معيّنًا صارمًا وإحاليًّا بصورة مباشرة. فيمكن للأوصاف أن تكون صارمةً دون أن تُشْبِه الأسماء، وهذا المقطع من مقالة كاپلان يشرح هذه النقطة:

> بالنسبة لي، فالفكرة البديهية ليست تلك الخاصة بالتعبير الذي يظهر أنه يعيّن نفس الشيء في كل الظروف، ولكنه التعبير ذو القواعد الدلالية التي تؤكِّد بصورة مباشرة أن المُحال إليه في كل الظروف الممكنة هو المحال إليه بصورة ثابتة. ففي الأمثلة العامة،

> تقوم القواعد الدلالية بذلك بصورةٍ واضحةٍ، بتقديم طريقة لتحديد المحال إليه بطريقة واقعية لا بطريقة تُحدّد مكوّنًا مضمونيًا آخر[39].

فكرة كاپلان عن الإحالة المباشرة لا تقول إن المصطلح يُعيّن نفس الشيء في كل الظروف المحتملة، إذ يُمكن للتعيين الصارم أن يبرز من الجوهر الفردي بعيدًا عن قواعد اللغة. كما يمكن أن يظهر من حقائق الميتافيزيقا. فالأصول ضرورات ميتافيزيقية، والجوهر الفردي ليس فكرةً دلاليةً، بل هو شيءٌ آتٍ من طبيعة الأرقام وطبيعة بالبشر. والهدف من الإحالة المباشرة أن تكون صفةً لتعبيرٍ يظهر في حالة قطعة لغوية، وعلى القواعد الدلالية التي هي جزء من المعنى العميق للتعبير أن تحدِّد ما إذا كان التعبير إحاليًا بصورة مباشرة أم لا.

يستخدم كريپكي بعض المصطلحات في مقالته «التسمية والضرورة» (On Naming and Necessity) ذات علاقة بنقاشنا الحالي: «المعين الصارم الفعليّ» (de facto rigid designator) وهو المعيّن الذي يُعيِّن نفس الشيء في كل عالم محتمل كحقيقة ميتافيزيقية (مثال: «التابع لـ 3» أو «الشخص ذو الأصل أ»). أما «المعيّن الصارم القانوني» (de jure rigid designator)، فهو المعيّن الذي يُعيِّن نفس الشيء في كل عالم محتمل بحسب معناه أو القواعد الدلالية التي تحكُمُه. فالأسماء، بالنسبة لكريپكي، معيّنات صارمة قانونية، بينما الأوصاف الصارمة معينات صارمة فعلية. يؤمن كاپلان بنفس الاختلاف بين الصرامة والإحالة المباشرة، فيرى أن الصرامة ليست نفس فكرة الإحالة المباشرة، لأن ثمة أوصاف صارمة دون إحالة مباشرة. وهنا نص من كاپلان مجددًا:

> إنْ أصبحتُ ميتافيزيقيًا لإصلاح الصورة، فلنفكّر في حوامل التقييم، أيْ ما يُقال في سياق معطى، على أنها مضامين. فلا تفكّر في المضامين على أنها مجموعات من عوالم محتملة، ولكن ككيانات مركبة تبدو كالجُمَل التي تعبّر عنها. فلكل مصطلح مفرد يَرِد في جملة مركّب مقابل في المضمون المعبّر عنه. ومركب المضمون سيحدّد، في كل ظرف تقييم، الشيءَ الخاص بتقييم المضمون في ذلك الظرف. وعمومًا، سيكون مركب المضمون

معقَدًا إلى حدٍ ما ومركّبًا من صفات متعددة بتركيبة منطقية. مع ذلك، سيكون مركّب المضمون في حالة المصطلح المفرد الإحاليّ المباشر هو الشيء نفسه. ولن يبدو لنا أن المركّب يحدد نفس الشيء في كل ظرف، فالمركّب (المقابل للمعين الصارم) **هو** بساطة الشيء. **فلا شيء يتطلّب التحديد أبدًا**[40].

يُبيّن هذا المقطع بصورة واضحة الفارق بين الصرامة والإحالة المباشرة. فالمضمون الذي يُقابل المصطلح الإحالي المباشر هو مضمون مفرد. والمضمون الذي يقابل الوصف الصارم هو مضمون عام، لأن الأوصاف ليست إحالية بصورة مباشرة. فالمصطلحات التي يستخدمها كاپلان مشابهة لمصطلحات رَسِل. فرَسِل يقول إن الجملة التي تحوي وصفًا معرّفًا تعبّر عن مضمون عام لأنها مقابلة لجملة ذات محدد كمية. وقد يبدو المضمون العام المعبر عنه بتلك الجملة على أنه مضمون مفرد، لأنها جملة مفردة صحيحة نحويًا، ولكنَّ ذلك وهْمٌ نحويٌّ، فهو مضمون عام من الناحية المنطقية. ورغم ذلك فثمّة أيضًا أنواع من التعابير يسمّيها رَسِل أسماء (ويسميها كاپلان إحالات مباشرة)، يكون فيها المضمون المعبَّر عنه مضمونًا مفردًا لا مضمونًا عامًا. ويمكن القبض على فكرة فرديّة المضامين بتمثيل المضامين على أنها تحوي أشياء مفردة كمركّبات. أما الصرامة فهي ببساطة فكرة امتلاك نفس الإحالة في كل عالم، والإحالة المباشرة هي فكرة ما يُشكّل المضمون المقابل. فالصرامة فكرة احتمالية، بينما الإحالة المباشرة فكرة دلالية.

فإنْ نظَرْنا إلى المسألة من نظرة المتحدِّث، فيمكننا أن نسأل عمّا سيفهَمُه حين يستوعب مضامين أنواع مختلفة. سيستوعب المتحدث في حالة الأوصاف، سواء كانت صارمة أو غير صارمة، شيئًا عامًا مُشكّلًا من مفاهيم. أما في حالة المصطلح الإحالي بصورة مباشرة، فسيستوعب فردًا، وسيَرِد ذلك الفرد في المضمون العميق للمضمون الذي تمَّ استيعابُه. فإن قال متحدث «هذه الغرفة جميلة» (this room is nice)، فإنَّ المضمون الذي يدور في ذهنه في تلك اللحظة يحوي غرفةً واقعيةً معينةً. وثمة إمكانية أن تكون تلك الغرفة جزءًا من ذهنه، وجزءًا من المضمون الذي يستوعبه. فأحد آثار هذه العملية أنه إن لم يكن ثمة

غرفة جميلة (أي أنه فقط يُهَلْوِس)، فلن يكون ثمّة مضمون كهذا. وبما أنَّ المتحدث استخدم اسم إشارة، فقد أحال مباشرةً (فيما يظهر) إلى غرفة غير موجودة، فلن يكن ثمة مضمون مفرَد نجح في التعبير عنه. بالتالي، من الممكن أن نقول إنَّ المتحدث يعبّر عن مضمون مفرد في حين لا يعبّر المتحدّث بالفعل عن مضمونٍ كهذا، أيْ كأنه يهلوس عن أشياء ويقول «ذلك فاء» (That is F). فقد تُهَلْوِس، على سبيل المثال، بوجود نمر وتقول «ذلك النمر متوحش». وحين لا يوجد أيُّ نمر، تكون قد فشلت في التعبير عن مضمون يحتوي على نمر موجود معين. فالمضامين المفردة تعتمد على الأشياء، لذلك تفشل في الوجود حين يفشل الشيء المقصود عن الوجود. وتتسبب الإحالة المباشرة بالتالي في توهُّمات مضامين، مع العلم أنَّ هذا لا يمكن أن يحدث في حالة المضامين العامة البحتة.

5.4 سياق الاستخدام وشروط التقييم

للتفرقة أكثر بين التعيين الصارم والإحالة المباشرة، يوضح كاپلان الفرق بين «سياق الاستخدام» (context of use) و«شروط التقييم» (conditions of evaluation)، وتفرقته تفرقة مهمّة. فسياق الاستخدام يتشكّل من «الشخص» (person) و«الوقت» (time) و«المكان» (place) الذي فيه تُقال جملة معيّنة. وظرف التقييم هو عالم محتمل يكون فيه المضمون صحيحًا أو خاطئًا. وعلينا أن نفرِّق بين المفهومين بوضوح. فالسبب الذي يجعلنا لا نرى هذا الفرق يعود إلى أن السياقات المختلفة للاستخدام تُعطي إحالات مختلفة. فحين أقول «أنا»، فأنا هنا تُحيل إليَّ، وعندما تقول «أنا» فأنت تُحيل إليك. لذلك، تُنتج السياقات المختلفة لنفس المصطلح الإشاري إحالات مختلفة. ووفقًا لذلك، يمكنها أن تنتج قيم صحة مختلفة، لأنني قد أكون ما أقوله عن نفسي بينما قد لا تكون ما تقوله عن نفسك.

وقد نتساءل ما إذا كان الأمر هو نفس ما سيقع في حالة الوصف ذي الإحالات المختلفة في العوالم المحتملة (مثال «مخترع النظارة ثنائية البؤرة»). هل يكون لدينا تنوعٌ في المصداق مع ثبات الاستبطان في كلا

الحالتين؟ تدعونا فكرة كاپلان ألّا نخلط بين نوعين من اعتماد المصداق. فليس علينا أن نخلط بين الاعتماد على السياق والاعتماد على العالم. ولتتأمل جملة كـ«أنا غير موجود» (I do not exist). فإنْ قال متحدِّثٌ «أنا غير موجود»، فلا يمكن أنْ تُقال تلك الجملة من شخصٍ ما لم يكن ذلك الشخص موجودًا من البدء. وخُذْ أيَّ سياقٍ للاستخدام وستجدها دائمًا خاطئة، لأن السياق يتضمن المتحدث. فإن قال شخصٌ «أنا موجود»، فستكون تلك الجملة صحيحةً في كل السياقات (وقارن ذلك بفكرة ديكارت في الكوجيتو). بل ستكون تلك الجملة صحيحة بالضرورة، بمعنى أنها ستكون صحيحة في أيْ سياق تُقال فيه الجملة. مع ذلك، قد لا يكون المضمون صحيحًا بالضرورة حين يكون المتحدث الذي يقول «أنا غير موجود» موجودًا بالفعل. فحتى مع وجود متحدث آخر يقول تلك الجملة، فربما لم يولد ذلك المتحدث بعد. فثمة عوالم احتمالية لا يكون فيها المتحدث حيًّا ليقول جملة «أنا موجود». فليس ثمة أحد موجود بالضرورة (ربما باستثناء الله). فثمة فرق كبير بين سياق الاستخدام وظروف التقييم. فظروف التقييم معنيّةٌ بمصداق المضمون المعبر عنه حين يتم التعبير عنه، وسياق الاستخدام معنيٌّ بالمضامين التي تم التعبير عنها من البدء. بالتالي، يُحدِّد السياق أيَّ مضمون يُعبَّر عنه باستخدام «أنا»، فيما تُحدِّد الظروف ما إذا كان المضمون الذي تم التعبير عنه صحيحًا في عالم معين أم لا.

لهذا السبب، يشدد كاپلان على التفرقة بين سياق الاستخدام وظروف التقييم. فأولى أفكاره التي طرحها كاعتراض على دلالة العوالم المحتملة هي أن هذه الدلالة تُغيّب هذه التفرقة. فهي لا تُقرّ بالاختلاف بين ظروف التقييم وسياقات الاستخدام لأنها تتحدّث فقط عن الأوصاف والاستبطانات وعلاقاتها بالعوالم المحتملة. وكل ما نملكه في دلالة العوالم المحتملة هو ظروف التقييم، بحيث تعطي الظروف المختلفة مصداقات مختلفة لاستبطان معطى. أمّا فكرة سياق الاستخدام فليست موجودةً بدلالة العوالم المحتملة، إذ تتعامل تلك الدلالة مع الفكرة الاحتمالية لتغيُّر المصداقات بحسب الظروف المحتملة، لا مع فكرة السياق الذي يُثبت ما قيل في مناسبة معينة. فدلالة العوالم

المحتملة تعامل كل اللغات على أنها مستقلة من حيث السياق (وهذا ليس صادمًا باعتبار أنها تتعامل مع اللغة المشكَّلة على منطق صوري معياري، وباعتبار أن هذه اللغات لا تحوي إشاريات).

يقودنا هذا النقاش عن اعتماد السياق نحو التفرقة التي رسمها كاپلان بين ما يسميه «الشخصية» (character) و«المحتوى» (content)، وهي تفرقة تمثِّل جوهر نظريته. فيمكن إعادة صياغة كل الأفكار التي ذكرناها حتى الآن باستخدام مفاهيم الشخصية والمحتوى. ومن حسن الحظ أن هذه التفرقة أسهل من أفكار سابقة طرحها كاپلان. فتأمّل كلمة من قبيل «أنا» (I)، و«هنا» (here) و«الآن» (now) وانظر في معناها. فالمعنى الذي تحمله تلك الكلمات حين تُقال يسمى «شخصية» (character). فالشخصية ما تعنيه الكلمة في اللغة - أي معناها اللفظي. ويُحدد هذا المعنى أو هذه الشخصية، على نحوٍ تقريبي، ما إذا كانت الكلمة «أنا» التي يقولها الشخص تُحيل إلى المتحدِّث، أيًّا يكن ذلك المتحدث. وكلمة «هنا» هي كلمة تستخدمها لتُحيل إلى المكان الذي تكون فيه، أيًّا يكن ذلك المكان، وينطبق تعريف مثل هذا على كلمات «هناك» و«الآن». فالشخصية تقبض على معنى هذه التعابير الإشارية، لأنها تحدِّد ما يُحال إليه باستخدام تلك التعابير حين يتم قولها في سياق معين. باختصار وبصورة جوهرية، تُعدُّ الشخصية هي المعنى المعجمي للكلمة، فمن المهم أن نُلاحظ أن للكلمة نفسَ الشخصية مهما يكن السياق الذي تُستخدم فيه. فإن قال جاك كلمة «أنا» وقال جون كلمة «أنا»، فثمة سياقان مختلفان لِلَّفظ، ولكن يظل لكلمة «أنا» نفس المعنى في كلا السياقين، أيْ لها نفس الشخصية.

تبدو الشخصية قريبةً من معنى الكلمة عند فريغه، لأن معنى الكلمة يُقابل معناها اللغوي، مع إنه ثمة فرقٌ كبير بين الشخصية والمعنى الفريغي. فالشخصية لا تُحدِّد بذاتها الإحالة، بينما يحدد المعنى الإحالة عند فريغه. لا تحدد الشخصية الإحالة لأنه حين يقول جون «أنا» ويقول جاك «أنا» فإنهما يقولان نفس الكلمة بنفس الشخصية، لا بنفس الإحالة. وبهذا لا يكون معنى الإشاري هو نفس المعنى بحسب فهم فريغه للمصطلح. فالسياق الذي يتم استخدام الإشاري فيه يعمل لتحديد

إحالته، ولا يمكن أن يتم ذلك بالشخصية وحدها. فمن الواضح أن المتحدث لا يستطيع قول كلمة «أنا» وينجح في الإحالة إلى مكان معين، إذ عليه استخدام الكلمة مع المعنى اللغوي الصحيح لها. إذن، فالشخصية عامة وغير مخصَّصة لتربط إحالة فريدة دون تكميلات سياقية. ولأن كلًّا من الشخصية والسياق يحددان الإحالة، يُقرر هذان المعياران المتعاونان ما يُحيل إليه المتحدث. فالشخصية مختلفة تمامًا عن المعنى. أما المعنى، فيحدد الإحالة دون أن يكون ثمة حاجة لاستحضار سياق الاستخدام. ففريغه يعلِّمنا أن المعنى يحدد الإحالة بصرف النظر عن سياق الاستخدام. أما الشخصية، تتطلَّب، على خلاف المعنى، تفاعلًا مع سياق الاستخدام لتحدد الإحالة.

إن المعنى الكامل للجملة الإشارية لا يمكن أن يتشكّل من الشخصية وحدها؛ وإن حدث ذلك، فلن يحدد المعنى الكامل للجملة المضمون الذي تعبر عنه. فالمضمون المعبر عنه شيء مختلف عن الشخصية. لذلك، يُسمَي كاپلان المضمون المعبر عنه من خلال الجملة بـ«المحتوى» (content). فإن قلتَ «أنا جذّاب» وقلتُ «أنا جذّاب» فنحن نعبّر عن محتويين مختلفين، لأننا نتكلم عن شخصين مختلفين. فللجملة التي قلناها معًا نفس الشخصية، لأن نفس الشخصية تمَ التعبير عنها بجملة معيّنة بصرف النظر عن السياق الذي ظهرت فيه. أمّا المحتوى المضمونيّ، فتم التعبير عنه من خلال الجملة بشكلٍ مختلفٍ في كلا السياقين. إذن، فالمحتوى نتيجة فرعية عن كلٍ من الشخصية والسياق. كما أنه، بخلاف الشخصية، يتضمن الإحالة. فله قيمة صحة في عوالم محتملة مختلفة، بينما الشخصية تتفاعل مع السياق لإنتاج المحتوى. فلا يمكن للشخصية وحدها أن يكون لها قيَم صحَّة.

يعود السبب الآخر لانفصال المحتوى عن الشخصية إلى أنه بالإمكان التعبير عن نفس المحتوى بجملة لها شخصية مختلفة. فقول جملة «أنا جذّاب» يُعبَر عن محتوى له شخصية مختلفة، مع إنه نفس المحتوى المعبَّر عنه من قبل شخص آخر حين يقول جملة «أنت جذّاب» مُحيلًا إلى الشخص الذي سبق وقال الجملة الأولى. فثمة مضمون واحد ومحتوى واحد في كلا الجملتين، ولكن بشخصيتين مختلفتين. لهذا السبب، لا

تحدد الشخصية المحتوى، ولا يُحدِّد المحتوى الشخصية، فهما بُعدان دلاليان مستقلّان لجملة إشارية.

بناءً على ما سبق، يتشكّل المعنى الإجمالي للجملة الإشارية من جزأين أو جانبين: الشخصية والمحتوى. وليس ثمة كيان مفرد مباشر يُسمًّى «المعنى» لأن للجملة الإشارية بُعدين دلاليَّين مختلفين. فبحسب صورة كابلان، يكون للإشاريات جانبان عن معناهما، بينما لا يوجد لهما، بحسب صورة فريغه، غير جانب واحد، وهو المعنى الفريغي. والسبب في ذلك هو أن المفترض من معنى فريغه أن يحدِّد الإحالة، بينما لا يحدِّد المعنى اللفظيّ إحالتها في حالة الإشاريات، لأن إحالتها تعتَمِد على السياق.

إنَّ الاعتماد على السياق هو الركن الأصيل في نظرية كابلان للإشاريات. فكل الجوانب الأخرى لنظريته تنبُع من هذا الركن الأصيل. لهذا، يقول كابلان إن فريغه مخطئٌ حين افترض أن المعنى اللغوي للتعبير هو معنى يحدد الإحالة. فنظرية فريغه تعمل بصورة فعّالة حين تُطبَّق على الأوصاف المعرّفة المستقلة عن السياق. فالشيء الذي يحدد إحالة الوصف المعرّف هو نفس الشيء الذي يشكّل المعنى اللفظي له. ولكن في حالة الإشاريات، لا يتقاطعان. فلا يمكن لمعنى فريغه وما ينسدل منه ولا يمكن استبطانات العوالم المحتملة أن تحتضن التعابير الإشارية لأن المصطلحات الإشارية ليس لها علاقة بالأوصاف البحتة، وتلك النظريات مصممة على الوصف المعرَّف البحت. فالإشاريات إحاليّةٌ بصورة مباشرة وتعتمد على السياق، بينما تفتقر الأوصاف لهذه الخصائص.

5.5 العوالم المحتملة والمعنى والإشاريات

تأمل الجملتين التاليتين «ملكة إنغلترا حامل» و«أنا حامل». حتى نفهم دلالة هاتين الجملتين، تصوّر أن الملكة إليزابيث الثانية قالت الجملة الثانية، فهي تُحيل إلى نفسها بكلمة «أنا»، وهي أيضًا معنى «ملكة إنغلترا»، فصار لدينا تصادُفٌ في الإحالة. لقد تحدَّثْنا سلفًا عن الكثير من الأسباب التي تُبيّن عدم ترادف الجملتين السابقتين. وسنهتم الآن بما يراه كابلان على أنه الاختلاف الجوهري بين الجملتين. فالجملة الأولى تُعبّر عن معنى وذلك المعنى استبطان. والاستبطان وظيفة من عوالم محتملة إلى

قيم صحة. فإن تأمَلْنا فقط الوصف المعرَّف، سيعبّر عن وظيفة من عوالم محتملة إلى أشياء. وتلك الوظيفة، في العالم الواقعي، تعطينا الشخص: «الملكة إليزابيث الثانية». في حين أنه في العوالم المحتملة الأخرى، قد يُعيّن الوصفُ شخصًا مختلفًا. فليس بالضرورة أن يكون الحال أن إليزابيث الثانية هي ملكة إنغلترا الحالية. فبما أن «ملكة إنغلترا» ليست معيّنًا صارمًا، فسيُحدِّد الاستبطان المماثل لمعنى ذلك الوصف شيئًا آخر في عوالم محتملة مختلفة. لاحظ أن هذا الوصف مستقلٌّ عن السياق تمامًا ولا يُهمُّ في أيّ سياقٍ يُقال، فسيكون له دومًا نفس الإحالة. ما يهمنا هنا أن الاستبطان يُحدِّد شيئًا معيّنًا يُعطى كمكوّن في عالم محتمل. ولاستخدام مصطلحات كابلان، ستُحدّد بعض ظروف التقييم الشيء الذي يُحيل إليه ذلك الوصف، وقد تتنوَّع تلك الظروف.

يرى كابلان أن هذا الأنموذج ينطبق فقط على أنواع معينة من التعابير. أمّا الإشاريات، فهي نوعٌ من الكلمات لا ينطبق عليها هذا الأنموذج. وبالعودة إلى مثالنا السابق، يرى كابلان أن وصف «ملكة إنغلترا» معيّن غير صارم لا يُحيل إلى شيءٍ بصورة مباشرة. أمّا المكوّن المضموني المقابل للوصف، فهو مفهومٌ فردٌ، لا شيء معين (أي الشيء الواقعي في العالم). فليس ذلك الوصف إحاليًا بصورة مباشرة (بالمعنى الرَسلي). ولهذا، يقترح كابلان أنَّ الإشاريات لا يمكن أن تُعبِّر عن الاستبطانات من النوع الذي يستقلّ عن السياق، فلا يمكن أن يُفهَم معناها كوظائف من عوالم محتملة إلى مصادقات. فالمعنى الخاص بالجملة «أنا حامل» شخصية (بالمعنى التِقَني الذي يُعطيه كابلان للشخصية). والشخصية ليست استبطانًا من عوالم محتملة إلى مصداقات، ولا شيء يمكن أن يُطبَّق على عالم ليُحدِّد ما هي طبيعة استبطان ذلك المصطلح في ذلك العالم. فمعنى كلمة «أنا»، مثلًا، شائعٌ عند كل شخص يستخدم الكلمة «أنا»، ومن المستحيل النظر في عالم محتمل وتحديد ماهية إحالة كلمة «أنا» في ذلك العالم، إذ لن يكون لها إحالة باعتبار خروجها من السياق.

إن الشخصية ليست سوى استبطانًا كلاسيكيًا في دلالة العوالم المحتملة. فالجملة «أنا حامل» لا تعبّر بذاتها عن مضمون أبدًا، إذ يجب

أن يكون المضمون شيئًا صحيحًا أو خاطئا. وتلك الجملة بذاتها ليست صحيحةً ولا خاطئةً، ويتعيّن عليها أن تُقال في سياق أولًا. فإن قال رجلٌ «أنا حامل»، فستكون الجملة بلا شك غير صحيحة. وإن قالت امرأةٌ حامل «أنا حامل»، فستكون صحيحة. فالشخصية وحدها ستفشل أن تحدد المضمون، إذ ليست وظيفة من عوالم إلى مصداقات. ويمكن للجملة الإشارية أن تعبر عن مضمون في مناسبة معينة، ولكن بشرط إضافة السياق إلى الشخصية ليُنتجَ مضمونًا. فدمج الشخصية مع السياق يحدد المضمون، ولهذا يقدّم كاپلان المعادلة التالية:

الشخصية + السياق = المحتوى

إنَّ المحتوى هو ما تمَّ قولُهُ وتأكيدُه والتصريح عنه، وهو المضمون. فالمحتوى ليس الشخصية، بل شيء تُنتِجُه الشخصية حين تندمج مع السياق. فهو ما يقوله المتحدِّث حين يستخدم جملةً معينةً في سياق معيّن. وهذا المحتوى يُقابل الفكرة الكلاسيكية عن الاستبطان. أمّا الشخصية، فلا تُقابل الاستبطان، بل يُمكن تصوّرها على أنها وظيفة من سياق إلى محتوى. فالوظيفة هنا ليست من عوالم إلى قيَم صحة، بل هي الشيء الذي يُعبر عن العلاقة القائمة بين السياق وما يقال حين يُقال التعبير. فالشخصية تحدد (مع السياق) ما تقول، ولا تحدد ما إذا كان ما تقول صحيحًا أمْ خاطئًا، فذلك يعتَمِد على ظرف التقييم. فالوظيفة تأخذ في حالة الشخصية السياقات كمكونات وتنتج المحتويات كقيم، بينما تكون المحتويات وظائف تأخذ العوالم كمكونات وتنتج قيم الصحة كقيَم.

في ضوء ما سبق، يتم تضمين الوظيفتين المختلفتين في المقولة الإشارية، وتؤكّد فكرة كاپلان في ورقته أن علينا ألا نخلط بين الوظيفتين. ففي الحالة الأولى («ملكة إنغلترا حامل»)، يندمج استبطان ذلك الوصف مع ظروف مختلفة ليعطي مصداقًا معيّنًا (مثلًا، أيًّا يكن الشخص الذي يُحيل إليه وصف «ملكة إنغلترا» في عالم معين). وفي الحالة الثانية («أنا حامل»)، ليس ثمة استبطان ثابت، فإحالة «أنا» قد تتنوَّع بتنوُّع التعبير عن المضامين المختلفة في سياقات مختلفة. فلا يجب علينا أن نخلط الطريقة التي يُسْهِم بها السياق في المصداق بالطريقة التي يُسْهِم فيها

الظرف في المصداق. فالأوصاف المعرَّفَة من قبيل «ملكة إنغلترا» منفصلة عن السياق، ولكن الإشارات من قبيل «أنا» معتمدة على السياق. بالتالي، فما يُقال حين يتم استخدام الإشارات يعتمد على السياق، وهذا لا يصِحُ في شأن الأوصاف. فالإشارات تنغمس دخولًا في السياق بينما تطفو الأوصاف بحُريَّةٍ بعيدًا عنه.

ينتج عن هذا التميز بين الشخصية والمحتوى عددٌ من الآثار والعواقب، أحدها: ليست كل المعاني استبطانات. فلا يمكن إيجاد نظرية كاملة للمعنى تعتمد على دلالة العوالم المحتملة. فثمة نوعان للمعنى اللفظي: معنى من نوع الشخصية ومعنى من نوع المحتوى. وثمة نوعٌ واحدٌ للمعنى في النظرية الدلالية الكلاسيكية المبنية على الاستبطان، أيْ المعنى الفريغي. ولكِنْ ثمة نوعان مختلفان للمعنى لا يمكن اختزال اختلافهما بحسب كابلان. فمعنى قولنا لجملة «أنا حامل» يُعطى في مرحلتين. المرحلة الأولى تُعطي الشخصية، وهي وظيفة من سياقات إلى محتويات، والمرحلة الثانية تُعطي المحتوى، وهي وظيفة من عوالم إلى قيم صحة. ويُسمَى هذا النوع من النظرية أحيانًا بـ«الدلالة ثنائية الجوانب» (dual-aspect semantics)، إذ ترفض الصورة ذات البعد الواحد التي قدَّمَها فريغه. ففريغه لم يراعِ الإشارات حين كتب «عن المعنى والإحالة» (On Sense and Reference) ولكنه في مقالةٍ أخرى تُسَمّى «الفكر» (The Thought)، ناقش الإشارات وعلّق على بعض مسائلها. ورغم محاولاته، فلم يبدأ فريغه في تصميم نظرية المعنى والإحالة في مقالة «عن المعنى والإحالة» وهو يُراعي احتياجات الإشارات، بل كان مهتمًا بالأساس باللغة الرياضية التي تُعَدُّ لغةً منفصلةً عن السياق. لذلك، جاءت أمثلته جميعها عن الأسماء والأوصاف منفصلة عن السياق، ويكفي أمثلته علم دلالة ذو بُعدٍ واحدٍ.

يوضّح كابلان أن ثمة نوعين من «التركيبيّة الدلالية» (semantic compositionality). فمعنى التعبير المعقد يعتمد على أجزائه بطريقتين: من خلال تركيبية الشخصية وتركيبية المحتوى. ولنأخذ مثالًا يوضح هذه النقطة. إذا كانت ملكة إنغلترا تقول «أنا حامل»، وثمة متحدِّثٌ آخر يقول «هي حامل»، فقد تغيَّر الإشاري هنا. فشخصية «أنا حامل»

مختلفة عن شخصية «هي حامل». ومع ذلك يظلّ المحتوى نفسه. فلا يعتمد المحتوى الخاص بكل شيء، وبالمضمون المُعبَّر عنه، على الشخصية الخاصة بالكلمات. وسيكون لدينا هنا نفس المحتوى ولكن بشخصية مختلفة، مع إنه ثمة حالات يكون لنفس الشخصية محتويات مختلفة. والاثنان ليسا مترابطين مع بعضهما البعض بطريقة مبسَّطَة، على الأقل ليس بالطريقة التي اقترَحَها فريغه. فثمة أنواع للتركيبيّة، لأن ثمة مستويين مختلفين للمعنى. والأنواع المختلفة للوحدة الدلالية يتم دمْجُها مع بعض لتشكيل تعابير معقدة.

تظهر هنا مسألة اصطلاحية: فقد يفترض أحدهم أن نظرية فريغه للمعنى تتشكَّل من مستويين بالمقارنة مع نظرية رَسِل ذات المستوى الواحد: مستوى الإحالة. فرَسِل يتعامل مع كل ما يخصُّ المعنى بما يتجاوز المستوى البسيط لإحالة الاسم بنظرية الأوصاف. فالتعبير البدائيّ بالنسبة له يعني ما يعنيه بحكم ما يسميه من أشياء. فتدل التعابير الإسنادية، في نظام رَسِل، على «حقائق عالمية» (universals) (فمستند «أحمر» يدل على عالمية اللون الأحمر). ويعدُّ علم الدلالة الرَسِلي هذا ذا بُعْدٍ واحدٍ لأن ثمة بالنهاية إحالات فقط. أما بنظرة فريغه، فلدينا المعنى والإحالة، لذلك يبدو من الصواب أن يفترض أحدهم أن نظريته ذات مستويين. ولكن هذا افتراضٌ غير مؤسَّس، لأن الإحالة، بحسب نظرة فريغه، غير متشكِّلَة من المعنى. ففي نظرية فريغه، المعنى هو المعنى. والإحالة خارج المعنى، ولذلك يمكن أن تكون الكلمات ذات معنى حتى وإن لم يكن ثمة إحالة. ورغم أن نظرية فريغه تُقرّ بوجود مستوى المعنى فوق الإحالة، لا تزال نظريته للمعنى من بُعْد واحد، لأن المعنى يقوم بكل المهمة. أمّا نظرية كابلان فيمكن وصْفُها أنها ذات مستويين أو ثلاثة مستويات، بناءً على كيفية فهم كل مستوى. فنظرية كابلان للمعنى لها مستويين -شخصية ومحتوى- وكلاهما يقابل الفكرة البديهية عمّا يقصده الشخص حين يقول جملة. وثمّة مستوى الإحالة أيضًا. فيمكننا هنا الحديث عن ثلاثة مستويات بنفس الروح التي تكون فيها نظرية فريغه بمستويين. فما هو مهمٌّ هو أن كابلان يقسّم معنى فريغه إلى مستويين، وبالتالي يُقدم مستوىً دلاليًا إضافيًا.

5.6 كاپلان عن «اليوم» و«الأمس»

أخيرًا يتكلم كاپلان قليلًا عن كلمتيّ «اليوم» (today) و«الأمس» (yesterday)، وسينتج عن نقاشه هذا مشكلة مخاتلة له في النهاية. لتفترض أنني قلتُ يومًا ما، «اليوم، السماء تمطر» (Today it is raining). فكيف سأقول غدًا نفس الشيء الذي قلته اليوم؟ لنفترض سأقول غدًا «اليوم، السماء تمطر»، فهل يا ترى قلت نفس الشيء كما قلته في اليوم السابق حين قلت «اليوم، السماء تمطر»؟ لنفترض أن اليوم الأول كان الثلاثاء: إذن فأول استخدام لـ«اليوم» يُحيل إلى «الثلاثاء» ويُحيل الاستخدام الثاني إلى «الأربعاء». إذن، لم أقل نفس الشيء؟ فقد أحلتُ إلى الثلاثاء في المثال الأول وإلى الأربعاء في المثال الثاني. ولا يُمكن لنفس الكلمة الإشارية الإحالة إلى نفس اليوم في أيام متعاقبة. وحتى نقول نفس الشيء يوم الأربعاء كما قلناه يوم الثلاثاء، فعلينا أن نقول «بالأمس، كانت السماء تمطر» (Yesterday it was raining).

فمن الواضح أنَّ الكلمتين «اليوم» و«الأمس» ليستا مترادفَتَيْن، بل لهما معنيان مختلفان حتى وإن كانا يُحيلان لنفس الشيء. مع ذلك، يمكن لتلك الجملتين، بالمعنى البديهيّ، أن تقولا نفس الشيء، مع إنهما لم تقولا نفس الشيء، بمعنى أنه ليس لهما نفس المعنى اللغوي، فليس لجملة «اليوم، السماء تمطر» وجملة «بالأمس، كانت السماء تمطر» نفس المعنى اللغوي. ومع هذا فإن كل جملة تقول نفس الشيء الذي تقوله الأخرى بناءً على سياق المتحدِّث. فباستخدام مصطلحات كاپلان، يمكن لجملتين بشخصيَّتَيْن مختلفتين أن تقولا نفس الشيء. ولكن ما الذي يجعلهما تقولان نفس الشيء؟ قد يقترح كاپلان أنها الإحالة التطابقية للمصطلحين. ولكننا وكما رأينا عدة مرات في السابق، لا يعني كون إحالة مصطلحين هي نفسها أنَّ لهما نفس المكون المضموني. فنحن نعرف مثلًا من اسميْ «هيسپيروس» و«فوسفوروس»، أن هذين الاسمين لا يقولان نفس الشيء. فإن قال شخصٌ «هيسپيروس كوكب»، فسيكون من الخطأ علينا أن نقول إنه قال «فوسفوروس كوكب». ولكن في حالة الإشاريات الخاصة بالأيام، سيكون من المهم استخدام كلمة («الأمس») ذات المعنى المختلف عن معنى كلمة («اليوم») لكي نقول نفس الشيء. فعلينا تغيير

المعنى لنحافظ على نفس ما قيل! وهنا شيءٌ غريبٌ، لأن معنى الكلمة قد تمَّ اقتطاعُه بصورة جذرية عمّا يُقال باستخدام الكلمة. فالسؤال القائم: هل يملك كابلان الموارد الكافية للقبض على هذه الفكرة لما يقال: هل هي شخصية أم هي محتوى؟ فلا يمكن أن تكون شخصية لأن الشخصيات مختلفة؛ ولكن كيف لها أن تكون محتوى إذا كان المحتوى هو مسألة إحالة؟ سنفصل في هذا الموضوع أكثر في الفصل القادم.

---

(36) المترجم: المقصد من «الاستبطان» (Intension) أي المفهوم الخاص والباطني بداخل الكلمة، فمفهوم كلمة «سفين» أي «المركبة التي تمخر البحر» (وهذا تعريف عام ومعنى باطني لكلمة «سفينة» لا يتغيّر). يقول المؤلف إن الاستبطان هو معنى الجملة الثابت. أما «المصداق» (extension) ويترجمه البعض إلى «الما صَدَق» أو «الامتداد»، فهو ما يصدق عليه ذلك المفهوم ويمتد إليه، فمفهوم «سفينة» يَصدُق وينطبق على «سفينة الشحن»، و«سفينة الركاب»، و«القارب»، و«العبَارة» إلخ، فمفهوم «سفينة» يمتد إلى تلك الأشياء ويشملها في المعنى. ولذلك، يقول المؤلف إنّ المصداق هو ما تحيل إليه الجملة وتنطبق عليه (وهذا يتنوع وله قيم صحة مختلفة).

(37) David Kaplan, «Demonstratives», in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 181.

(38) المترجم: يقصد المؤلف هنا أنه لا يقصد الإشارات «هو» و«هناك» حين تعود على كلمات سابقة في الجملة، ف«هو» في (واشترى هو ساندويتش هناك) تعود على «جون» و«هناك» تعود على «الأسواق»، لذلك لن يُضمّنها في «الإشارات» (indexical) لأنها «عوائد» (anaphors).

(39) Ibid., 187.

(40) Ibid.

إيڤانز وفهم أسماء الإشارة

6.1 النظرية الفريغية للإشارات

يستخدم كاپلان الإشاريات ليدحض نظرية فريغه الخاصة بالمعنى، فالفكرة الفريغية عن المعنى لا تنطبق على الإشاريات على وجه الخصوص. أما «غاريث إيڤانز» (Gareth Evans) فيُشَكِّك في هذه الخُلاصة، مؤمنًا بإمكانية تشييد تأويل فريغي وإيجاد نظرية تكون فيها الإشاريات متَّسِقَةً مع نظرية المعنى والإحالة. وهذه مفاجأة إذ إننا نعرف أنه ليس من الممكن القيام بذلك من خلال مساواة معنى الإشاري بمعنى الإشاري اللغوي المعهود (أي شخصيته)، فذلك المعنى لن يُحدِّد الإحالة. فيمكن لأشخاص مختلفين استخدام نفس الكلمة الإشارية بنفس المعنى وبالتالي يُنتجون إحالات مختلفة. فلا يمكن للمعنى أن يُعرَّف بالمعنى المعهود المعروف للكلمة الإشارية إنْ أردنا تقديم نظرية للإشاريات يُحدِّد فيها المعنى الإحالة. ولكي نشيّد نظرية فريغية للإشاريات، علينا أن نجد معنًى جديدًا للإشاريات يتجاوز المعنى المعروف، أي الشخصية الكاپلانية، فكيف سيبدو هذا المعنى؟

بما أن المعنى ليس الشخصية، فهل سيكون المحتوى؟ الإجابة لا أيضًا، فالمعنى ليس مطابقًا للمحتوى بحسب كاپلان، فالمعاني في نظام فريغه لا تُطابق الإحالات فنحن نجد معاني كثيرة تُقابل إحالة واحدة. كما إن المحتوى عند كاپلان مجرد مضمون مفرد، مُشكَّل من قبل الإحالة فقط. وعلى هذا فإنه من المحال أن يكون المعنى مطابقًا للإحالة، وإلا لوجدنا لكل معنى إحالة واحدة. وبما أن الشخص حين ينطق معنى الإشاريّ لن يكون معناه مطابقًا لا لشخصيّته ولا لمحتواه، فلن يكون ثمة شيء متبقٍ في نظام كاپلان يستطيع إيڤانز أن يساويه بالمعنى الفريغي.

من الإجابات المحتملة على الأسئلة السابقة القول إنَّ معنى الإشاري ليس الشخصية ولا المحتوى ولكنه الوصف الذي يدور بذهن المتحدث حين يستخدم الإشاري. وهذه إجابة مُقتبسة من نظرية الأوصاف

للأسماء. فحين يتم استخدام اسم علم، فمن الثابت أن يكون ذلك الاسم مُرادفًا للوصف الذي يحمله المتحدث في ذهنه، والذي ينطبق بصورة فريدة على حامل الاسم. فقد نستطيع أن نقدِّمَ، على نحوٍ مشابهٍ، نظريةَ أوصافٍ خاصةً بالإشاريات، مقترحين أنَّ المتحدث يحمل في ذهنه وصفًا مرادفًا لذلك الإشاري حين يستخدمه، وذلك الوصف ينطبق بصورة فريدة على شيء الإحالة.

لنفترض أنني أقول: «أنا فيلسوف»، ولنقترح تاليًا بأن الوصف الذي أحمله في ذهني هو «مؤلف النظرة الشخصية» (the author of The Subjective View)، فأنا مؤلف ذلك الكتاب. بالتالي، حين أستخدم كلمة «أنا»، فإن معناها -حسب نظرية الأوصاف الفريغية للإشاريات- يُعبَّر عنه بـ«مؤلف النظرة الشخصية». وحين تستخدم أنت، أيها القارئ، كلمة «أنا»، فلديك وصفٌ في ذهنك ينطبق بصورة فريدة عليك، وبالتالي تُحيل إلى نفسك بحكم ذلك الوصف الوسيط. وبنفس الحال مع نظرية الوصف الخاصة بالأسماء، سيكون المضمون المعبَّر عنه بجملة تحمل الصيغة «أنا فاء» (I am F) ممثَّلًا باستخدام المفهوم العام المعبَّر عنه بوصف معرَّف محدد. وسيعمل هذا المعنى الإشاري كاستبطان كلاسيكي في دلالة العوالم المحتملة.

كما يمكننا أيضًا أن نذهب بعيدًا ونطبّق نظرية رَسِل للأوصاف على الوصف المرتبط بالإشاري، وبالتالي ندمج نظرة فريغه بنظرة رَسِل. فيكون لدينا نظرية وصف خاصة بالمعنى للإيرادات المفردة للكلمة «أنا» التي تعتبر هذه الإيرادات مرادفة للمضامين ذات المحددات الكمية بحسب صيغة رَسِل. فحين أقول «أنا فيلسوف»، فإن ما أقوله هو أنّ «ثمة شخص موجود هو مؤلف النظرة الشخصية وثمة شخص واحد من هذا النوع، وهو فيلسوف». فلا يوجد إحالة مباشرة كابلانية كمحددات كمية أو مسانيد في إعادة الصياغة السابقة.

يستخدم إيڤانز بعض المصطلحات التي قد لا تبدو مألوفة لك أيها القارئ. فهو يُسمّي كلمة «أنا» التي تُقال في مناسبة معينة بـ«قطعة الكلمة» (token of the word). ويسمّي الكلمة «أنا» المألوفة لكل هذه القطع بـ«الكلمة النوع» (the word type). فأنا وأنت نستخدم الكلمة

النوع نفسها حين أقول «أنا» وتقول أنتَ «أنا»، ولكننا ننطق قطعتين مختلفتين من ذلك النوع. كما أنني حين أقول «أنا» في وقت معيّن، فإن «أنا» هذه قطعة مختلفة عن قولي «أنا» في وقت لاحق. فكل مقولة أقولها تتشكّل من قطعة من نفس النوع. فالقطع أحداث تقع في أوقات وأماكن منوعة، أما الأنواع فأكثر تجريدًا. تزعم نظرية فريغه للإشاريات بأن علينا تحليل قطع الإشاريات على أنها تعبّر عن معاني من النوع الفريغي، وبالتالي نساوي كلًّا من هذه القطع مع الأوصاف (على الأقل وفقًا للصيغة الأولى من النظرية الفريغية). فقد يكون الوصف ثابتًا من قطعة إلى قطعة، كما هي الحال مع قطع الأسماء في الجمل. وسنحاول أن نتقبّل الفكرة القائلة بأنه حين يقول شخصٌ آخر الكلمة «أنا» ويُحيل إلى شخص مختلف، غيري، فإننا سنحتاج إلى وصف مختلف بإحالة مختلفة. وسنستخلص من هذا أن الكلمة «أنا» غامضة، وفقًا لهذه النظرية، لأن لها معنى مختلفًا في كل مناسبة. وسيكون الأمر كحالة غرفة مليئة برجال جميعهم يحملون الاسم «جون سميث». فلا يوجد «جون سميث» مطابق لـ«جون سميث» آخر، وستكون كلمة «جون سميث» بالتالي بمعاني وإحالات متغيرة في هذه الغرفة المزدحمة بالرجال. ففي تلك الحالة، سيكون اسم «جون سميث» غامضًا، بنفس حالة غموض كلمة «أنا» ذات المعاني والإحالات المختلفة بحسب السياقات. فـ«النوع» (type) غامض، رغم أن للقطع معانيَ وإحالات محددة. وأيّ وصف معرّف لكل منها سيعطيني معنى القطع، فيما ستظلّ الكلمة النوع في حالة الغموض.

هذه فكرة محتملة عن كيفية التعامل مع الإشاريات بأسلوب فريغه، أيْ باقتراح نظرية أوصاف لمعنى قطع الإشاريات. وبها تتشكّل دلالة الإشاريات من ثلاثة عناصر: الشخصية والمحتوى والوصف الذي يقبض على المعنى أثناء قول الجملة، أي «معنى القطعة» (token sense). فلن تكون الإشاريات بحسب هذه الصورة إحالات مباشرة. فالكلمة مرادفة للوصف، وللوصف استبطان يعتمد على السياق والذي بدوره سيُحدّد ما إذا كان ثمة أشخاص مختلفون يستخدمون نفس الكلمة النوع ويربطونها بأوصاف مختلفة. وستقوم الأوصاف بدورها بتحديد ما تُحيل إليه. أما الكلمة، فسيكون لها نفس المعنى المعروف (الشخصية) في

مختلف الاستخدامات، رغم تغيُّر المعنى من سياقٍ لآخر. وبهذا لن يكون من الممكن الاستغناء عن الشخصية مع إدخال معنى جديد، بل سيكون لدينا شخصية ومعنى وإحالة في نظريتنا الدلالية النهائية.

إن المؤلف الذي ينتقده إيڤانز هنا هو «جون پيري» (John Perry)، إذ يفترض جون پيري أنَّ النظرية التي أوضحناها قبل قليل هي النموذج الفريغي الصحيح، ويرى أنها نوع معين من نظرية الوصف الخاصة بالمعنى. وقد ردَّ إيڤانز على پيري بأنه قد أغفل نوعًا مختلفًا من نظرية فريغه، تلك النظرية غير المبنيّة على الأوصاف المعرفة. فإيڤانز يعتقد أنَّ ثمة طرقًا مختلفةً للتفكير في المعنى غير التفكير الوصفيّ، وكل هذه الطرق فريغية بنحوٍ مماثلٍ. يحتج إيڤانز هنا بأن المعنى ليس معنىً وصفيًّا، وبهذا يتَّفِق مع پيري بأن نظرية الوصف لمعنى الإشاريات فكرة غير معقولة. فليس من الجذّاب أن نفترض أنه في أذهان المتحدّثين أوصاف تعريفية فريدة حين يستخدمون هذه المصطلحات. كما أنه ليس من المُغري أن نعتقد بانعدام دور السياق التامّ في تحديد الإحالة. وقد قدَّمَ لنا پيري في هذا المضمار حجة برّاقة ضد هذا النوع من المواقف، سنستعرضها فيما يلي.

6.2 فكرة الإشارية

يمكن فهم فكرة وجوهر «الإشارية» (indexicality) باعتبار نوعين من الأمثلة: «الأمثلة المرآتية» (mirror examples) و«الأمثلة النسّائية» (amnesia examples). لننظر في الأمثلة المرآتية أولًا. لتفرض بأنك تقعد مكانك في مطعم ورأيت انعكاسًا لرجل وامرأة في المرآة التي أمامك، وقلت في نفسك الانطباع التالي عن الشخص الماثل في المرآة: «ذلك الشخص جميلٌ جدًّا». ربما يكون لديك مرئيات أخرى عن ذلك الشخص الماثل في المرآة كأن تقول إنه يبدو راضيًا عن نفسه. ورغم أنَّ ما سَيلي سيبدو مستبعدًا لديك، إلا أنه من المتوقع أنَّ الشخص الماثل في المرآة هو أنت، ولكنك لم تُدرِك لثانيةٍ أو ثانيَتَيْن بأنَّه أنت. وقد صُعِقْتُ على نحوٍ مفاجئٍ بهذا الإدراك: «أوه، إنه أنا ذلك الشخص الذي أراه». لقد أحلْتَ إلى نفسِكَ دون إدراكٍ منك، وهذا يخبرنا بأنك حين تُحيل إلى نفسك بـ«أنا»،

فلا يمكن أن يكون من خلال أنواع الأوصاف التي تنطَبِق عليك في انعاكسة المرآة، لأنه سيتعيّن عليك حينها أن تدرك صحّة جملة «أنا الشخص الماثل في المرآة». فلا يمكن لكلمة «أنا» أن «تعني» تلك الأوصاف. فاكتشاف صحَّة جملة «أنك الشخص الماثل في المرآة» أمرٌ تثقيفيٌّ، ولا يمكن أن يكون حشوًا، ولو كان حشوًا لكانت «أنا» (تلك القطعة) مرادفة لـ«الشخص الماثل في المرآة». وسيكون أيّ وصفٍ تقريبًا من ذلك النوع حين تكتشف أنك أنت الشخص الموصوف.

أمّا المثال الآخر والأكثر تطرُّفًا والذي يجعل هذه الفكرة أوضح بكثيرٍ فهو «المثال النسّائي». تخيّل رجلًا تعرَّضَ لإصابة في رأسه، وحين استيقظ لم يستطع تذكُّر شيءٍ أبدًا. سأفترض بأنني ذلك الشخص سيء الحظّ. وحينها، سيسألني الطبيب «أين تعيش؟» و«ما اسمك؟»، ولن أعرف شيئًا فأنا لا أستطيع التذكُّر. إنني لا أستطيع تذكُّر أيّ معلومة عن نفسي وقد أقول «لا أستطيع تذكُّر أيَّ شيءٍ عنِّي» مع أنني أُحيل إلى نفسي بنجاح. فها أنا ذا في المستشفى ولا أعرف عن تاريخي الماضي، وربما أبدأ بقراءة كتابٍ بعنوان «**النظرة الشخصية**». وبينما أنا أقرأ قد أقول لنفسي «إن مؤلف النظرة الشخصية ليس بذلك الفيلسوف». وحين أُخْبِر الطبيب برأيي هذا، يبتسم ابتسامةً عريضةً ويقول «إنك أنت مؤلف النظرة الشخصية». لقد حققتُ هنا اكتشافًا كبيرًا، واستوضحت أنَّ «أنا» التي تخرج من فمي لا تعني «مؤلف النظرة الشخصية». ويمكننا أن نتوقّع ذلك لأنني نجحتُ في الإحالة إلى نفسي بـ«أنا» حتى وإن كنت أعاني من فقدان الذاكرة. فلا يمكن أن أنجح في صنع هذه الإحالة عني كشخص بحكم معرفة أوصاف حقيقية عن نفسي. فأنا بلا شك لا أُحيل إلى نفسي بكلمة «أنا» من خلال معرفة أعمالي الشهيرة والحقائق المعروفة عني.

يُقدم لنا پيري هذه الحجَّة ويتّفق إيڤانز معه فيها، ويمكننا تسمية هذا الملخّص بـ«عدم إمكانية الاستغناء عن الإشاري أنا» (the indispensability of the indexical I) أو بـ«الإشاري الجوهري» (the essential indexical). فالفكرة تقول إن كلمة «أنا» لا يمكن انتزاعها من اللغة واستبدالها بأوصاف، لأن الجمل الإشارية تعبر عن أنواع من المضامين تختلف عن الجمل غير الإشارية (كالجمل التي تتضمن أوصافًا

نستخدمها في الأمثلة المرآتية والنسّائية). لذلك، يتفق إيڤانز مع پيري بأن الأوصاف لا تعمل على إعطاء معنى الإشاري بسبب هذه الحجَّة بعينها. فإن كان للإشاريات معنى، فلا يمكن أن يكون المعنى هو الوصف. ولكن ما هي الأنواع الأخرى للمعنى إذن؟

6.3 نظرية إيڤانز عن معنى وإحالة الإشاريات

بما أن إيڤانز يتَّفِق مع هذه الفكرة، فقد نتساءل عن إمكانية صناعة نظرية فريغية عن معنى الإشاريات. فلا يمكن أن يكون المعنى شيئًا آخر فيما عدا أن يكون نوعًا من المفاهيم الوصفية. كما أننا قد شرحنا كيف أن معنى الإشاري لا يمكن أن يكون شخصية أو إحالة، ووجدنا الآن أنَّه لا يمكن أن يكون وصفًا أيضًا. ولمقاربة هذا السؤال، يُخبرنا إيڤانز عمّا يعتقده عن شكل نظرية المعنى. بعبارة أخرى، سيخبرنا عن كيفية ارتباط المعنى بالإحالة، وسيقضي الجزء الأول من ورقته في الحديث عن هذه العلاقة. لهذا، سننظر أولًا في تصوره عن نظرية الإحالة، ثم سنشرح نظريته عن المعنى، وأخيرًا سنبيّن كيف يرى علاقة الاثنين ببعضهما. وحينها يمكننا أن نناقش ما إذا كانت هذه النظرية تنطبق عمومًا على الإشاريات أم لا.

من المهم معرفته أولًا أنَّ النظرية الدلالية مُؤسَّسة على نظرية الإحالة. ونظرية الإحالة هي تعيين إحالة لكل تعبيرٍ ذي معنى في اللغة. ونحن نعرف أنَّ موقف فريغه عن «تعيين الإحالة» (assignment of reference) من جزئين. الجزء الأول أنه إذا كان التعبير اسم علم، فسيتم تعيين الشيء كإحالة، وقد تكون أسماء العلم، عند فريغه، أسماء عادية أو أوصاف معرَّفة أو حتى جمل كاملة. فستُعيَّن الأشياء العادية كإحالات للمصطلحات المفردة العادية وستُعيَّن قيَم الصحة كإحالات للجُمَل. أما الجزء الثاني من النظرية، فيُعيّن فيه فريغه المفاهيم كإحالات للتعابير الإسنادية. فالمفهوم في نظام فريغه وظيفة من الأشياء إلى قيَم الصحة. وبهذا يُقابل المفهوم في جملة «سقراط رجل» كلمة «رجل»، ويَكُوْنُ «المكوّنُ» (argument) إحالةً لـ«سقراط». فحين تطبّق ذلك المفهوم على المكوّن، تكون قيمة الوظيفة لذلك المكوّن «صحيحة» (وهو شيء عند

فريغه). وستكون قيمة الوظيفة «خاطئة» إنْ أدرجنا المكوّن «كليوپاترا» في الوظيفة، لأن كليوپاترا ليست رجلًا. فوظيفة الصحة وظيفة من قيم صحة إلى قيم صحة. وستظل «التوصيلات» (connectives) والمسانيد ثابتة من الناحية المنطقية، لأنهما يطبقان الأشياء على قيم صحة. وبما أن قيم الصحة أشياء، فإنها ستعمل كمكوّنات للوظائف في قيم الصحة. بالتالي، يكون، في نظام فريغه، تعيين أشياء للمصطلحات المفردة الكاملة، حيث تكون المصطلحات المفردة الكاملة أسماء علم أو أوصاف معرّفة أو جمل كاملة، وسيكون ثمة أيضًا تعيين إحالات للتعابير غير الكاملة، كالمسانيد وتوصيلات الجمل، والتي تُعَدّ مفاهيم معيّنة. بقي لدينا تعابير محددات الكمية، وهذه تُصنّف على أنها مفاهيم تعيينية من الدرجة الثانية، بما أنها تُطبّق المفاهيم ذات الدرجة الأولى على قيم الصحة. فالفكرة العامة هي أن نظرية الإحالة في أنموذج فريغه هي تعيين إحالة لكل تعبير في لغة ذات قيمة دلالية. فالنظر إلى فكرة الإحالة يكون بطريقة عامة، وبما يترافق مع شروط صحة الجملة.

والهدف مما سبق جعل نظام فريغه نظريةً لفَهْم المتحدّث، لا شروط صحة الجملة فحسب. فالحاجة لنظرية معنى تفسّر كيف «نستوعب» الإحالات تكون بحاجة لنظرية عن الكيفية التي تسبق بها الإحالات العقل فيتم تمثيلها فيه. فالمعنى، كما يخبرنا فريغه، «طريقة تمثيل» (mode of representation)، وطريقة التمثيل علاقة بين الشيء في العالم والشخص الذي يُقدِّم الإحالة، فهي إذن طريقة يُعرَض بها الشيء على عقل الشخص. أما الطريقة التي يشرح بها إيڤانز فكرته هذه فهي أن المعنى «طريقة تفكير» (way of thinking) عن الإحالة: فليست المسألة كيفية تقديم الإحالة نفسها إليّ، ولكن كيفية تفكيري بها وكيفية دخولها في أفكاري.

إن فكرة إيڤانز فيما يخصّ هذا الجزء المحدَّد عن نظرية المعنى الفريغية لا تنصُ على أيّ شيء يتعلّق بكون المعاني أوصافًا. فقد أوضحنا -وبصورة مجرّدة- بأن المعاني طرق نستخدمها لاستيعاب الأشياء. فسواءٌ كانت هذه الطرق أوصافًا أمْ لا، فذلك أمر غير مهم بالنسبة لنا إذْ هو

سؤالٌ مختلفٌ تماماً. ففكرة المعنى وما هو مبني عليها تقول إنَّ المعنى شيءٌ يُقدِم الإحالة.

يُعنى السؤال التالي بكيفية تحديد ماهية المعنى. فقد عرفنا الآن من استطلاعاتنا عن أبحاث فريغه بأن المعاني مختلفة عن الإحالات، ولكننا لم نؤسِّس بعد كيفية تحديدها. كما أنَّ فريغه نفسه لم يقل الكثير عن هذا السؤال، إذ تبدو المعاني الفريغية أكثر مراوغةً بذاتها (هل تستطيع الإحالة إليها، أو تطأ عليها بقَدَمِك أو تتحقّق منها من زاويا مختلفة؟). لهذا يرى إيڤانز أن تحديد معنى التعبير يتمّ بتحديد ماهية إحالة ذلك التعبير. ولتفرض بأننا نريد إعطاء معنى لكلمة «هيسپيروس». يرى إيڤانز أنّه يمكننا إعطاء معنى لهذه الكلمة بقول «إحالة هيسپيروس = هيسپيروس». فهذا سيعطينا بلا شك إحالة الاسم، وبالتالي ستكون الجملة صحيحة. قارن تلك الجملة مع الجملة التالية: «إحالة هيسپيروس هي فوسفوروس». هل تلك الجملة صحيحة أم لا؟ إنها صحيحة أيضًا، لأن هيسپيروس هو فوسفوروس. لذلك يزعم إيڤانز أنَّ كلا الجملتين تحددان ماهية إحالة «هيسپيروس» بصورة صحيحة ولكن أحدهما فقط يحدد المعنى. فجملة «إحالة هيسپيروس = هيسپيروس» تحدد المعنى، بينما لا تحدده جملة «إحالة هيسپيروس هي فوسفوروس»، على الرغم من أن كلا الجملتين تحددان نفس الإحالة. بهذا تكون الجملة الأولى مثالًا على ما يسمّيه إيڤانز بـ«تعيين الإحالة التي تحدد المعنى» (sense-specifying reference assignment)، فهي تعطي المعنى بتحديد إحالتها، مع إنه ليس كل جمل الإحالة تنجح في إعطاء المعنى.

تقول فكرة إيڤانز إنه يمكننا تحديد معنى اسم معين بقول ماهية إحالته، ما دمنا نستطيع استخدام النوع الصحيح من «عزو الإحالة» (ascription of reference). ففي الجملة الثانية، قلنا الإحالة ولكن لم نحدد المعنى. فالطريقة الصحيحة لتوضيح الإحالة إنْ أردنا تحديد المعنى تكون باستخدام «مرادف» الاسم الذي نتحدث عنه، وإن لم يصرّح إيڤانز بهذا. فيمكن توضيح الإحالة بطريقتين مختلفتين: باستخدام الاسم بنفس المعنى للاسم المذكور، أو باستخدام الاسم بمعنى مختلف،

أي باستخدام الاسم المرادف أو الاسم غير المرادف. وفقط بالطريقة الأولى يتم تحديد المعنى. وفي ضوء ذلك، يؤكّد إيفانز أنَّ المعاني يتم تحديدها «فقط» بتعيين الإحالات، ولكن ليس كل طريقة لتعيين الإحالة تُعطي المعنى. كما أننا لا نقول هنا إنَّ المعاني مفاهيم وصفية، فالمعنى طريقة تفكير عن الشيء، وليس ثمة طريقة لتحديد المعنى إلا بالحديث عن الشيء.

لاحِظْ أننا بهذه الطريقة في صياغة تحديدات المعنى، لا نقول إنَّ «معنى هيسپيروس هو كذا وكذا». يجب علينا أثناء تحديد ماهية المعنى تحديد ماهية الإحالة، فليس ثمة طريقة لتحديد المعنى «بصورة مباشرة». فنحن لا نتكلم «عن» المعاني حين نحدّدها. فإنْ قلنا «إحالة هيسپيروس هي هيسپيروس» ونقصد أنْ نعبّر عن معنى الاسم، فإننا لم نَقُل شيئًا بصورة مباشرة عن معنى «هيسپيروس» نفسه. وهذا مختلفٌ عن قولنا بأن معنى الكلمة «أعزب» (bachelor) يُعطَى من خلال معنى الكلمات «ذكر غير متزوّج» (unmarried male). ففي نظرية إيفانز، لا يمكن تحديد معنى الكلمة بإعطاء معنى كلمة أخرى. لذلك، يستعين – عند هذه النقطة- باقتراح «مايكل دَميت» (Michael Dummett) الذي يتضمَّن استخدام تفرقة فتينغشتاين، أي التفرقة بين «القول» (saying) و«العرض» (showing). وهذه التفرقة عند فتينغشتاين هي مسألة «التباس» (obscurity)، فلن نغطّيها هنا بالتفصيل. فثمة بالأساس فكرة بديهية تضع القول إزاء العرض وسنبينها في الأمثلة القادمة.

6.4 القول والعرض

تخيّل شخصًا يُخفي قلمًا خلف ظهره، وقد يقول «لدي قلمٌ في يدي»، أو قد يكتفي بأن يكشف يدَهُ ويعرض القلم مطروحًا على أصابعه. سينبو إلى علمِكَ بكلا الطريقتين أنَّ ذلك الشخص يحمل قلمًا في يده، رغم أن الشخص لم يَقُلْ شيئًا أبدًا عن القلم أثناء إشارته العارضة، فقد اكتفى بعرْضِه عليك. وقد اكتسبتَ كمشاهد لذلك العرض معرفةً دون تدخُّل اللغة. يستخدم إيفانز هذه الفكرة البديهية العامة لفتينغشتاين عن

القول والعرض بالطريقة التي أوضحناها في المثال البسيط السابق. فيزعم بأن مقاطع الإحالة تقول ماهية الإحالة، وتعرض ماهية المعنى، دون التصريح بذلك بصورة مباشرة. ففي مثال القلم، عرفتَ شيئًا دون التواصل مع حامل القلم بصورة لفظية. ومن المفترض من المقاطع الإحالية أن تعرض -بنفس الطريقة- معنى «هيسپيروس» دون أن تقول ما معنى «هيسپيروس» لفظيًا. وهذا المثال يُشبه أيضًا أمنيتي بأنْ أوُصِلَ إليك فكرة بأنَّ إنغليزيّ الأصل، فمن خلال فتح فمي والتحدث أمامك بلهجة إنغليزية دون أنْ «أقول» «أنا إنغليزي» أستطيع أن أوصل الفكرة إليك دون أن أصرّح بها بما أعبّر به من كلمات.

يزعم إيڤانز بأنه ليس من الممكن قول ماهية المعاني بصورة مباشرة، فالممكن فقط عرض ماهية المعاني، وله سبب وجيه في ذلك: فمن الصعوبة أن ترى كيف يمكن لفريغه أن يحدّد ماهية المعنى بصورة مستقلة عن إحالة تعبير معين. وهذه التفرقة بين القول والعرض تُنقِذ فريغه فلا يُحاصَر في زاوية نظرية ضيقة. فهي توضِّح معنى مراوغة المعنى، أو على الأقل تحاول فِعْلَ ذلك. فالمعاني تنتمي إلى عالم ما يمكن عرضُه لا ما يمكن قولُه.

الفكرة الثانية التي يريد إيڤانز إيصالها عن المعنى تنبع من الفكرة الأولى وهي أن معنى التعابير «معتمد على الإحالة» (reference dependent). وبما أن طريقة قول الإحالة هي طريقة تفكير عن المعنى، فسيتطلَّب التعبير ذو المعنى إحالة. فليس من الممكن -بحسب إيڤانز- إعطاء مقطع يحدِّد معنى «هيسپيروس» ما لم يكن ثمة شيء يمثّل هيسپيروس. فبقولنا «إحالة هيسپيروس = هيسپيروس»، نفترض مسبقًا أنَّ ثمة شيئًا يمثّل هيسپيروس، فنحن نستخدم الاسم «هيسپيروس» للإحالة إلى هيسپيروس، وبالتالي نفترض وجوده. على هذا، تفترض طريقة تحديد المعنى عند إيڤانز وجود الإحالة مسبقًا. ولهذا يرى أنَّه لا يمكن أن يكون ثمّة معاني دون إحالات، فالمعاني تعتمد أنطولوجيًا على الإحالات. ونستذكر الآن أنَّ هذه الفكرة الخاصة باعتماد الإحالات مقتَبَسَة من رَسِل، فهي فكرة تقول إنَّ بعض التعابير لها معنى يعتمد على الحقيقة القائلة إنَّ التعبير يُحيل فِعليًا إلى شيء. فمعنى الاسم -بحسب نظرية

رَسِل- هو الشيء الفعليّ المسمّى. فإن لم يكن ثمّة شيء، فليس ثمّة معنى. لذلك، يحتجّ إيفانز -على طريقة رَسِل- قائلًا إن معانيَ الأسماء معتمدةٌ على الإحالات. ولهذا يسمّي هذه المصطلحات بـ«الرَسِلية» (Russellian). فلا يمكن أن يكون ثمة معنى لهذه المصطلحات الرَسِلية بلا إحالة. فللأسماء مقاصد ومعاني تعتمد على امتلاكها لإحالة موجودة.

الفكرة التالية التي يطرحها إيفانز تقول: رغم أنه ثمة معانٍ تعتمد على الإحالات، كما يتصوّر رَسِل، إلا أنه يمكن أن يكون للأسماء معانٍ مختلفة وإحالة واحدة. فالمعنى معتمد على الإحالة، ولا يعني ذلك بأنه مطابق مطابقةً وثيقةً للإحالة. فيمكن أن يكون ثمة تنوّع في المعنى بين اسمين ثنائيّ الإحالة ليسا من النوعية الرَسِلية. ففريغه سيقول إنَّ لـ«هيسپيروس» و«فوسفوروس» معاني مختلفة، وأن المعنى لا يعتمد على الإحالة. وسيقول إيفانز في المقابل بأنه لهذين الاسمين معنيان مختلفان، ويعتمد معناهما على الإحالة. فلا يمكن أن يكون ثمة معنى دون إحالة (لذلك هما من النوعية الرَسِلية)، والمعنى هنا شيء فوق الإحالة وليس مطابقًا للإحالة (ولذلك هما من النوعية الفريغية). ففي علم الدلالة الخاص بإيفانز، يمكن للأسماء أن تكون فريغية ورَسِلية في نفس الوقت. فلا يمكن اختزال المعنى في الحامل، إذ يعتمد على الحامل. إن إيفانز بهذا القول يحاول استيعاب المرئيات التي يقولها رَسِل عن الأسماء بينما يحاول أيضًا أن يجيب على ما يُقْلِق فريغه بشأن جمل التطابق.

6.5 المعنى الزائف

إن كان لا يمكن للأسماء أن تحمل معانيَ ما لم يكن لها إحالات، فماذا عن «الأسماء الفارغة» (empty names)؟ يرى إيفانز أنَّ فريغه -بخلاف ما يظهر لنا- لا يؤمنَ أبدًا بأنَّ من الممكن أن يكون ثمّة معنى بلا إحالة. ويعزو إيفانز هذا الموقف إلى فريغه بناءً على ما يقوله عن «الأسماء الخيالية» (fictional names). فاسم خيالي كـ«شيرلوك هولمز» (Sherlock Holmes) يبدو بأنَّ له معنى، وبالتالي يرد في جمل ذات معاني. مع ذلك، فليس لهذا الاسم الخيالي إحالة، فلا يعتمد معناه -كما يظهر- على الإحالة. وهذه خلاصة لا يقبلها إيفانز. فهو يُحاول أن يُعطي دليلًا

نصيًّا لدعم تأويله لفريغه. ففريغه يقول: «على الرجل المنطقي ألا يهتم بالأفكار المزيفة، وليكن كحال الفيزيائي الذي يبدأ التحقُّق من الرعد ولا يُولي اهتمامًا بالرعد المزيف. فنحنُ حين نتحدّث عن الأفكار فيما يلي، نقصد الأفكار السليمة، الأفكار التي تكون إمّا صحيحة أو خاطئة». يدافع إيڤانز عن هذه الفكرة بأن معنى الاسم الخيالي الفارغ معيبٌ لأن هذه الأسماء لها شبه معاني، أي «معنى زائف» (mock sense). لهذا، يقترح قرن الأسماء الفارغة بـ«الغموض» (vagueness)، وقد طرح فريغه هذه الفكرة المعيبة حول الغموض. فالمسند «أصلع» قد يوضّح أنَّ شخصًا يفتقر إلى الشَّعْر، ولكنه لا يوضح مسألة حدود وكمية الشَّعْر التي يجب على الإنسان أن يمتلكها ليصبح مؤهلًا لوصف «أصلع». يرى فريغه بأن مثل هذه المسانيد الغامضة تفتقر لمعاني أصلية. وبما أن ثمّة حدود للصلع، فثمة جُمَل تحمل كلمة «أصلع» يمكن ألا تكون صحيحةً ولا خاطئةً. مع ذلك، فلا يمكن للجمل بحسب نظام فريغه أن تعبّر عن فكرة ليست صحيحة ولا خاطئة. فقد سبق فريغه وأصرَّ على أن «المسانيد الغامضة» (vague predicates) تفتقر إلى المعنى. فـ«الجمل الغامضة» (vague sentences) تُعبِّر عن شبه معنى، لا عن معنى علميّ سليم. فلا يمكن أن يكون ثمة مسانيد غامضة في العلوم (كعلوم الرياضات والفيزياء). فالغموض عيبٌ من عيوب اللغات الطبيعية.

بهذا، يفرّق فريغه بين الكلمات ذات المعنى العلمي السليم والكلمات التي تفتقر لمعنى علمي سليم. فيقول إنَّ المسند الغامض قد **يبدو** أنَّ له معنى سليمًا، ولكنه لا يملك ذلك المعنى حين نتحقّق منه منطقيًّا. وعلى نحوٍ مشابهٍ، يرى إيڤانز أنَّ الاسم الخياليّ قد يكون له هذا النوع من المعنى المتدرّج، وليس له معنى سليم صارم. وبهذا يوضِّح إيڤانز موقفه فيقول إنّ كل المعاني السليمة معتمدة على الإحالة، أمّا المعاني الزائفة غير السليمة فلا تعتمد على الإحالة (وبالتالي، فليس للأسماء الخيالية معنى حقيقيّ). إذن، ثمة تفرقة تصنيفيّة بين نوعين من المعنى. ثمّة المعنى الأصليّ غير الهرائي، وثمة المعنى المزيف المخادع. يرى إيڤانز أنَّ فريغه يملك الموارد الكافية للجزم بأن «معنى من الدرجة العليا» (upper-class sense) معتمد على الإحالة، وأن معنى «التعابير من الدرجة الدنيا»

(lower-class expression) مستقلٌ عن الإحالة. وبذلك ستكون المعاني المفترضة للأسماء الفارغة معاني من الدرجة الدنيا، أي إنَّه معاني غير مسؤولة وغير مهتمة بالإحالات.

6.6 الأسماء الفارغة

لقد تباين الفلاسفة في نظراتهم حول الأسماء الفارغة ولا يزال السؤال عنها محيّرًا. فلتقبل كمسلّمة بأنه لا يوجد ثمة إلهٌ يُدْعَى «زيوس» (Zeus)، أي إنَّ جملة «زيوس غير موجود» صحيحة. فماذا عسانا سنقول عن معنى ذلك الاسم؟ إن النظرة الصارمة للفيلسوف مِل تؤكّد أنَّ للاسم معنى فقط إذا كان له إحالة، وبالتالي لن يكون للاسم «زيوس» في ذلك المثال معنى. وفي الواقع أنه لا يمكن له أنْ يكون اسمًا ما دام يفتقر إلى الإحالة، لأن ذلك سيجعله بلا معنى. ولكن، إن كان ذلك الاسم يفتقر إلى المعنى، فيجب أن تكون الجمل الحاوية لذلك الاسم بلا معنى أيضًا، وهذا سيجعل جملة «زيوس غير موجود» بلا معنى، بدلًا من أن تكون صحيحة.

النظرة الثانية تقول إنَّ لـ«زيوس» معنى وذلك المعنى متضمَّنٌ في وصف معرَّف مرادف. فمعنى الاسم الفارغ، بالتالي، غير مختلف عن معنى اسم الشيء غير الموجود. فيمكننا أن نعطي الاسم «زيوس» وصف «أقوى الآلهة الأغريقية»، وبالتالي، لن يكون معنى الاسم أكثر فراغًا من معنى الاسم المعرَّف بـ«أقوى رجل في وول ستريت».

كما أنه ثمة احتمالية ثالثة، ذكرناها سلفًا، ترى بأن الاسم الفارغ له نوعٌ من المعنى، ولكنه معنى زائف أو ظاهر. وهذا سيكون كحال رجلٌ مُدَّعٍ ومتظاهر بأنه شخصية مهمّة وليس بذلك، ولكنه يجيد الاستعراض والتظاهر. فللاسم معنى التظاهر والإيهام.

بل إنَّ ثمة احتمالية رابعة تقول إنَّ «زيوس» يفتقر لإحالة موجودة، ولكنها إحالة «متواجدة» كما يدَّعي مينونغ. فالاسم «زيوس» يعني أقوى الآلهة الإغريقية، فرغم أن هذا الكائن غير موجود، إلا أنه متواجد. فمعنى الاسم قد يتشكّل من هذه الإحالة التواجديّة المضلِّلَة. وهذه هي نظرية الأسماء الفارغة الخاصّة بـمِل ومينونغ.

لكل من هذه النظريات إيجابيّاتها وسلبيّاتها. فنظرة مِل، رغم جمالها وبساطتها، تُعْطي جملًا صحيحةً تظهر على أنها بلا معنى. ونظرية الوصف تُنْقِذ المعنى للأسماء الفارغة ولكنها تواجِه اعتراضات كنظريّة عامة للأسماء. أما نظرة مينونغ فتقدّم نظرية ناعمة وشاملة، ولكن فكرة الأنطولوجيا تدفع الكثيرين إلى عدم هضمها. كما تبدو نظرية المعنى التظاهُري معقولة للجُمَل الخيالية كـ«زيوس صرع السايكلوبس» (Zeus smote the Cyclops)، فهي ليست جزءًا من الخطاب الواقعي، ولكن أليست حقيقة علمية بحتة أن نقول إنَّ جملة «زيوس غير موجود» صحيحة؟ إن الفكرة المعبَّر عنها هنا ليست نوعًا من الفكر الزائف المضلّل المفتقر لقيمة صحة ولكنها فكرة صحيحة بصورة مباشرة، ولكن كيف يمكن أن يكون لـ«زيوس» معنى زائف؟ لقد قدّم إيڤانز مقاربة أخرى للأسماء الفارغة، مع ذلك يظلّ من الصعوبة رؤية كيف تقوم تلك المقاربة بالقبض على الأمثلة اللغوية بدِقَّة.

6.7 نظرات إيڤانز عن الأسماء

في الجزء الثاني من ورقته، يبدأ إيڤانز الدفاع عن الفكرة القائلة إنَّ أسماء العلم رَسِلية. فيكتب ما يلي:

> بالتالي، وبالتصوّر الحالي، فإن معنى المصطلح المفرد هو طريقة تفكير عن شيء معين: شيء لا يمكن بوضوح أنْ يوجد إن لم يوجَد ذلك الشيء المفكّر عنه[41].

يؤكد إيڤانز هنا بأنه إن كان المعنى طريقة تفكير عن شيء، فلا يمكن أن يكون ثمة معنى دون وجود ذلك الشيء. فلننظر أوّلًا في هذا التأكيد وتطبيقاته على التصوّر. لنفترض أنني رأيت بناظريَّ شيئًا معينًا، لتقل، قلمًا. فحالة رؤيتي ستُحدَّد من خلال قول الشيء الذي أراه: «يرى كولِن مَكغين ذلك القلم». في هذه الحالة، تمت الإحالة إلى الشيء المرئي أثناء وصف حالة رؤيتي. فحالة رؤيتي هي طريقة لرؤية ذلك القلم. وقد يكون لديك طريقة أخرى لرؤية القلم لأن لديك زاوية نظر مختلفة، ولكننا جميعًا نرى نفس القلم. فهل من الضروري جدًّا أن يكون القلم هناك

حتى يكون لديَّ طريقة لرؤيته؟ ماذا لو كنت أهلوس بوجود قلم؟ ألست أتمتّع بحالة رؤية أيضًا -طريقة رؤية- حتى وإن لم يكن ثمّة شيء؟

كيف سنصف حالة رؤية شخص يهلْوِس بوجود قلم؟ بلا شك، لن تكون بقول «يرى ذلك القلم» فهذا يقتضي سلفًا بأنّه ثمة قلم. قد نقول بدلًا عن ذلك شيئًا من قبيل «يظهر له أن ثمة قلمًا أمامه». وهذا النوع من الجمل لا يُلزمنا بافتراض أن ثمة بالفعل قلمًا أمام الشخص الذي يهلوس بوجوده. فليس ثمة إحالة إلى أيّ قلمٍ فِعْليٍّ هنا. بالتالي، يمكننا عزو المحتوى المرئيّ إليه دون تحديد إحالة لذلك المحتوى المرئي. وهذا من حُسْن حظِّنا، فليس ثمة إحالة من هذا النوع.

عمومًا، لا يصحُّ قولُنا إنّ طريقة رؤية الشيء توجد فقط إذا وُجِدَ الشيء. فثمة طرائق عرض للأشياء دون وجود تلك الأشياء. لذلك، فإن حُجَّة إيڤانز القائلة إنَّ ثمة معانيَ تعتمد على الإحالة هي حُجَّة لا تسلم من المشاكل. ولنتأمّل وصفًا معرّفًا مألوفًا، لنقل «ملكة إنغلترا». يمكن تحديد معنى ذلك الوصف كطريقة إحالة إلى شيء. فهو في فِكْر أحدهم طريقة تفكير عن الشيء (تفكير عن إليزابيث الثانية كملكة لإنغلترا). مع ذلك، لا يرى إيڤانز أنَّ «الأوصاف» معتمدة على الإحالات، لأنه من الواضح أنَّ ثمة تعابير ذات معنى كـ«ملكة إنغلترا» دون أن «يكون» ثمة ملكة لإنغلترا. فمثلًا، يتّفق إيڤانز مع أنَّ «ملك فرنسا» وصفٌ ذو معنى مُحمَّلٌ بمعنى بصورة كاملة، حتى وإن لم يكن ثمة إحالة لذلك الوصف. وستفترض حجة إيڤانز بالتالي هنا بأنه ما دام معنى الوصف هو طريقة تفكير في الشيء، فيجب أن يكون ثمة شيء موجود يمكن التفكير فيه. ولكن من التناقض أن نقول إنه كلما كانت ثمة طريقة تفكير، كان ثمة شيء مُفَكَّر فيه. فمن الواضح أن ثمة طرائق رسم لوحوش أسطورية، وذلك لا يقتضي أنَّ ثمة وحوشًا أسطوريةً تمّ رسْمُها. ولم يُوَضِّح إيڤانز كيف أن المعاني معتمدةٌ على الإحالة وكيف أنها رَسِلية بسبب ذلك.

يرى إيڤانز أيضًا أنَّ المصطلحات الرَسِلية قد تكون فريغية. بعبارة أخرى، يعتقد أنَّ للمصطلحات ثنائية الإحالية معنى معتمدًا على الإحالة رغم أنها تختلف في المعاني. وهذا يطرح السؤال التالي: ما الفرق بين مصطلحين رَسِليين يختلفان في معناهما؟ علامَ يعتمد ذلك الفرق؟ فلا

يمكن أن يعتمد ذلك الفرق على كونهما يملكان إحالتين مختلفتين، لأن لهما نفس الإحالة، بل يجب أن يكون ثمة شيء يتجاوز الإحالة لينتج التفرقة الخاصة بالمعنى. ومهما يكن ذلك الشيء، فلا يمكن أن يعتمد على الإحالة فقط. فإنْ كان ثمة بُعدٌ دلاليٌّ للاسم يتجاوز إحالته، فمن الممكن أن يكون لنا بعض التصوّر عمّا سيكون عليه الاختلاف. هل هي الطريقة التي يتمّ بها تصوُّر الإحالة؟ ولكننا الآن نتحرك في اتجاه نظرية الوصف، والمفاهيم الوصفيّة ليست معتمدة على الإحالة. فلا يمكن شرح الفرق الدلالي بمصطلحات رَسِلية بحتة، لأن ذلك سيكون مجرد إحالة بحسب نظرية رَسِل. فإن قلتَ إنَّه لا يوجد فرق، فالمصطلحات إذن فريغية في نهاية المطاف. وإن كان ثمة تفرقة فريغية بينها، فيجب أن تطفو بعيدًا عن الإحالة، كما تفعل المفاهيم. فلا يمكن للمكوّن الإضافي للمعنى أن يكون بنفسه معتمدًا على إحالة.

ملخَّص ما سبق أنَّ إيفانز لم يُوفَّق في وصْفِه البديل الملائم لنظرية الوصف الخاصة بالمعنى والتي قد تُقدَّم كمعالجة فريغية عملية لأسماء الإشارة. فهو يرى أنَّ نظرية الوصف الخاصة بمعنى الإشاريّات خاطئة وجوبًا، ولهذا يحاول أن يبني نظرية فريغية غير وصفية كبديل لها. ومع ذلك، يظلّ من غير الواضح أن نَجِدَ بديلًا فريغيًا غير وصفيٍّ من ذلك النوع، لذلك يظهر بأنَّ الإشاريات تدحض مبادئ فريغه الدلالية العامة.

6.8 إيفانز عن «اليوم» و«أمس»

يطرح إيفانز فكرةً مهمّةً في نهاية ورقته عن كلمتي «اليوم» (today) و«أمس» (yesterday). لنفترض أنني قلتُ في يوم 1 (D1) «اليوم باردٌ» (Today is cold). والآن أردتُ التعبير عن نفس الفكرة التي عبَّرْتُ عنها في يوم 1 في اليوم التالي، أيْ في يوم 2 (D2). بلا شك لن أستطيع أن أفعل ذلك بقول «اليوم باردٌ» في يوم 2، لأن ذلك سيُحيل إلى يوم 2. فالتعبير عن نفس المضمون الذي عبّرت عنه في يوم 1 يتطلب استخدام كلمة «أمس»، فعليَّ أنْ أقولَ «أمس باردٌ» (Yesterday was cold). وبهذا عبّرت بالبداهة عن نفس الشيء في يوم 2 كما عبّرت عنه في يوم 1 باستخدام تلك الجملة، فتمَّ التعبير عن نفس الفكرة في يومين مختلفين باستخدام

مجموعتين من الكلمات. وهذه الصيغ من الكلمات مترابطة بصورة منتظمة ومحددة، فثمة قواعد لاستخدام الكلمات في سياق مختلف للتعبير عن نفس الشيء. وحين نفهم هذه الكلمات، نستوعب تلك القواعد، فثمّة تركيبة لغويّة مشابهة جدًّا لهذه في «الإشارات المكانية» (spatial indexical) (وأيضًا في الإشارات الشخصية personal indexicals). فإذا قلتُ على سبيل المثال «هنا برد» (Here is cold) وأردت أن أتحرك من ذلك المكان، فعليَّ القول «هناك برد» (There is cold) لأعبّر عن نفس الشيء: فقد تمّ التعبير عن نفس المضمون عن المكان الأصلي من مواقع مختلفة باستخدام كلمات مختلفة. فالإشاري المستخدم يتغيّر حين يتغيّر سياق الكلام.

إن فكرة إيفانز عن هذه الأمثلة تبدو وكأنها تتطلب نظرة فريغية عن المعنى، فمعنى كلمة «اليوم» حين تُستخدم في يوم 1 يبدو نفس معنى كلمة «أمس» حين تستخدم في يوم 2. وكما هو موضَّح في نهاية الفصل السابق، لا تملك كلمة «اليوم» نفس الشخصية (أو المعنى التقليديّ) الموجود بكلمة «أمس». ولاستيعاب ما تتشارَك فيه هاتان الكلمتان من الناحية الدلالية، يرى إيفانز بأننا بحاجةٍ لاستحضار معنى فريغه. فنحن بحاجةٍ لآلية دلالية لاستيعاب التشابُه حين تُستخدم هاتان الكلمتان الإشاريّتان المختلفتان للتعبير عن نفس الشيء في سياقين مختلفين. فالشخصية غير مناسبة، لأن الشخصية مختلفة في الحالتين. وقد نفترض أنه وبرغم اختلاف الشخصية، إلا أن المحتوى الكابلاني يظلّ نفسه، أي إنَّ الإحالة نفسها. فإحالة «اليوم» في يوم 1 هي يوم 1 وإحالة «أمس» في يوم 2 هي يوم 2. فيتمّ استيعاب المعنى الذي يُقال فيه نفس الشيء في يومين متعاقبين (أو قد يُقال فيه نفس الشيء) من خلال الحقيقة القائلة إنَّ هاتين القطعتين من الإشارات لهما نفس الإحالة. لاحظ بأن هذه النظرة ليست نظرة فريغية عن امتلاك نفس الفكرة، لأنها لا تفرّق بين المعنى والإحالة. ففريغه لا يرى أنَّ امتلاك نفس الإحالة كالتعبير عن نفس المعنى، ولكن على الأقل يظل المحتوى نفسه في كلا اليومين، بخلاف الشخصية.

لتفترض بأن يوم 1 هو يوم ثلاثاء وبالتالي فإن «اليوم» مرتبطةٌ ارتباطًا وثيقًا مع يوم ثلاثاء محدَّد. سيكون يوم 2 إذن هو يوم أربعاء، فهنا الآن علاقة بين اسمي الأيام وبين المصطلحين الإشاريين. يمكننا القول إنَّ الثلاثاء مطابق لإحالة اليوم حين يقال في يوم 1، والذي بدوره مطابقٌ لإحالة أمس حين يقال في يوم 2. من الإحالة إلى يوم 1 بـ«الثلاثاء» و«اليوم» و«أمس». تأمّل الآن العلاقة بين قول «اليوم باردٌ» يوم الثلاثاء وقول «الثلاثاء برد». فكلمة «الثلاثاء» هنا تُحيل إلى نفس اليوم الذي تُحيل إليه كلمة «اليوم». فلدينا جملة تطابق صحيحة هي «اليوم هو الثلاثاء». وثمة علاقة خاصة بقيمة الصحة بين «اليوم باردٌ» و«الثلاثاء باردٌ»، حيث إن الجملة الأولى صحيحة والأخرى صحيحة أيضًا. فلكلا الجملتين نفس المحتوى الكابلاني، لأن كلمة «الثلاثاء» تُحيل إلى نفس اليوم الذي تُحيل إليه كلمة «اليوم». ولكن من الناحية البديهية، لن تقول جملة «اليوم باردٌ» نفس الشيء الذي تقوله جملة «الثلاثاء باردٌ». فكل كلمة تُحيل إلى نفس اليوم، ولكن بمعاني مختلفة. ويمكننا رؤية هذا من كون الشخص قد لا يعرف تمامًا أن اليوم هو الثلاثاء حين نستخدم الكلمة «اليوم» للإحالة إلى الثلاثاء. فقد يوافقنا بأنَّ «اليوم باردٌ» ولكن قد يخالفنا بأنَ «الثلاثاء باردٌ» لأنه لا يصدّق أن اليوم هو الثلاثاء. فإن اكتشف في النهاية أنَّ اليوم هو الثلاثاء، فسيكون قد تعلّم حقيقةً تركيبيّةً غير بديهيةٍ. إذن، فجملة «اليوم باردٌ» لا تعبّر عن نفس الفكرة التي تعبّر عنها جملة «الثلاثاء باردٌ» حتى وإن كانت الإحالة تُحيل إلى نفس اليوم.

كما أنَّ تلك الجملتين («الثلاثاء بارد» و«اليوم باردٌ») لا تقولان نفس الشيء وفقًا لامتحان فريغه لتطابق الأفكار، ولا تقولان نفس الشيء من الناحية البديهية. مع ذلك، فلهما نفس المحتوى بالمعنى الكابلاني. فهذه الحالة مختلفة عن قولنا «اليوم» في يوم 1 و«أمس» في يوم 2. ففي تلك الحالة، تقول كلا الجملتين نفس الشيء، إذ ليس ثمة معلومات جديدة تُكتسب حين يكتشف المرء أنَّ تلك الجملتين مترابطتان بالطريقة التي يترابطان بها. فثمة علاقة منطقية تحليلية بين الإشاريين، مكتوبة في قواعد استخدامهما. ونحن نعرف أنّه إذا كانت جملة «اليوم باردٌ»

صحيحة في يوم 1، فيجب أن تكون جملة «أمس باردٌ» صحيحةً في يوم 2. ولكننا لا نعرف ما إذا كانت جملة «اليوم باردٌ» صحيحة في يوم 1 وتستوجب أن تكون جملة «الثلاثاء باردٌ» صحيحة أيضًا، لأن جملة «اليوم باردٌ» قد تُقال بصورة صحيحة في أيام غير الثلاثاء. فهاتان الجملتان ليستا مترادفتين بالمعنى المألوف لتشكيل نفس الجملة. فكلمة «أمس» التي تُقال يوم 2 تقبض على نفس معنى كلمة «اليوم» التي تقال يوم 1، مع إنَّ كلمتي «اليوم» و«أمس» لا تعبّران عن نفس المعنى. بالتالي، فتطابق المعنى بين الجملتين الأولَيَيْن لا يمكن القبض عليه من خلال محتوى كابلان، لأن ذلك المحتوى هو أكثر شيوعًا بين الجملتين الأخريين. فنفس المحتوى ليس كافيًا لإعطاء نفس المعنى. لهذا نحتاج مكوِّنًا دلاليًا إضافيًا للقبض على ما هو شائع بين «اليوم» و«أمس»، لا ما بين «اليوم» و«الثلاثاء ». وسنكون مُجبَرين على قَبول مستوى ثالث يتجاوز شخصية ومحتوى كابلان يكون أقرب لفكرة فريغه عن المعنى.

6.9 الشخصية والمحتوى والمعلومات

نستطيع الآن دمج ثلاثة عناصر دلالية لشرح المعنى التامّ للجملة الإشارية حين تُستخدم في مناسبةٍ ما. فالأولى هي الشخصية، والثانية المحتوى، والثالثة تقابل نفس المعنى الموجود بين «اليوم» و«أمس». دعنا نسمّي هذا المستوى الثالث بـ«المعلومات» (information). فالمعلومات التي نوصِّلها حين نقول «اليوم باردٌ» في يوم 1 هي نفسها التي نوصِّلها حين نقول «أمس باردٌ» في يوم 2. فالمتحدِّث يكتسب المعلومات من تجربته عن المعنى في يوم 1 والتي تقول إن اليوم باردٌ، فتلك معلومات تُخْتَزَن في ذاكرته. وحين يقول في يوم 2 «أمس برد»، فهو بلا شك يُحيل إلى المعلومات التي اكتَسَبَها من اليوم السابق واختُزِنَتْ في ذاكرته. فلدى المتحدّث نفس المعرفة المكتسبة في اليوم السابق، ولكنه يعبّر عنها باستخدام كلمات مختلفة. بالتالي، تكون نفس المعلومات متاحة في ذهن المتحدث خلال يومين، ويعبر عنها باستخدام جملتين مختلفتين. ولا يمكن قصر فكرة المعلومات هذه على الشخصية والمحتوى، فالمحتوى فكرة واسعة جدًا ولا تقبض على نفس المعنى الدقيق الذي يقوله المتحدث. ولتلافي اللَّبس، قد نُعيد تسمية محتوى كابلان بـ«ارتباط العالم

الواقعي» (real-word correlate). فارتباط العالم الواقعي للإشاريّ هو الشيء الذي يُحيل إليه المتحدِّث، ويمكننا اعتباره كمكوِّن المضمون المعبَّر عنه. ويمكننا أيضًا أن نُعيد تسمية «الشخصية» بـ«وجهة النظر» (perspective). فوجهة النظر تتضمَّن وجهي نظر زمانية يُعَبِّر عنها المتحدث في يوم ما، كمضارع أو ماضٍ. دعنا نُدرج هذه في المضمون أيضًا، وستُعبّر عن نفس المعلومات من وجهي نظر مختلفتين. فهي المعلومات الخاصة بارتباط العالم الواقعي. وعلينا ألا نقول إنّ ثمة فقط ارتباطًا بين العالم الواقعي ووجهة النظر، لأننا حينها لن نستطيع فهم العلاقة بين «اليوم» و«أمس» بالطريقة الصحيحة. فالمعلومات محفوظة عبر الزمن، ثم يُعبَّر عنها من وجهيْ نظرٍ مختلفتين، وتظلّ المعلومات أشبه بحالة ذهنية أكثر من ارتباط عالمٍ واقعيّ. وهذا قد يندمج في المضمون إلى جانب العنصرين الآخرين. وليس من هذه المكونات المضمونيّة ما يحدِّد أيًا من الأخرى، فليس ثمة ما هو فائض. فإذا نظرنا لمكون المعلومات على أنه وصفيٌّ، وهذا طبيعيٌّ، فلن نُصِرَّ أنَّ المعلومات الوصفية تحدّد يومًا معيّنًا، فقد تكون متاحة في الأيام الأخرى أيضًا (لذلك، ليست مرادفةً للمعنى الفريغي الذي يحدِّد الإحالة). فلدينا مكوّنات دلالية لا نستغني عنها وهي منفصلة وغير قابلة للدمج: ارتباط العالم الواقعي، ووجهة النظر، والمعلومات.

ووفقًا لهذه الدلالة المكوَّنَة من ثلاثة مستويات، يظهر بأنَّ كل شخصٍ مُحِقٌّ نوعًا ما ومخطئٌ نوعًا ما حول هذا الموضوع. فكاپلان محِقٌّ حين أدْخَلَ الشخصية والمحتوى، وأخطأ حين رأى أنَّ الشخصية والمحتوى هما كل ما نحتاج إليه. وإيڤانز يرى أن المعنى الفريغي هو ما نحتاجه فقط. فهو محِقٌّ حين رأى أن ثمة شيئًا مشتركًا بين «اليوم» و«أمس» ولكنه أخطأ حين افترض أنّه لا شيء يفصلهما (راجع: الشخصية). فلم يتْرُك إيڤانز مساحةً في نظريته لهذا الاختلاف الدلاليّ: فهو يحتاج الشخصية في المعنى التامّ للجملة الإشارية كما يحتاج إلى المعنى. ونفس المعلومات يُعَبَّر عنها في الواقع من خلال هاتين الكلمتين في يومين متعاقِبَيْن، ولكن لكل مصطلحٍ منهما معنى مألوف مختلف. كما إن كاپلان وإيڤانز يقدمان نظريات غير كاملة لأن كلًّا منهما بحاجة إلى شيء من

ترسانة الآخر ليُكمِل الشرح التام لمعنى الإشاريات. فنحن بحاجة إلى الشخصية والمحتوى، وبحاجة أيضًا لأنْ نعترف بأنّ الإشاريات ذات الشخصية المختلفة تتشارَك في شيءٍ واحدٍ لا يمكن اختزاله في المحتوى (وهذا ما سميناه بالمعلومات). فالمهمة التالية تتطلَّب أن نتساءل أكثر عمّا تُقابله هذه الفكرة عن المعلومات (وهي مهمّة سنتركها كواجبٍ منزليّ). فكل ما نحتاج قوله الآن أن المعلومات هي فكرة إبستمولوجية: فهي ترتبط بما يعرفه الشخص. ويتّضح لنا الآن أن موضوع دلالة الإشاريات مصطبغٌ بالتعقيد والصعوبة، فلا يوجد نظرية راهنة تحمل كل الأدوات المناسبة للتعامل معه.

---

(41) Gareth Evans, «Understanding Demonstratives», in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 201.

بتنام والخارجانية الدلالية

7.1 خلفية

ستساعدنا نقاشاتنا السابقة عن الإشارية على فهم قوة حجَج «هيلاري بتنام» (Hilary Putnam) في مقالته «المعنى والإحالة» (Meaning and Reference). فكما يرى كابلان، فإنّ النظرية الكلاسيكية للاستبطانات الوصفية التي تُحَدّد المصداقات تبدو غير عمليّة أبدًا للتعابير الإشارية. فحين يتمّ استخدام الإشاري في أحد المواقف، فلن يكون معناها مرادفًا للوصْف المعرَّف للشيء أو نوع الشيء المُحال إليه. وكما يوضّح بتنام في نهاية ورقته، يُمكن لشخصين أن يستخدما الكلمة «أنا» للإحالة إلى أنفسهما حتى وإن لم يختَلِفا في الأوصاف التي يَعزوانها لأنفسهما؛ فلا يمكن أن ينبع الاختلاف في الإحالة من معرفة تعيينية فريدة يحظى بها كلا المتحدّثين. وهنا يلعب السياق دورًا مُحددًا للإحالة بصورة لا يُستغنى عنها، فليس الأمر ببساطة ما يحدث بطريقة وصفية داخل ذهن المتحدِّث. فما تُحيل إليه يعتمد على من أنت وأين مكانك، ليس فقط ما تفكّر به، أي إنّه يعتمد على السياق الخارجي لا الوصف الداخلي. بعبارة أخرى، يتم تحديد الإحالة الإشارية بصورة خارجية من خلال سياق المتحدّث الموضوعي، لا بما يحمله في ذهنه بصورة شخصية. وهذا يعارض الإحالة الوصفية، والتي تُعدُّ معتمدةً على السياق، لأن المفاهيم الداخلية للمتحدّث لا تكفي لتحديد ما يُحيل إليه. بالتالي، تكون «الخارجانية» (externalism) صحيحة فيما يخصّ الإحالة الإشارية فيما تكون «الداخلانية» (internalism) صحيحة للإحالة الوصفية (البحتة)، كما في «أول كلب يولد عند البحر». ففي حالة «أنا»، نحتاج فقط أن نعرف من يقول الكلمة لنحدِّد إحالتها، لا ما يفكِّر فيه الشخص حول إحالته.

إن تركيز بتنام ينصَبّ على المصطلحات ذات النوع الطبيعي كـ«ماء»، «ألومنيوم» و«نمر». وهذه كلمات تقوم عن أنواع الأشياء الموجودة في الطبيعة لا على الكلمات التي يصنعها الإنسان كـ«الطاولة» و«الكمبيوتر»

و«الرئيس». فپتنام يريد أن يعرف ما تعنيه تلك الكلمات، وخصوصًا كيفية تحديدها لإحالتها. فيقول في نهاية مقالته: «يمكن تلخيص نظريتنا بالقول إنَّ كلمات مثل «ماء» لها مكوِّن إشاري غير ملحوظ: فكلمة «ماء» شيء يحمل علاقة تشابُه معيّنة مع الماء الموجود هنا حولنا» (لاحظ الإشاري «هنا»). بعبارة أخرى، تعكس دلالة المصطلحات ذات النوع الطبيعي دلالة المصطلحات الإشارية. ولا تتوافَق هذه المصطلحات مع أنموذج فريغه للوصف المعرّف وإحالته. فپتنام يُخبرنا بأنه كان من المعتقد أنَّ ثمة استبطانًا يحدّد مصداق كل تعبيرٍ ذي معنى في كل عالم محتمل، وأن المتحدّث حين يفهم المصطلح، يستوعب استبطان ذلك المصطلح. لهذا يعارض كون ذلك صحيحًا فيما يخصّ المصطلحات ذات النوع الطبيعي، فنحن لا نفهمها من خلال استيعاب استبطاناتها. نحن نفهمها بالطريقة التي نفهم بها الإشاريات، حيث يلعب السياق دورًا لا غنى عنه. كما يقدم پتنام فكرته هذه بالقول إنَّ الحالة السيكولوجية للمتحدّث ليست المحدد الوحيد لإحالة مصطلحاته، أي إنَّ السيكولوجية الداخلية لا تحدّد إحالة المتحدّث. لذلك، يرفض النظرة القديمة التي تقول إنَّ إحالة المتحدّث قد تُقتطع مما يدور بذهنه حين يتحدّث. وسنناقش هنا حجَجَهُ حول هذه الخُلاصة.

7.2 الأرض التوأم والماء

يبدأ پتنام فكرتَهُ بتصميم تجربته الخيالية التي يسمّيها «الأرض التوأم» (Twin Earth). فلنتخيّل زمانًا مرَّ على الأرض قبل تطور علم الكيمياء، كان فيه الناس يستخدمون كلمة «ماء». وبسبب عدم تطور علم الكيمياء، لم يعرف الناس أنّ المكوّن الكيميائي للماء هو «ذرتيْ هيدروجين وذرة أكسجين» (H_2O). فحين يتم استخدام كلمة «ماء»، تُحيل تلك الكلمة إلى الماء على الأرض. تخيّل الآن نسخة مشابهة للأرض، «الأرض التوأم»، حيث لا يوجد فيها ماء. مع ذلك، فثمّة سائل على تلك الأرض التوأم بنفس الصفات الظاهرة للماء مع إنّ ذلك السائل ليس ماءً. يفترض پتنام أنّ لذلك السائل مكوّنًا كيميائيًّا هو XYZ. ومن الممكن بالطبع للسوائل أن يكون لها نفس المظهر دون أن يكون لها نفس المكوّنات الكيميائية. فهذه التجربة الخيالية ممكنةٌ ميتافيزيقيًّا بصورة

كاملة. لتفترض الآن أنَّ ثمة أناسًا على الأرض التوأم وهم مثلنا بالضبط، أيْ إنهم نسخٌ ذَريّةٌ مطابقةٌ لنا، فهم توائم مماثلة لنا، يتحدّثون اللغة التي نسمّيها «اللغة الإنغليزية» وواحدة من الكلمات التي يستخدمونها هي «ماء». مع ذلك، تحيل كلمة «ماء» في اللغة الإنغليزية الخاصة بالأرض التوأم إلى السائل الموجود على الأرض التوأم المكون من (XYZ)، لا السائل الموجود على أرضنا (H_2O). فللمصطلح مصداق مختلف في الكوكبين. ولأن الفترة الزمنية التي نفترضها هنا هي قبل ظهور الكيمياء، فلا أحد على الأرض يعرف أنَّ السائل الجاري حولَهُ هو مكون H_2O ولا أحد على الأرض التوأم يعرف أنَّ السائل الجاري حول هو مكوّن XYZ. فلكلا الكلمتين إحالتان مختلفتان، مع إنَّ المتحدث لا يميّزهما كيميائيًّا. فلا تحيل كلمتنا «ماء» إلى XYZ بل إلى H_2O، كما لا تحيل كلمتهم «ماء» إلى H_2O بل إلى XYZ.

ورغم أن توائمنا الموجودين بالأرض التوأم هم نُسَخ ذريّة منّا، إلا أنهم يستخدمون كلمة «ماء» ليُحيلوا إلى شيء مختلف عمّا نُحيل إليه حين نستخدم نفس الكلمة. وبما أنّ توائمنا نُسَخٌ ذريّةٌ منا، فلدينا جميعًا نفس الحالة السيكولوجية، مع اختلاف مصداقات مصطلحاتنا. فما يجري بأذهاننا حين نستخدم كلمة «ماء» يجري أيضًا بأذهانهم حين يستخدمون كلمة «ماء»، فكلا السائلين يَظهران بنفس المظهر الشخصي. لذلك، لا يمكن لحالتنا السيكولوجية أن تحدِّدَ الإحالة أو المصداق، وفقًا لپتنام. فما يعنيه المتحدِّث بكلماته لا يتحدّد من قبل حالته السيكولوجية الداخلية، ولكن بالبيئة الخارجية الواقعية، أيْ بسياقه. فلكلا المجموعتين من البشر نفس المعلومة حول السوائل، ويعطونها نفس الأوصاف، ولكن سياق الاستخدام مختلف، والإحالة مختلفة أيضًا. فهم لا يعرفون علم الكيمياء بصورة كافية ليميّزوا بين السوائل، ولأن السوائل مختلفة، فإحالتها مختلفة.

فإن افترضنا أنَّ المعنى يحدّد الإحالة، فيمكننا الخلوص إلى أن كلمة «ماء» ليس لها نفس المعنى في الأرض وفي الأرض التوأم. نعم للكلمات نفس المحتوى الوصفي ولكن ليس لها نفس المعنى. فهي تعمل مثل أداة الإحالة المباشرة حيث تدخل الإحالة نفسها في المعنى. ويمكننا التفكير في

كلمة «ماء» على الأرض كاسم علم يعني H_2O، وكلمة «ماء» على الأرض التوأم كاسم علم يعني XYZ. وكما يقول كاپلان، سيكون المضمون المعبَّر عنه محتويًا على كيانات مختلفة. فالمصطلح «ماء» ليس اختصارًا لوصف، لأن نفس الأوصاف التي تجري بأذهاننا هي نفس الأوصاف بأذهان توائمنا على الأرض التوأم، وبالتالي تتشعَّب الإحالة. وهذا يقتضي أنَّ المعنى يتشعَّب أيضًا، بافتراض أن المعنى يحدّد الإحالة.

7.3 المعاني ليست في الرؤوس

يخلُص پتنام إلى أن «المعاني ليست في الرؤوس» (Meanings are not in the head). فماذا يعني بذلك؟ إنه يقصد أنَّه بإمكاننا الخلوص من خلال تجربته الخيالية إلى أن حالة المتحدث السيكولوجية لا تحدد ما يقصده بكلماته. فپتنام يرى أنَّ ما يدور في رأسك لا يحدّد معناك لأنه لا يحدِّد الإحالة. فلدى البشر على الأرض والأرض التوأم ما يدور برؤوسهم، ولكنهم لا يقصدون نفس الشيء حين يستخدمون مصطلح «الماء» لأنهم لا يُحيلون إلى نفس الشيء. فلا يمكن استنتاج معنى الكلمة من حالة المتحدّث السيكولوجية. فالمعنى يعتمد على عوامل خارجية، وسنرى لاحقًا ماهيّة هذه العوامل. فحالة الفهم الداخلية للمتحدّث لا تُحدد بالضرورة ما يُحيل إليه، لذلك لا يمكن قراءة معنى مصطلحه من خلال حالة فهمه. وبهذا يخلص پتنام إلى المعنى ليس «في الرؤوس» فالمعنى ليس ظاهرة سيكولوجية.

لنعيد صياغة حجة پتنام بعد جمع القطع المتناثرة منها. فالفكرة الجوهرية من تجربة الأرض التوأم الخيالية هي أننا سنكون محقّين حين نقول إنَّ «الماء» في لغة الأرض التوأم الإنغليزية تُحيل إلى XYZ وإنَّ «الماء» في لغة الأرض الإنغليزية تُحيل إلى H_2O. فبما أن سكان الأرض التوأم هم نسخ ذرية منّا، فلهذه الفكرة آثارها الفلسفية المهمّة على الأشياء التي تُشَكِّل المعنى. وبما أنهم نسخٌ ذريّةٌ منّا، فحالة أدمغتهم مشابهة لحالة أدمغتنا. فإنْ ألقَيْنا نظرةً على أذهان تلك النسخ الذرية حين يقولون كلمة «ماء»، فسنجد نفس التجارب والمعتقدات والعواطف والرغبات التي سنراها إن ألقينا نظرةً على أذهاننا حين نقول نفس الكلمة. بالتالي،

نستطيع أن نرى أنّ للكلمة «الماء» في كلا الكوكبين المختلفين إحالة مختلفة وبالتالي لها معنى مختلف، رغم أن المتحدّثين الذين يستخدمون تلك الكلمة يحظون بنفس الحالة السيكولوجية حين يستخدمونها. ولأن نفس الأوصاف مرتبطة بالكلمة عند كلا المجموعتين من المتحدثين («سائل لا لون ولا طعم له يجري في الأنهار» إلخ)، فإن كلا المجموعتين في حالة سيكولوجية مشابهة حتى وإن كان للكلمة «ماء» إحالة مختلفة في كلا الحالتين. فإذا كان المعنى يحدّد الإحالة، كما يفترض پتنام متأثرًا بفريغه، فإن لكلا الكلمتين معنيين مختلفين، وبالتالي لن يكون لكلمة «الماء» على الأرض التوأم نفس معنى كلمة «ماء» على الأرض. فللمتحدّثين نفس الحالة السيكولوجية حين يستخدمون تلك الكلمة.

من الطرق السهلة لرؤية كيفية عَمَل هذه الحجة أن ننظر في حالة الأسماء العادية. خُذْ اسم «أرسطو» ولتفترض أنَّه لا وجود لأرسطو على الأرض التوأم، لأنها أبعد ما تكون عن أرسطو ليقوم بزيارتها. ولتفترض أيضًا أنَّ ثمة شخصًا على الأرض التوأم يُشْبِه ويتصرّف بنفس طريقة أرسطو، ولكنه شخصٌ مختلفٌ. فحين يستخدم المتحدّثون على الأرض التوأم اسم «أرسطو»، يُحيلون إلى أرسطو ولكن ليس إلى أرسطو الخاصّ بنا. ولتلافي الغموض والالتباس، يمكننا أن نُسَمّي أرسطو الخاص بهم بـ«ألبرت». فحين يستخدمون الاسم «أرسطو»، يُحيلون إلى «ألبرت» (كما سمّيناه)، لأن اسم «ألبرت» هو اسمُنا الذي أعطيناه للشخص الذي نُحيل إليه بـ«أرسطو». تقول فكرة پتنام هنا إنّ المتحدّثين على الأرض التوأم نسخٌ سيكولوجيةٌ وجسديّةٌ منّا، ولكنهم يُحيلون إلى شخص مختلف حين يستخدمون الاسم «أرسطو»، فهو شخص مختلف عن الشخص الذي نُحيل إليه حين نستخدم نفس الاسم. فهم يُحيلون إلى «ألبرت» (على الرغم من أن اسمه «أرسطو»)، بينما نُحيل إلى «أرسطو». وبما أن المعنى يحدّد الإحالة، فلا يمكن أن يكون معنى كلمة «أرسطو» في رؤوسنا. فالحالة السيكولوجية لأولاد الأرض التوأم هي نفس حالتنا السيكولوجية ولكنهم لا يُحيلون إلى أرسطو بل إلى ألبرت. فثمّة إحالة مختلفة رغم وجود نفس السيكولوجية الداخلية.

من المهم هنا أن نلاحظ أنَّه ليس ثمة مختَصّون على الأرض أو الأرض التوأم يخبرون المتحدثين عن ماهية الماء حين يقول كلمة «ماء». فنحن نفترض كما أسلفنا أنَّ هذه التجربة الخيالية تُجرَى في الوقت الذي يسبق ظهور الكيمياء. فلا أحد في الأرض أو في الأرض التوأم يعرف المكوِّن الذريَ للسائل الذي يُحيلون إليه بالكلمة «ماء». إذن فالمثال لا يختَصّ بعالمنا المعاصر.

بالإضافة إلى مثال الكلمة «ماء»، يُعطينا پتنام مثالًا عن المولبدنوم والألومنيوم. وهو نفس الحال كحال الماء في الأرض التوأم، إلا أن پتنام يفترض أنَّ ثمة خبراء يستطيعون التفرقة بين الألومنيوم والمولبدنوم. يفترض پتنام أنّ ثمة علماء معادن يستطيعون تحديد ذلك ببساطة جدًّا (فالقدور والمقلاوات على الأرض التوأم مصنوعة من الملبدنوم، بينما تكون مصنوعة من الألومنيوم على الأرض، وعلماء المعادن قادرون على التفرقة بينهما باختبار بسيط). فكلا المعدنان متشابهان ويُستخدمان لنفس الأغراض، ويظل عالم المعادن هو من يستطيع بسرعة تحديد نوع المعادن المستخدمة. وكما نلاحظ فليس ثمة شيء جديد في هذا المثال الثاني، فهو كما الأول، على أنَّ پتنام يريد أن يجلب بعض المختصّين للمشهد. ففي هذه الحالة، لدينا متحدّثون نُسَخ منّا يُحيلون إلى أشياء مختلفة بنفس المصطلحات. ولذلك لن يكون الأمر خاصًّا بما يدور بداخلك حين تحدّد ما تُحيل إليه؛ فالأمر متعلّقٌ أكثر بنوع البيئة التي أنت فيها!

مثال ثالث يذكره پتنام يتعلّق باستخدام كلمتي «الدردار» (elm) و«الزان» (beech) للإحالة إلى فصائل مختلفة من الأشجار. وهذا المثال يضيفُ شيئًا جديدًا على القصة الأصلية، كما إنّ الأرض التوأم ليست متطلبًا لفهم هذه النقطة. فهي فكرة عن هيلاري پتنام نفسه، العالق هنا بالأرض. حين يستخدم الكلمة «دردار» في لهجته الخاصة، لا يربط أوصافًا مع تلك الكلمة إلا وقد ربطها بالمصطلح «زان». فهو يعترف بأنه لا يستطيع تحديد الفرق بين شجر الدردار وشجر الزان. وبما أننا أيضًا (وبصورة مخجلة) جاهلون بالفروقات بين شجر الدردار وشجر الزان، فلا يمكننا أيضًا إعطاء وصفٍ لتمييز أحدهم عن الآخر. وستظل كلمتا

«الدردار» و«الزان» تعنيان شيئين مختلفين في لهجاتنا الخاصّة حين نستخدمها، فليس لهما نفس الإحالة أو المصداق. ومع إنه لا يوجد في أذهاننا شيءٌ يسمح لنا بتحديد الفروقات بين الشجرتين، فإن أحد المصطلحين يُحيل إلى شجرة هي «الدردار» والآخر يُحيل إلى شجرة هي «الزان».

يُذكرنا هذا المثال بمثال كريپكي عن «فينمان» و«غيلمان» (راجع الفصل الثاني). فسيكون وصف المتحدّث غير المُلِمّ بتفاصيل عملهما بأن كلا هذين الفيزيائيَّين شهيران في القرن العشرين. فحتى وإن لم يملك أوصافًا لتمييز فينمان من غيلمان، لا يزال المتحدث يُحيل إلى شخصٍ حين يستخدم «فينمان»، شخصٍ مختلفٍ عن ذلك الشخص الذي يُحيل إليه حين يستخدم «غيلمان».

وقد نتساءل كيف يمكننا استخدام الكلمات لنحيل إلى أنواع طبيعية من الأشجار وإن لم يكن ما في أذهاننا هي نفس الأشياء الخاصة بتلك الكلمات. فقد يقصد المتحدِّث شيئًا مختلفًا بالدردار والزان، حتى وإن كان الشيء الذي في رأسه غير متغيّر. وهذا سؤال يخصُّ لهجة متحدِّثٍ في مجتمع لغوي محدَّد، بالمقارنة مع مجتمعين لغويين متقابلين (الأرض والأرض الأم). فقد تحدثنا في بداية الكتاب (في الفصل الثاني)عن تقسيم العمل اللغوي فيما يتعلّق بكريپكي والأسماء. ويُعَدُّ ذلك التقسيم للعمل اللغوي، والذي فيه يحدد الخبراء ما تُحيل إليه كلمات معينة، مهمًّا لنا الآن. فحين نُسيء، نحن الجهلة، استخدام «دردار» و«زان»، فهذا يعني أنَّ إحالاتنا عبر تلك الكلمات لا تعتمد على علاقتنا مع المختصّين في الأشجار في أوساطنا. فنحن حين نستخدم تلك الكلمات ننوي الإحالة إلى ما يُحيل إليه المختصّون حين يستخدمون كلمتي «دردار» و«زان». وفي هذه الحالة أيضًا، لا يمكن استقراء معنى المتحدّث من حالته السيكولوجية، ولكن يمكن اجتلابه من سياقه، وخصوصًا من المختصّين في مجتَمَعِه اللغويّ.

كما إنه ثمة بعض الأمثلة القليلة التي لم يُفصّل فيها پتنام وهي مهمة في نقاشنا. ففي نهاية مقالته، يبدأ پتنام بالحديث عن الإشارية قائلًا بأنها فيما يبدو تلعب دورًا مركزيًّا في تلك الأمثلة. فالكثير منها يحمل إشاريّات

بصورة مباشرة. فتخيّل شخصًا يُحيل إلى فيل، وحين يقول «ذلك الفيل»، تخيّل أنَّ عقْلَهُ في حالة معينة وأنه يرى الفيل بطريقةٍ ما (ككبير أو رمادي إلخ). تخيّل الآن أنَّ ثمة على الأرض التوأم أو بمكان آخر على الأرض شخصًا آخر هو توأم للمتحدّث السابق ويقول «ذلك الفيل»، ويُحيل إلى فيل مختلف. وهذا المتحدّث الجديد هو توأم ذرّيّ للمتحدّث الأول، فكل شيءٍ متشابهٌ في داخلهما وفي أذهانهما. وحين يقول الشخص الأول «ذلك الفيل»، فهو يُحيل إلى فيل مختلف عن الفيل الذي يُحيل إليه توأمه. فهما يُحيلان إلى حيوانين مختلفين حتى وإن كان المتحدّثان في حالة سيكولوجية واحدة، لأنهما يُحيلان إلى فيلين مختلفين. فالسياق يُحدِّد الإحالة، لا الرؤى والأفكار في أذهانهم، لأنهما يُحيلان إلى ما يريان، وهما يريان فيلين مختلفين.

يأتي المثال الآخر من كلمة «أنا». فتخيّل أنني أقول «أنا جائع» (I am hungry) وتأمّل الآن نسخةً أخرى مني تقول «أنا جائع ». فتلك النسخة لا تُحيل إليَّ، إنما تُحيل إلى نفسها، ولكنها في نفس الحالة السيكولوجية التي أنا فيها، فهي نسخة ذرّية مني. فبمجرد أن تقول تلك النسخة «أنا»، تُحيل إلى شيء «أ» (a)، بينما أحيل أنا إلى شيء «ب» (b)، مع العلم أننا في نفس الحالة السيكولوجية الداخلية. فإذا كان المعنى يُحدد الإحالة، فالمعاني ليست في رؤوسنا، فلا يمكن لما نقوله أن يُقتطع مما يحدث بدواخلنا. فالسياق، أي من هو الذي ينطق الكلمة في ذلك الموقف، هو ما يحدِّد ما نقول. إنَّ وصفة پتنام لإنتاج مثل هذه الأمثلة التي تقع خارج رؤوسنا وصفةٌ مباشرةٌ: فنحن فقط ننوّع بيئة المتحدِّث بينما نُحافظ على رأسه كما هو، ونجد أنَّ الدلالة تتنوّع. وليس من الصعب أن ننتج أمثلة أخرى لـ«الآن» و«هنا». فالفكرة التي تريد الأمثلة إيصالها ببساطة هي أن السياق قد يتنوَّع بينما تبقى الحالات الداخلية ثابتة.

دعنا هنا نبيّن شيئًا آخر بوضوح. في نهاية مقالته، ألمَحَ پتنام إلى نقطة لها أهمية أكبر مما يتصوّره. فيجادل بوجود انقسام: إمّا أن المعنى ليس في رؤوسنا أو أنَّ المعنى لا يحدِّد الإحالة. فتجارب پتنام الخيالية محايدة بين هذين المضمونين ويمكننا تفسيرها بكلا الطريقتين. ورغم ذلك، يفترض پتنام أنَّ المعنى يحدِّد الإحالة، ولذلك يخلص إلى أن المعنى ليس في

رؤوسنا. **فإن** كان المعنى يحدد الإحالة، **فإن** المعاني ليست في رؤوسنا. ولكن ماذا لو كان المعنى **لا** يحدد الإحالة؟ بهذا يبقى المعنى في رؤوسنا، بينما يفشل في تحديد الإحالة. وقد بيَّنَ پتنام أنَّ المعنى لا يحدّد الإحالة وفقًا لهذا التأويل البديل.قد نقبل بأمثلة پتنام عن الأرض التوأم ولكننا سنتساءل فيما إذا كانت تثبت بأن المعنى ليس في رؤوسنا وبهذا لا يتحدد بالحالة السيكولوجية. ألا يمكن أن يكون المعنى في الرأس وبالتالي يتحدد بالحالة السيكولوجية، ويظل المعنى لا يُحدد الإحالة؟ ثمة إذن احتمالان نظريان: (1) المعاني ليست في الرؤوس وهي بذلك مستقلة عن الحالة السيكولوجية، أو (2) المعاني في الرؤوس وهي بذلك معتمدة على الحالة السيكولوجية ويظل المعنى ليس كافيًا لتحديد الإحالة. فلماذا يختار پتنام أحد هذين التأويلين على الآخر؟

يمكننا تأويل مثال الأرض التوأم بشرح كيف يعني البشر على الأرض التوأم نفس الشيء حين يستخدمون كلمة «الماء» كما نعنيه نحن حين نستخدم نفس الكلمة، فيما تظل إحالتهم لتلك الكمة مختلفة عن إحالتنا نحن لنفس الكلمة. فما يقصدونه هو ما في رؤوسهم، وما يقدّمونه من أوصاف. وما يعنونه بالطبع لا يحدد بصورة فريدة ما يُحيلون إليه، وذلك بافتراض أن الاستبطان يُحدد المصداق وأن المعنى يحدد الإحالة وأن أمثلة پتنام تؤكد أنَّ المعنى ليس في الرؤوس.

وكي نشرح هذه النقطة بوضوح، دعنا نعود إلى أمثلتنا الإشارية. حين يقول متحدث «ذلك الفيل» في المثال السابق، فإنه يُحيل إلى حيوان مختلف حين يقوم بالإحالة إلى كل فيل. فمِمّا لا جدال فيه أنه يحيل إلى شيء مختلف، ولكن من غير المعقول أنه يقصد شيئًا مختلفًا. فذلك يعتمد بالأساس على تعريفنا للمعنى. فثمة الكثير من التعقيد حول فكرة المعنى، خصوصًا فيما يتعلق بالإشاريات. فقد تعلمنا في الفصول السابقة أننا بحاجة على الأقل إلى نظرية من بُعدين لمعنى الإشاريات. وباستخدام فكرة كاپلان عن الشخصية كمعنى للمعنى، يكون لكلمات «ذلك الفيل» نفس الشخصية وبالتالي نفس المعنى اللغوي للمتحدّث الأول والمتحدّث الثاني. فلا تحدد الشخصيةُ الإحالةَ؛ ما يحدد الإحالة هو الشخصية بالإضافة إلى السياق، لا الشخصية وحدها. لذلك، فالمعنى، المتشكِّل من

الشخصية، لا يكفي لتحديد الإحالة. ولهذا سيكون تأويلًا خاطئًا أن نقول إن هذا المثال يوضّح أنّ المعنى ليس في الرؤوس، فهو يوضِّح بدلًا عن ذلك أنَّ المعنى (الشخصية) لا يحدد الإحالة. كما يوضح ما قد يقوله كاپلان أنَّ الشخصية لا تحدّد المحتوى. وسنعود إلى هذه النقطة لاحقًا، ولكن علينا أولًا تغطية نظرة پتنام عمّا توضّحه أمثلته. فمما ختم به پتنام المقطع التالي:

> فرضية كونية تقسيم العمل اللغوي:
> يمثّل كل مجتمع لغوي النوع الخاص بتقسيم العمل اللغوي كما تمَّ وصْفُه، أي إنَّ له على الأقل بعض المصطلحات لها معايير مرتبطة معروفة فقط لمجموعة صغيرة من المتحدثين يكتسبون تلك المصطلحات، ولها استخدامات من قبل متحدثين آخرين تعتمد على تعاون مركّب بينها وبين المتحدثين في تلك المجموعة الصغيرة[42].

هذه فكرة مألوفة لدى المختصّين، فهم يفرّقون بين الأشياء أو أنواع الأشياء، فيما يعتمد أعضاء المجتمع اللغوي على قدرات المختصّين. بالتالي، تكون إحالات «الدردار» و«الزان» فصائل أشجار قرَّرَ المختصّون تعيينها بتلك الأسماء (وقد يكون المختصّون علماء أو ريفيّين باحثين). ففي الأمثلة التي تشبه مثال الدردار والزان، يمثّل تقسيم العمل اللغوي الشرح المناسب للسبب الذي لا يجعل المعاني في رؤوس المتحدثين، فالمعنى يعتمد على علاقته بالمختصين، وليس على معلومات المتحدثين الناقصة. وأولئك المختصّون «ليسوا في رأسك»، كما إن لديهم معرفة ليست في رأسك، بل تكتفي بالاعتماد عليهم بطريقة تجعل الكلمة في لهجتك الخاصة تُحيل إلى نوع من الأشياء، ليس بحكم ما تعرفه شخصيًا ولكن بحكم من تنصاع لهم من المختصين. ويمكننا تلخيص ذلك بالقول إن المعنى ظاهرة اجتماعية. فما تعنيه يعتمد على ملكات الآخرين. لهذا تنوي حجة پتنام أن تؤسس نظرة لا فردانية للمعنى. ويمكنك ملاحظة أن هذا التفسير لا يشرح المثال الأصليّ الخاصّ بـ«الماء» إذ لا يوجد ثمّة مختصّون في تلك التجربة التخيُّليّة. فلا يمكن أن يكون الفرق بين الأرض والأرض التوأم معتمدًا على مختصّين ينصاع لهم الناس في ذينك

المجتمعين. كما لا يمكن لأحد إيضاح الفرق بين السائلين. وفي تلك الحالة، لن يعتمد الفرق الدلالي على تقسيم العمل اللغوي.

تخبرنا التجربة التخيُّليّة عن الأرض التوأم بأن المعنى يعتمد على الحقيقة القائلة إنَّ المتحدّث عادةً ما يتفاعل مع الأنواع الطبيعية الحقيقية التي تحدث في العالم الذي ينخرط فيه. فاستخدام المتحدث للكلمات مرتبطٌ بتفاعله المعتاد مع تلك الأنواع الطبيعية والتزامه بمعانيها، وتحدد هذه التفاعلات ما يُحيل إليه بكلماته. فحين نستخدم كلمة «ماء» على الأرض، فإننا نتفاعل مع الماء، أي H_2O. وحين يستخدمون كلمة «ماء» على الأرض التوأم، فإنهم يتفاعلون مع XYZ. فالذي يحدد ما تُحيل إليه تلك الكلمتين هو العالم المحيط نفسه، لا وجود المختصّين في ذلك العالم. فالمعنى ليس في رؤوس المختصّين أيضًا، إذ لا يوجد مختَصّون من البدء. يأتي المعنى فقط من العالم نفسه، بدون أيّ حالات سيكولوجية وسيطة لأي شخص. وينخرط المتحدّثون في ذلك العالم ويتفاعلون مع أشيائه المختلفة: فلديهم تلك التفاعلات التي تحدّد ما تعنيه كلماتهم. فما تعنيه الكلمات ليس وظيفة لما يدور في رأس المتحدِّث، سواءٌ على المستوى الفردي أو الاجتماعي. أما المعنى فوظيفة للبيئة الخارجية الواقعية للمتحدث. فالبيئة نفسها هي من تحدّد ما تعنيه الكلمة. في ضوء ذلك، يخْلُص پتنام إلى أن المعنى ليس في الرأس، ولكنه يظهر من تفاعلاتنا مع البيئة، وتعرف فكرته هذه بـ«الخارجانية الدلالية» (semantic externalism) لأنها تقول إنَّ المعنى يُحدَّد بصورة خارجية.

وكما لاحظنا سابقًا، يرى پتنام أن أمثلة المصطلحات ذات النوع الطبيعي مشابهة لأمثلة الإشاريات. فيمكننا في حالة الإشاريات أن نرى بوضوحٍ أنَّ الإحالة تعتمد على طريقة انخراط المتحدّث في بيئته، وأن نرى عملية السياق نفسها. فما الذي يحدِّد الشيء الذي أُحيل إليه حين أقول «تلك المرأة» مُشيرًا إلى امرأةٍ ماثلةٍ أمامي؟ لا يحدد ذلك ما يدور بذهني ولكن تُحدِّدُه الحقيقة القائلة إن ثمة امرأة معينة في بيئته تقف أمامي الآن وأنا أشير مباشرةً إليها. فمن الواضح في حالة الإشاريّات أنَّ الإحالة

مُحددة بحسب موقع المتحدث في العالم. وهنا تبدو الخارجانية واضحةً لاعتماد الإشاريات بوضوحٍ على السياق.

يربط پتنام بصورة مباشرة بين الإشاريات والمصطلحات ذات النوع الطبيعي كـ«ماء»، مقترحًا أنَّ ثمة عنصرًا إشاريًا في المصطلحات ذات النوع الطبيعيّ. فيمكننا شرح إحالة كلمتنا «ماء» باستخدام اسم اشارة، كما في «ماء يُحيل إلى ذلك السائل» وتقال بينما نُحيل إلى H_2O، وبذلك نصل إلى إحالة الكلمة. وكما ناقشنا سابقًا، تلعب الإشاريات دورًا جوهريًا في تحديد إحالة الكلمات التي لا تُعد إشاريات (كأسماء العلم والأوصاف المعرفة كـ«والد ذلك الطفل»). فحين نقول على الأرض «ماء»، فإن الإحالة تتحدَّد بالإشاريّ «ذلك السائل». وحين يقولون «ماء» على الأرض التوأم، تتحدّد الإحالة أيضًا بـ«ذلك السائل»، ويلتقط الإشاريّ نوعًا طبيعًا مختلفًا. بهذا يكون لكلمة «ماء» إحالة مختلفة في كلا الكوكبين. وبالنظر في هذه العلاقة الإحالية بين الإشاريات والمصطلحات ذات النوع الطبيعي، سنتوقع أن نجد مصطلحات ذات نوع طبيعي تعمل بنفس طريقة الإشاريّات. فمعنى الإشاريّات ليس في الرؤوس، كما أن معنى المصطلحات ذات النوع الطبيعي المرتبطة بالإشاريات ليس في الرؤوس أيضًا. فالخارجانية تسري على مصطلحات كـ«ماء» لأن لها مكونات إشارية.

7.4 نقد پتنام

ما هي أفضل طريقة لوصف خلاصة أمثلة پتنام؟ وماذا توضّح تلك الأمثلة عن المعنى؟ يقول پتنام إنها توضح أن المعنى ليس في الرؤوس، ولكن هل نستطيع كما لاحظنا سابقًا أنْ نخْلُصَ أيضًا إلى أنها توضِح أنَّ المعنى لا يحدّد الإحالة؟ فأيُّ وصفٍ أفضل؟ إن بدأنا بمثال إشاري كـ«أنا»، فسيكون لكلمة «أنا» وفقًا لأي فكرة عقلانية عن المعنى نفس المعنى عند كل شخصٍ يستخدمها. فالإحالة ليست نفسها، وهذا ما نحن متأكّدون منه، أمّا المعنى فنفسه. فالمتحدث يُحيل إلى شخص معين حين يستخدم الكلمة «أنا» في مناسبة معينة، وهذا لا ينعكس فيما **تعنيه** الكلمة، لأن الإحالة تعتمد على المعنى بالإضافة إلى السياق (الشخصية

بالإضافة إلى السياق). لذلك من المعقول جدًّا أن نقول إن المعنى (الشخصية) الخاص بكلمة «أنا» في الرأس، لأن ما يدور بذهن المتحدِّث يُحدد ما يملكه الإشاري من شخصية. ومع هذا فلن يكون المعنى التقليدي للكلمة «أنا» كافيًا لتحديد إحالتها في أيّ مناسبة. فإن أصررنا على مثال الوصف، فسنرى أنه ليس على المعنى أن يُحدِّد الإحالة، لأن المعنى **يحدد** الإحالة للأوصاف المعرّفة. وهذا ليس الحال بالنسبة للإشاريات. فالإشاريات تتطلب دلالة معقدة أكثر، كما يوضّح كابلان، فيها نميّز بين أبعاد مختلفة لأهمية الدلالة. فقولُنا ببساطة إن «المعنى ليس في الرؤوس» هو قولٌ غامضٌ وغيرُ مكتمل. فهل نعني المعنى كشخصية أم محتوى؟ كمعنى لغوي مألوف أم كمحتوى مضموني؟ لم يبيّن پتنام أنَّ الشخصية ليست في الرؤوس، لذلك ثمّة نوع من المعاني في الرؤوس، فكل ما نلاحظه هو أن المحتوى المضموني ليس في الرؤوس. فبالنظر في تأويل پتنام للإشاريات باستخدام أمثلته السابقة، نجد أنَّه كان عليه أن يخْلُصَ إلى أن **جزءًا** من المعنى (الشخصية) في الرؤوس، وجزءًا آخر ليس في الرؤوس (هو المحتوى).

يتعلق السؤال الآخر بفكرة پتنام عن الحالة السيكولوجية. فپتنام يفترض من البداية أنَّ الحالات السيكولوجية في الرؤوس، ويمكن الاستنتاج من هذا أنَّ المعنى ليس سيكولوجيًّا، لأن المعنى ليس في الرؤوس بخلاف الحالة السيكولوجية. لذلك يُسلّم پتنام بأن الحالة السيكولوجية للنسخ الذرية على الأرض التوأم هي نفس الحالة السيكولوجية للبشر على الأرض. فيفترض أنّه ليس لكلا الطرفين حالات سيكولوجية مختلفة إن كانوا متطابقين جسديًّا. ولكن، هل هذا واضحٌ جدًّا؟ لقد شكّكَ البعض في هذا الافتراض الخاص بپتنام، متسائلين ما إذا كان علينا أن نستنتج بدلًا عن ذلك أنَّ الحالات السيكولوجية ليست في الرؤوس أيضًا. فلنسأل أنفسنا عمّا يعتقده البشر على الأرض وأولئك النسخ على الأرض التوأم: ما الذي أعتقده حين أقول «هذا الماء دافئ»؟ من الواضح أنّي أعتقد أن هذا الماء دافئ. كذلك نسختي الذرية على الأرض التوأم ستقول «هذا الماء دافئ» مشيرةً إلى XYZ. فهل تعتقد نسختي أنّ هذا الماء دافئ؟ بلا شك أنها لا تعتقد بأن **هذا** الماء هنا دافئ، لأن هذا الماء هنا على الأرض

لاعلى الأرض التوأم. ولكن، هل لدى نسختي أي معتقد عن مفهوم الماء عمومًا؟ لن يوجد لديها أي معتقدات، فليس لديها معتقدات «عن الماء» بصورة مطلقة. لديها فقط معتقدات عن سائل آخر، ليس الماء. فَلْنُسَمِّ هذا السائل XYZ بـ«ريتو» (retaw)، ولنَقُلْ إنَّ لديها معتقدات عن الريتو. فما تعتقده هو أن بعض الريتو دافئ. فهذا المعتقد عن شيء ما هو معتَقَدٌ مختلفٌ عن معتقدي. فلدى نسختي مفهوم الريتو ولديَّ أنا مفهوم الماء. ومن الواضح أن نسختي تلاحظ شيئًا مختلفًا عمّا ألاحظه، لأنني في حالة بصرية ترى الماء، لا تتمتع بها نسختي الذرية. فهي لا تدخل في تلك الحالة البصرية لأنها لا ترى أيَّ ماء، إذ ترى «ريتو» فقط. فلا يمكننا أن نعبّر عن رؤيتها البصرية قائلين «إنها رأت ذلك الماء في البئر».

فالحالة السيكولوجية لرؤية الماء ليست الحالة السيكولوجية التي يتمتَّع بها أيّ شخص على الأرض التوأم. كما لا يوجد على الأرض التوأم شخص لديه مفهوم «الماء» ومعتقدًا أنَّ ثمة ماء. فالحالات السيكولوجية المرتبطة بكلمة «ماء» على الأرض التوأم ليست نفس الحالات السيكولوجية التي نتمتع بها على الأرض. فلهم حالاتهم السيكولوجية المختلفة عن حالاتنا. وحتى نكون أكثر دقة، يمكننا القول إنهم يشاركوننا بعض الحالات السيكولوجية، أي المعتقدات الوصفية التي يطبّقونها على السائل الخاص بكوكبهم. ولكن لا يمكن أن يشاركونا كل الحالات السيكولوجية، فمن الخطأ ظاهريًا استخدام كلمتنا «ماء» لوصف حالاتهم السيكولوجية. فهل كان لديك أي معتقد عن المفهوم «ريتو» قبل أن تسمع عن الأرض التوأم؟ مستحيل، فكل معتقداتك تدور حول مفهوم «الماء». كما أنهم لا يفكرون في الماء الطبيعي كما يفكّرون في البركة الخاصة بالماء التي أحلْتُ إليها بـ«هذا الماء» على الأرض. إذن ثمّة حالات سيكولوجية مرتبطة باستخدام «الماء» على الأرض والأرض التوأم تختلف في محتواها، حتى وإن كان أولئك المتحدّثون نُسخًا ذرّيّةً لنا. وبهذا لا تكون الحالات السيكولوجية في الرؤوس. فحين يقول پتنام إن المعاني ليست في الرؤوس، فعليه أن يُضيف أنَّ الحالات السيكولوجية ليست في الرؤوس أيضًا، وذلك لنفس الأسباب. فمحتوى الحالات السيكولوجية ثابتٌ بحسب بيئة الشخص الواقعية؛ أي إن المحتوى المضموني الكامل

للحالات السيكولوجية ثابتٌ بصورة جزئية بسبب تفاعلات معينة مع البيئة. فلدينا إذن خارجانية عن العقل والمعنى.

ولكنَ هذا يغيّر هذه الصورة الكاملة؟ إنْ كانت الحالات السيكولوجية على الأرض والأرض التوأم مختلفة، فإن تلك الحالات **تحدد** معنى المصطلحات المستخدمة، حتى وإنْ أُخِذَ المعنى على أنه يُضمِّن شيئًا كالمحتوى الكاپلاني. فالحالة السيكولوجية لما يُقابلني تتضمّن مفهوم «ربتو»، بينما الحالة السيكولوجية التي أنا فيها تتضمن مفهوم «ماء». ولن يتحدد هذان المفهومان بحالاتنا الداخلية بصورة بحتة ولكن بانخراطنا في العالم. فهذه الحالات السيكولوجية المحدَّدَة بصورة خارجانية تُحدِّد ما نعنيه بالمصطلح «ماء». فليس ثمة انفصال بين الدلالة والسيكولوجيا؛ الانفصال يكون بين السيكولوجيا والفسيولوجيا العصبية، ولا يمكن اختزال العقل ولا المعنى في الفسيولوجيا العصبية الداخلية.

وبالعودة إلى مثال الإشارات التي تتضمن «الفيل»، قد يقول متحدث «ذلك الفيل كبير» بينما يُحيل إلى فيل «أ»، فيما سيقول متحدث آخر «ذلك الفيل كبير» بينما يُحيل إلى فيل «ب». فالمتحدث الأول يؤمن بأن «أ» كبير، بينما يؤمن الآخر بأن «ب» كبير. وقد يكون «أ» و«ب» حيوانين على قارّتين مختلفتين. فلكل متحدِّث معتقداته حول الفيل الماثل أمامه بما يجعله يقول إن «ذلك الفيل» كبير. فمحتوى المعتقد الذي لدى الشخص حين يستخدم مصطلح إشاري كهذا يتحدّد ببيئته، بالتالي لن تكون معتقداته في رأسه. هذا فقط لتطبيق الدروس المستخلصة من الإحالة المباشرة على المعتقدات والمعاني. فالمعتقد والمعنى، كما نتوقع، يسيران جنبًا إلى جنب.

في ضوء ما سبق، فإن الحالات السيكولوجية ليست في الرؤوس، والمعاني كذلك. أو على نحو أفضل، ثمة جانب من كلٍّ من المعنى والحالة السيكولوجية ليس في الرؤوس، لأنَّ ثمة جانبًا آخر في الرؤوس (أي ذلك الجانب المقابل للشخصية). فإن كانت الحالات السيكولوجية ليست في الرؤوس، فهي تحدِّد المعنى، حتى وإن افترضنا أنَّ المعنى يُحدِّد الإحالة. فحالتي السيكولوجية قد تُحدِّد إحالة مصطلحاتي وإن قَبِلنا بأمثلة

الأرض التوأم، لأن حالات الناس السيكولوجية على كلا الكوكبين تختلف، بصرف النظر عن تطابقهم الذريّ. فالحالة السيكولوجية تعكس ما في بيئة الشخص أيضًا. وبمجرد أن ندرك أنَّ الحالات السيكولوجية ليست في الرؤوس، سنرى أنَّ پتنام يخطئ في التعبير عن استنتاجه، فقد كان مُحِقًّا حين قال إن ما هو داخليٌّ فينا لا يمكن أن يُحَدِّد إحالتنا، ولكن ذلك لا يقتضي أنّ حالتنا السيكولوجية لا تحدِّد إحالتنا. فحالتنا السيكولوجية ليست داخلية (بصورة بحتة)، وعلينا أن نقبل أيضًا بـ«الخارجانية السيكولوجية» (psychological externalism).

باختصار: أخطأ پتنام حين زَعَمَ أنَّ المعنى خارج الرأس تمامًا، بسبب وجود مكون داخلي للمعنى، هو الشخصية. كما أخطأ حين زَعَمَ أن المعنى لا يتحدّد بالحالة السيكولوجية، لأن حججه تقتضي أن الحالات السيكولوجية تتحدّد خارجانيًّا كما هو حال المعنى. ما أصاب فيه پتنام هو أن السياق الخارجي يلعب دورًا حسّاسًا في تحديد الإحالة. وهذه لا تبدو خلاصة ثورية ومهمة يُعدُّ پتنام أول من أعلن عنها، لا سيّما حين نتحقّق من دلالة الإشاريات بصورة سليمة، فهي دلالة لا تحوي صحة مهمّة.

---

(42) Hilary Putnam, «Meaning and Reference», in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 275.

تارسكي ونظرية الصحة

8.1 خلفية

لقد مررنا على مفهوم «الصحة» (truth) في مواضع عدة، ولكننا لم نقل شيئًا عن الطريقة التي نفهم بها هذا المفهوم. فما هي الصحة؟ تعود أصول «نظرية الصحة» (Theory of Truth) التي نحن بصدد دراستها إلى عام 1933م حين اقترحها عالم المنطق الرياضي البولندي «ألفرد تارسكي» (Alfred Tarski) في مقالة معقدة وطويلة بعنوان «مفهوم الصحة في اللغات المُمنهجة» (The Concept of Truth in Formalized Languages). مع هذا فإن المقالة التي سندرسها هنا هي «التصور الدلالي للصحة» (The Semantic Conception of Truth) والتي نشرها تارسكي عام 1944م. فرغم صعوبتها إلى حدٍّ ما، إلا أنَّ هدف تارسكي من نشْرِها أن تكون عرضًا مُبسّطًا لنفس الأفكار التي وردت في مقالته الأصلية الأكثر صعوبة. يقول تارسكي في بداية تلك المقالة إنَّه يعود إلى فكرة الموضوع لمقالته السابقة، والتي كانت بمثابة رسالة في المنطق الصوريّ. فالمقالة الأصل صعبة على القرّاء ما لم يتمتّع القارئ بمرجعيّة قويّة في المنطق الرياضي، فتلك الرسالة مُساهمة كبيرة في المنطق البحت. كما إنها أيضًا مهمة من الناحية الفلسفية، لذلك يرى القرّاء أنها إنجاز تاريخي عظيم في النظرية الفلسفية للصحة. فقد جعلت دراسة الصحة أكثر حيوية وأكثر انصياعًا للمعاملة المنطقية، كما أدخلت الفلسفة في الرياضيات! وقد شعر كثيرٌ من الفلاسفة بعدها بأننا لم نَعُدْ بحاجة إلى هواجس حول توظيف فكرة الصحة فقد منحنا تارسكي تعريفًا دقيقًا وصارمًا لها. لذلك، تبنَّى «دونالد ديفيدسن» (Donald Davidson) نظرية تارسكي ليقدم نظرية معنى للغات الطبيعية، كما سنرى في الفصل القادم. إن من الممكن القول إن تارسكي قد روّض الصحة وجعلها «علمية»، وهذا بحد ذاته مفخرة، إذ صارت صفة «التارسكية» بمنزلة صفة «الفريغية»، فنجد «النظرية التارسكية للصحة» و«النظرية الفريغية للمعنى».

مع هذا لا يزال ثمّة جدل واسع حول ما أنجزته نظرية تارسكي، سواء كنظرية للصحة أو نظرية للمعنى. وقبل الخوض في تبيان ذلك الجدل، نحن بحاجة لفهمٍ دقيقٍ لما تقوله نظرية تارسكي أولًا. لذلك، فإنَّ أفضل ما يمكننا فعْلُه هو أن نُصغي فقط لما تقوله كلمات تارسكي، وهذا ما سنقوم به فيما يلي من صفحات.

دعنا أولًا نتحدّث قليلًا عن الأجواء التي نشأ فيها مقترح تارسكي. فقد تمَّ اقتراح عديدٍ من النظريات المختلفة عبر تاريخ الفلسفة: النظرية الاتّساقية للمعنى والنظرية التقابلية للصحة والنظرية التداوليّة للصحة. تقول «النظرية الاتّساقية» (coherence theory) إن المضمون صحيح إذا وفقط إذا اتَّسَق المضمون مع مضامين أخرى يؤمن بها الشخص. فبحسب معايير تلك النظرية، يكون المعتقد صحيحًا إذا وفقط إذا كان ذلك المعتقد متَّسِقًا مع المعتقدات الأخرى للمتحدّث. فالصحة إذن مسألة علاقة منطقية بين مضامين يؤمن بها المتحدث.

أما «النظرية التقابلية» (correspondence theory)، فتقول إنَّ المعتقد صحيح إذا وفقط إذا كان ذلك المعتقد يقابل الحقائق. فيقول تارسكي معيدًا صياغة النظرية التقابلية إنَّ المضمون صحيحٌ إذا عيّن حالة راهنة معينة: أيْ إذا كان يُحيل إلى الحالة الفعليّة للواقع. وقد سُمّيَت تلك النظرية بالتقابلية لأنها تتحدّث عن العلاقة بين المضمون وأشياء أخرى في العالم خارج المضمون، سواء كانت تلك الأشياء حقائق أو حالات راهنة أو أشياء من نوعٍ ما. فتلك هي الأشياء التي توجد في العالم، والمضمون الصحيح هو ما يُقابلها. فالفكرة هنا ليست اتساقية بين المعتقدات، ولكنها مماثلة لشيء خارج المعتقدات.

أما النظرية الثالثة فمرتبطة بـ«فلسفة الذرائع الأمريكية» (American Pragmatism) وهي «النظرية التداولية للصحة» (pragmatic theory of truth). وهذه النظرية تقول إن المضمون صحيحٌ إذا وفقط إذا كان من المفيد تصديق ذلك المضمون. بعبارة أخرى، يكون المضمون صحيحًا إذا وفقط إذا كانت مخططات الإنسان ومشاريعه ستنجح أكثر بتصديق ذلك المضمون وستفشل بعدم تصديقه. فالصحة «منفعة» (utility). والمعتقد الصحيح يزيد المنفعة، فيما يقوم المعتَقَدُ الخاطئ بتقليصِها.

فمثلًا، إذا كنتُ أعتقد اعتقادًا خاطئًا بأنني أستطيع القفز من على بناية طويلة وأطير في السماء، فذلك سينتهي إلى تدنّي المنفعة إذ إنني سأسقط حتمًا على الأرض. باختصار، المعتقدات الصحيحة هي التي تزيد المنفعة.

دعنا الآن نستعرض الاحتجاجات النموذجيّة لهذه النظريات. تكمن مشكلة النظرية الاتّساقية في أن المعتقد قد يكون متَّسِقًا مع المعتقدات الأخرى ولكن قد تكون جميعها معتقدات خاطئة. فالاتّساق وحده لا يجعل المعتقد صحيحًا، لأن المضامين الخاطئة قد تكون متسقةً مع بعضها البعض (فالمعتقد القائل إن الأرض مسطّحة متسقٌ مع المعتقد القائل إنك ستسقط من حافتها إن سافرتَ بعيدًا، وكلاهما معتقدان خاطئان). فالاتساق مجرد علاقة بين معتَقَد وآخر، ولا يهتمّ بما إذا كان كلاهما يناسبان الواقع الموضوعي. فقد يكون للشخص معتقدات متَّسِقَة تمامًا وجميعها خاطئة. فإن أردْنا الصحة، فعلينا أن نستحضر أشياء تقع خارج المعتقدات.

وتعاني النظرية التداولية من نفس المشكلة، فقد يكون لديَّ معتقدٌ عن شيء ويكون مفيدًا لي، مع إنَّ ذلك المعتقد خاطئ. فيمكننا تخيُّل شخصٍ يعيش في مجتمعٍ يتم فيه الاحتفاء بمعتقدات معينة وإقصاء معتقدات أخرى. ففي روسيا الشيوعية، مثلًا، إذا كنتَ تعتقد بأن البرجوازيين أشرار، فذلك معتَقَدٌ محتفًى به على الأرجح؛ وإن كنت تعتقد بأنهم فضلاء، فأنت تؤمن بمعتقد يعرّضك للعقوبة. فمن المفيد أن تلتزم بالمعتقد الأول لا الآخر، ولكن: هل ذلك يعني أنَّ المعتقد الأول صحيح والآخر خاطئ؟ إذن، لا تصطدم المنفعة دائمًا بالصحة، فهما عمومًا مترابطان في أحسن الأحوال.

ينظر أغلب الفلاسفة إلى النظرية التقابلية على أنها النظرية الأفضل، كونها تقبض على الفكرة القائلة إنَّ الصحة تعتمد على الواقع الموضوعي لا علينا نحن. مع ذلك، تبقى المشكلة التي تعاني منها النظرية التقابلية قضايا تقنية للغاية تتعلق بما هي «الحقيقة» (fact) وما الذي يوازي العلاقة التقابلية. هل «الحقائق» (facts) مركبات من الأشياء والصفات؟ وكيف نُعدّدها؟ وكيف تختلف عن المضامين الصحيحة؟ هل هي حقائق عامة أم حقائق سلبيّة؟ إن من الصعب إيجاد صياغة واضحة وصحيحة

للفكرة الثاوية وراء التقابُل مع الواقع. هل هو نوع من التسمية، أم نوع من التشاكلية؟ لقد نذر تارسكي نفسَهُ لتوضيح النظرية التقابلية عمومًا، فلندلف إلى توضيحاته بصورة مباشرة.

8.2 معايير تارسكي للمقبولية

من المفترض من نظرية تارسكي أن تُزيل كل هذا الغموض والالتباس حول الصحة وإبدال ذلك بنظرية منطقية نظيفة دون أي مشكلة من المشاكل السابقة. فالمرجو منها أن تقدم تعريفًا منطقيًا نظيفًا وجميلًا عن الصحة، ولهذا السبب صارت محبوبة عند الجميع أو بالأحرى عند أغلبيتهم. يقول تارسكي في بداية مقالته إننا إذا أردنا التوصل إلى تعريفٍ مُرضٍ للصحة فإننا بحاجة أولًا لمعرفة ما يهدف التعريف إلى تحقيقه، فحينها يمكننا أن نحكم على التعريف بصورة سليمة. ثم يدلف مباشرةً إلى طريقته في تعريف الصحة. إذن، نحن بحاجة إلى أن نُحدد ماذا نريد أن تفعله النظرية وما الشروط التي تجعلها «مقبولةً» (acceptable).

يميّز تارسكي هنا بين اختبارين يؤكّدان ما إذا كانت نظرية الصحة مقبولة أم لا. ويسمّي هذين الاختبارين بـ«الاكتفاء الماديّ» (material adequacy) و«الصواب المنهجيّ» (formal correctness). فعلى أي نظرية جيدة للصحة أن تكون مكتفية ماديًا وصائبة منهجيًا. ويعني الاكتفاء المادي ببساطة أنه على التعريف (بنص تارسكي) «أن يقبض على المعنى الفعليّ» لكلمة «صحيح» (true). بعبارة أخرى، على النظرية ألا تنصَّ على معنى جديد لكلمة «صحيح»، أو تبحث عن إعادة صياغة لمعناه؛ فعلى التعريف أن يقبض حقًا على ما تعنيه كلمة «صحيح» حين نستخدم تلك الكلمة. ربما ترى بأن هذا متطلبٌ تافهٌ، لأننا إن كنا بالفعل نحاول أن نعرف كلمة من كلمات اللغة العادية، فعلينا أن نحاول القبض على ما تعنيه بالفعل. وستكون على حق هنا: إذا حاولنا أن نعرف كلمة «يعرف» (know)، على سبيل المثال، فعلينا أن نقبض على المعنى الفعليّ لتلك الكلمة. ألا يريد كل فيلسوف مهتمّ بتعريف كلمة معينة أن يكون تعريفه «مكتفيًا ماديًا»، أي إنَّه يقابل ما تعنيه الكلمة بالفعل؟ أحيانًا، يرى البعض أنَّ ثمة نفحة تقنية غامضة تلُفُّ مفهوم تارسكي عن الاكتفاء

المادي، ولكنه يقصد ببساطة القبض على مفهوم الصحة الذي نعرفه بالفعل. وسنرى لاحقًا أن لديه صياغة أكثر تقنيةً للاكتفاء الماديّ، ولكن لنبدأ بما يعنيه ببساطة حين يقول إنَّ التعريف يجب أن يكون «دقيقًا» (accurate)[43].

أما عبارة «صائب منهجيًا»، فيقصد بها تارسكي أهمية ألا يكون ثمة أخطاء منطقية في التعريف. فعلينا أن نحدد التركيبة المنهجية للغة التي نستخدمها. فمثلًا، يجب ألا يقع التعريف في «التباسات الاستخدام والذكر» (use-mention confusions). فعلى النظرية أن تُصاغ بطريقة لا تكون فيها مُتَّهمة بأيّ عيوب منطقية أو عدم وضوح. وهذا مرة أخرى متطلَّب مألوف، علينا تطبيقه على أيّ تعريف فلسفيّ لأي مفهوم. فلا يجوز أن يكون التعريف غير صائبٍ منهجيًا. فقد عُنِيَ تارسكي في حالة الصحة بالتناقضات التي قد تظهر من كلمة «صحيح» (كما هي تناقضات الكاذب الذي يقول «لا أقول شيئًا صحيحًا»)، وعُنِيَ على وجه الخصوص باجتناب السقطات اللغوية.

تتعلق الفكرة التالية التي طرحها تارسكي بتطبيقات كلمة «صحيح». فالمسند «هو صحيح» (is true) يبدو لنا من وجهة نظرة صيغته النحوية كالمسانيد من قبيل «هو أحمر» (is red). فالمسند «هو أحمر» يعطي صفة الاحمرار للشيء. وعلى نفس النهج، يظهر بأن مسند «هو صحيح» يُعطي صفةً للشيء الذي يُحيل إليه. لذلك، تكون الصحة صفة مُعبّر عنها بمسند كما يُعبّر عن صفة «الاحمرار» بمسند آخر. ولكن لأيّ شيءٍ تكون الصحَة صفة؟ يقول تارسكي إن كلمة «صحيح» قد تنطبق على أشياء مختلفة، وذكر ثلاثة من تلك الأشياء. فقد تنطبق أولًا على المعتقدات، وهي حالات سيكولوجية: فيمكننا القول إنّ معتقداتنا صحيحة (أو خاطئة). وقد تنطبق على المضامين، وهي المحتويات المجرَّدَة للمعتقدات. فمثلًا، يمكننا القول إنَّ المضمون القائل إنَّ الثلج أبيض مضمون صحيح، ونحنُ هنا لا نقول شيئًا حول معتقدات شخص. فإن طبّقنا كلمة «صحيح» على مضمون، نطبّقها على شيء لا يعتمد على لغة معينة أو على مؤمن معين. فقد يُعبَّر عن نفس المضمون بجمل مختلفة في لغات مختلفة، أي بجمل مترادفة أو ترجمات دقيقة. فالمضمون نوع من كيان

مجرد يمكننا عزو الصحة إليه. ولكن علينا أن نعزو الصحة، كما يقول تارسكي، إلى الجمل، فهي كيانات لغوية ملموسة. يمكننا أن نقول إن جملة «الثلج أبيض» (snow is white) صحيحة، لأن تلك الجملة مُشكَّلة من سلسلة من العلامات والأصوات، أي إنها كيان جسدي ملحوظ.

كما إن الجملة السابقة تحوي إحالةً إلى جملة، على خلاف الجملة السابقة لها. فباستخدام علامات التنصيص، نحيل إلى جملة «الثلج أبيض». وحين نطبّق المسند «هو صحيح» على الجملة، علينا أن نضَعَ تلك الجملة في علامتي تنصيص. بالتالي نخلق اسمًا للجملة نُلصق بهِ المسند «هو صحيح». لذلك، يُسَمّي تارسكي الجمل كثيرًا في نظريته. فالمعروف عن الجمل أنها تعتمد على اللغة على خلاف المضامين، فهي ليست مألوفةً بين اللغات كحال المضامين. وهذا بالتالي يُغيّر منطق كلمة «صحيح» حين نطبّقه على الجمل بدلًا من المضامين. فنحن هنا نطبّقه على العربة الملموسة التي تحمل المضامين، لا المضامين المُضلّلة نفسها. ويمكننا أيضًا تطبيق «صحيح» على «الممارسات الكلامية» (speech acts) التي تؤدَّى بقول جُملٍ تلعب دور التصاريح أو التأكيدات. فيمكن أن يُقال إن كل هذه الأشياء صحيحة أو خاطئة، على الرغم من تنوعها. لذلك، يُعلن تارسكي أنه يأخذ «صحيح» ويطبّقها على الجمل، حتى يُعرّف «الصحة» حين تُطبق على الجمل. لهذا، سيكون مصداق المسند «صحيح» هو نوع الجمل الصحيحة. وهذا يؤثّر كما سنرى على صيغة تعريفه، خصوصًا فيما يتعلّق باستخدام الاقتباسات.

8.3 أرسطو والنظرية الفائضة

يشرح لنا تارسكي كيف توصّل إلى الإلهام الذي أنتج نظريته حين عاد إلى أرسطو:

> علينا أن نُفضّل تعريفنا لننصف الحدوسات التي تتمسك **بالتصور الأرسطي الكلاسيكي للصحة** - فهي حدوسات تجد تعابيرها في الكلمات الشهيرة الواردة بكتاب أرسطو «**الميتافيزيقا**»: **لنَقُلْ عن الشيء الذي ليس هو أو عن غير الشيء الذي هو، أنه**

لْ عن الشيء الذي هو، أو عن غير الشيء الذي ليس هو، بأنه خاطئ[44].

وللتبسيط، يمكننا أن نحذف جزء النفي من صياغة أرسطو ونعبر عن جوهر نظرة تارسكي. فالصحة هي أن تقول عمّا هو شيء بأنه شيء، فهذه فكرة أرسطو الأساسية. فإن كان الشيء «هذه الطاولة بُنيّة» فمن الصحيح أن نقول إنّ الطاولة بُنّيَة. وهذا يبدو صحيحًا وهو أساس ما نسمّيه الآن بـ«النظرية الفائضة للصحّة» (redundancy theory of truth). فأنْ تقول إن جملة صحيحة مثل أن تقول إن الأشياء فيها تكون على ما تقوله الجملة، هكذا ببساطة. فيمكننا ببساطة إعادة قول الجملة.

لم يذكر تارسكي بنفسه هذا النوع من النظرية بالاسم رغم أن النظرية التي اقترحها نسخة واضحة من النظرية الفائضة. فلنفترض أنَّ متحدثًا يقول «الثلج أبيض»، فيرد عليه مستَمِعُه بـ«نعم، ذلك صحيح». فما الذي يعنيه مستمعه حين يقول ذلك؟ لقد كان بإمكانه أن يقول «نعم، الثلج أبيض»، ولكنه بهذا سيجعل الجملة طويلة وسيكون عليه تكرار ما يقوله المتحدث. فمن الأسهل أن يقول «ذلك صحيح». فبقوله «ذلك صحيح»، يمكنه أن يُعيد تأكيد كل ما قاله المتحدث الأول بصيغة مختصرة. لهذا يمكننا اختصار اتفاقنا مع ما يقوله شخص ما باستخدام المسند البسيط «هو صحيح». فلسنا بحاجة أن نرهق أنفسنا بقول كل شيء من جديد. فهذه القطعة من آلية اللغة تقلّل حاجتنا لتكرار كل شيء يقوله شخص آخر. كما إنه من المفيد جدًّا أن نقول جملة من قبيل «نظرية آينتشاين النسبية صحيحة»، فهذا يُعفينا من أن نوضّح كل ما في النظرية النسبية. لذلك يرى تارسكي أنَّ الجمل التي تحوي «صحيح» مرادفة للجمل التي تنطبق عليها تلك الكلمة. فالكلمة لا تضيف شيئًا إلى محتوى الجمل التي تنطبق عليها. فالفكرة تقول إن كلمة «صحيح» بالتحديد كلمة فائضة، نجدها في لغتنا ونستخدمها لأغراض عملية، ولكن من الممكن الاستغناء عنها.

بهذا نصل إلى «الشرطية الثنائية» (biconditional) عند تارسكي:

]جملة[«الثلج أبيض» صحيحة إذا وفقط إذا الثلج أبيض.

«Snow is white» is true if and only if snow is white

فالمسند «هو صحيح» بالتحديد فائض لأن نتيجة تطبيقه على الجملة يُنتج شيئًا مشابهًا لتلك الجملة نفسها. فيمكننا أن نقول «جملة «الثلج أبيض» صحيحة» أو ببساطة «الثلج أبيض». فبأيّ طريقة نقولها، نكون قد قلنا نفس المقصود. فجملة « «الثلج أبيض» صحيحة» **تعني نفس الشيء الذي تعنيه** جملة «الثلج أبيض».

هذه مدارك النظرية الفائضة والتي قد تُسمَّى بـ«نظرية الاختفاء» (disappearance theory) أو بـ«النظرية اللا اقتباسية» (disquotational theory). فكأنما يُجرِّد المسندُ «هو صحيح» الجملةَ من علامتي التنصيص حولها وبالتالي تختفي في الفضاء. فنحن ننزع علامتي الاقتباس من الجملة ونكتبها مجددًا بعد «إذا وفقط إذا» وبالتالي نظفر بتعريف «صحيح» حين ينطبق على «الثلج أبيض». ولكن قبل الدخول في التقنيات التارسكية التي تحوي شرطيات ثنائية لا اقتباسية، دعنا نتحدّث قليلًا حول النظرة الأرسطيّة للصحة، كما يفهمها تارسكي. ففي الواقع إن تلك النظرة تُنسَب دومًا إلى فريغه، بناءً على هذا المقطع من «عن المعنى والإحالة»:

> «فكرة أن العدد 5 عدد أصلي صحيحة» تحتوي على فكرة، وهي في الواقع نفس الفكرة التي تقول إنَّ «5 ببساطة هي عدد أصلي». لذلك، فإن علاقة الفكرة بـ«الصحيح» قد لا تُقارن بذلك المكوِّن للفاعل في المسند[45].

يزعم فريغه أنَّ جملة بصيغة «ج هي صحيحة» (S is true) تعبّر عن نفس الفكرة التي تعبّر عنها «ج»[46]. وبالطبع، فإن القول بأنها تعبِّر عن نفس الفكرة هي طريقة أخرى للقول إنها مترادفة. لذلك، فإن معنى جملة « «الثلج أبيض» صحيحة» مطابقة لمعنى جملة «الثلج أبيض» لأنهما تعبّران بالضبط عن نفس الفكرة، كما أنهما مترادفتان لبعضهما البعض. فشرطيّة الصحة الثنائية عند تارسكي مجرد تعبير منظّم لهذه الفكرة الفريغية.

وعلى العكس، تخبرنا النظرية التقابلية بأن جملة «الثلج أبيض» صحيحة إذا وفقط إذا كانت تقابل الحقيقة القائلة إن الثلج أبيض. وهنا نستحضر، إلى جانب الثلج والبياض، كيانات تسمَّى «حقائق» (facts) وعلاقة تسمى «التقابل» (correspondence). وهذا يطرح أسئلة منطقية وفلسفية، إذ ليس علينا مع نظرية تارسكي أن نرهق أنفسنا بمثل هذه الأسئلة. فلا حاجة لنا أن نستحضر مفاهيم التقابُل والحقائق.

علينا فقط تكرار «الثلج أبيض» بعد «إذا وفقط إذا». وكون الثلج أبيض أمرٌ ليس إشكاليًّا من الناحية الفلسفية، لأننا نعرف أن ذلك سَمْتُه، فليس ثمة مشكلة فلسفية معينة في كون الثلج أبيض. وهذا شرح بسيط ومنساب عمّا تكونه الصحة، مع عدم استخدام أفكار ملتوية. فقد أعدنا الصحة إلى أساسيّاتها. والسؤال الحقيقي الوحيد هو سؤال تقني عن كيفية تطبيق هذا التعريف على أنواع متعددة من الجُمَل. فليس ثمة الكثير فيما يخص مفهوم الصحة أكثر مما يخصّ الجُمَل الاعتيادية وعمّا تتحدّث عنه بصورة اعتيادية.

يكمن جمال هذه النظرية في تفاهتها. فلا تتطلَّب منّا تحليلًا مفهوميًا معقدًا أو أفكارًا جدلية، مع إن تارسكي لم ينجح في التعبير عن هذا الجانب من نظريته. فيبدو أنه يرى نظريته كصيغة من النظرية التقابلية. انظر ما يقوله في المقطع التالي:

> «إن أردنا أن نطوّع أنفسنا للمصطلحات الفلسفية الحديثة، فيمكننا التعبير عن هذا التصور (الأرسطي) باستخدم صيغ مألوفة: فحقيقة جملة تعتمد على توافقها مع (أو تقابلها لـ) الواقع[47]».

يرغب الكثير من الفلاسفة وبصورة حاسمة أن يميزوا بين تصور فريغه وأرسطو للصحة وبين النظرية التقابلية السابق ذكرها. فالنظرة التي يصفها هنا تارسكي تسمى بنظرية التقابل، لأنها تتحدث عن علاقة «توافق» بين الجُمَل وما يُسمى بـ«الواقع»، ولكن نظريته لا تستخدم هذه المصطلحات. فالفكرة تكمن في تجنُّب كل ذلك بتبَنّي نظرية فائضة للصحة. فيبدو أنَّ تارسكي يخلط بين النظرية التقابلية الكلاسيكية

والنظرية الفائضة. فالنظرية الأخيرة تعامل كلمة «صحيح» على أنها جهاز فائض بالأساس، بينما النظرية الأولى ترى الصحة على أنها علاقة تقابلية كبيرة بين الجُمَل من ناحية والحقائق والحالات الراهنة الموجودة والواقع من ناحية أخرى. وسنرى لاحقًا كيف أنَّ لنظرية تارسكي الفعليَّة شكلًا مختلفًا تمامًا.

حتى نبدأ الحديث عن تفاصيل نظرية تارسكي، علينا أولًا أن نحلل الصيغة المنطقية الأساسية لشرطياته الثنائيّة عن الصحة. فصيغتها المنطقية المجردة كالتالي:

س صحيح إذا وفقط إذا پ

x is true if and only if p

يتم تعيين الحرف «س» (x) في المنطق للمتغيّرات الفردية بصورة خاصة. فالمتغيّرات الفردية هي ما يشغل مكان الأسماء والأوصاف والضمائر. إذن، فحرف «س» متغيّر يشغل مكان مصطلح مفرد. وبلا شك فإن المصطلح المفرد جزء من الجُملة وليس الجُملة كاملة. وبالنظر في الجزء اليساريّ للشرطية الثنائية، على سبيل المثال « «الثلج أبيض» صحيحة»، يمكننا أن نرى بأنها تحمل صيغة «س هي ص» (x is T)[48]. فالجزء الذي اقتبسنا فيه الجُملة هو مصطلح مفرد وبالتالي يمكن أن يتبدّل بمتغير. فإن أردنا أن نعطي الجُملة اسمًا، فسنقول «بيرت» (Burt). وبالتالي، يمكننا أن ننصَّ على أن «بيرت هو الجُمْلة الإنغليزية: الثلج أبيض». وعلى هذا، يمكننا صياغة الشرطية الثنائية على النحو التالي: «بيرت صحيح إذا وفقط إذا الثلج أبيض». ومن الناحية المنطقية، يُحوّل الاقتباس الجُمْلة إلى مصطلح مفرد يُعيّن نفسه. فتكون الصياغة المنطقية لـ«الثلج أبيض صحيحة»: «س هي ص» (x is T). وبالأسلوب المنطقي المعروف، فذلك سيكون «ف-أ» (Fa)، حيث إن «أ» اسم و «ف» مسند (كما في «جون أصلع»). بعبارة أخرى، هي جملة من مسند وفاعل.

مع ذلك فالجُمْلة في الجانب الآخر لـ«إذا وفقط إذا» لا تحوي مصطلحًا مفردًا للجملة، فهي مجرد جملة مستخدمة تُحيل إلى الثلج والبياض. ولهذا السبب، تكون المتغيرات المستخدمة عادةً: «پ» (p) و«ك» (q).

فمن الناحية التقليدية، تقوم هذه الأحرف نيابةً عن المضامين أو الجُمَل الكاملة، لا المصطلحات المفردة. لذلك سترى وظائف الصحة تربط الأحرف «پ» (p) و«ك» (q) كما في «پ وك» (p and q). وسيكون من الخاطئ تمامًا أن نضع موَصِّل الجُمَل «و» (and) بين مصطلحات مفردة تُعيّن الجُمَل، لأن «و» (and) موَصِّل جُمَل يربط بين الجُمَل فقط. فليس من الملائم أن تضع المتغير «س» (x) على جانب و«ص» (y) على الجانب الآخر. لأننا إنْ أوّلنا «س» (x) و«ص» (y) بالطريقة المعهودة، فستكون متغيرات تشغل مكان أسماء الأشياء. وبالطبع، فالأسماء والجُمَل ليسا في نفس الفئة الدلالية.

بهذا، سيكون الشيء الموضوع على الجانب الأيمن جملة وسيكون المتغير الملائم له «پ». وأحيانا يُسمّى حرف «پ» في المنطق بالحرف التخطيطي» (schematic letter). إذن، فالحرف «س» على اليسار متغير فردي يتراوح بين الجُمَل، فيما يكون الحرف «پ» على اليمين متغيّر جملة أو حرفًا تخطيطيًا خاصًّا بالجُمَل[49]. هذه هي الصيغة المنطقية للجمل التي يسمّيها تارسكي بـ«متكافآت الصيغة ص» (equivalences of the form T). فحرف «ص» (T) يُحيل إلى «الصحة» (truth) بصورة واضحة. بالتالي يكون لدينا الصيغة العامة التالية «س هي ص إذا وفقط إذا پ» (x is true if and only if p). ولهذه الجُمْلة ذات الشرطية الثانية صيغة «ك إذا وفقط إذا پ» (q if and only if p). وبما أن جملة «س صحيحة» (x is true) هي جملة، فيجب أن تُستبدل بمتغيّر جملة، ولكنها تحوي متغيّرًا فرديًا «س» (x) يقوم مقام أسماء الجُمَل. فالفكرة الأساسية هنا أن لدينا على الجانب الأيسر اسم جملة متضمن في الجُمْلة ولدينا على اليمين جملة فقط، مع إن هذين متكافآن. بعبارة أخرى، جملة «الثلج أبيض صحيحة» مكافئة لجملة «الثلج أبيض». وتُعمم الصيغة المنطقية «س هي ص إذا وفقط إذا پ» (x is T if and only if p) ببساطة على هذه الحالة.

إن الشيء الذي يجب الاعتراف بفضل تارسكي فيه هو دقّته حول مسألة «الاستخدام» (use) و«الذكر» (mention): بمعنى الفرق بين استخدام الجُمْلة بالطريقة المألوفة للتصريح بشيء وبالإحالة إلى الجُمْلة

(أي بذكرها). فبتوظيف تلك المصطلحات، نستطيع أن نقول إن جملة «الثلج أبيض» على الجانب الأيسر من الشرطية الثنائية تُذكر ولا تُستخدم؛ بينما تُستخدم جملة «الثلج أبيض» ولا تُذكر على الجانب الأيمن[50]. وهذا كله عن طريق التأكد بأن تعريف الصحة «صائب منهجيًا».

8.4 لغة الأشياء والميتا لغة.

ثمة مصطلحات منطقية من المهم استيعابها للانبراء لنظرية تارسكي، أعني هذا التمييز بين «لغة الأشياء» (object language) و«الميتا لغة» (metalanguage). فلغة الأشياء هي اللغة التي نتحدثها حين نصوغ تعريفنا للصحة في لغة معينة. وحتى الآن، كانت لغة الأشياء لدينا هي الإنغليزية، لأن جملة «الثلج أبيض» (snow is white) جملة إنغليزية. ولكن قد تكون فرنسية أو إيطالية أو صينية. إنها أي لغة نتحدث بها، وتنطبق على جملها كلمة «صحيح». فنحن نُحيل إلى جُمَل لغة الأشياء باستخدام علامتي التنصيص، على أنه ليست تلك هي الطريقة الوحيدة.

أما الميتا لغة، فهي اللغة التي نستخدمها للحديث عن لغة أخرى. فحتى الآن، كانت الميتا لغة لدينا هي الإنغليزية، وقد تكون أيّ لغة أخرى. فالمتحدّث الفرنسي المهموم بتعريف الصحة في الإنغليزية، سيستخدم الإنغليزية بدور لغة الأشياء، بينما سيستخدم الفرنسية بدور الميتا لغة. ويكمن الفرق ببساطة بين لغة نتحدث بها ولغة نستخدمها للتحدُّث عن لغة معينة. وحتى الآن، فإن لغة الأشياء والميتا لغة الخاصة بنا هي نفس اللغة، أي الإنغليزية، مع إن ذلك ليس الحال دائمًا. فقد تكون لغة الأشياء الخاصة بنا هي الفرنسية والميتا لغة الخاصة بنا هي الإنغليزية. فمثلًا، يمكننا أن نقول إنَّ «الثلج أبيض (باللغة الفرنسية) صحيحة إذا وفقط إذا كان الثلج أبيض (باللغة الإنغليزية)» ("La neige est blanche is true if and only if snow is white). ويمكننا أيضًا أن نتحدث عن اللغة المرّيخية باللغة السواحلية حين نصوغ نظريتنا التارسكية عن الصحة لسكان المرّيخ. فهذا المصطلح يُعيننا على الالتزام باللغة التي نتحدث بها (لاحظ أنه يمكننا أيضًا التحدث عن الميتا لغة، فنستخدم

الآن ميتا ميتا لغة meta-metalanguage). وكوننا نستخدم الإنغليزية كلغة أشياء وميتا لغة لا يعني أنّه علينا تجاهل الفرق بينهما.

يُسمّي أغلب الفلاسفة الشرطيات الثنائية التارسكية بـ«جمل-ص» (T-sentences)[51]. ويمكننا باستخدام هذا المصطلح أن نقول إن جملة-ص هي جملة ميتا لغة تَذكُر (على اليسار) جملة لغة أشياء. وبالتالي، **نستخدم** الميتا لغة **لنذكر** لغة الأشياء حين نكتب «جملة-ص». فمن النقاط التي يطرحها تارسكي في هذا الصدد أنه بما أننا نُطبِّق كلمة «صحيح» على الجُمَل لا المضامين والتصريحات والمعتقدات، فعلينا إذن أنْ نُتفِّه من مسند الصحة. فقد تكون جملة «الثلج أبيض» من حيث المبدأ صحيحة في لغة ما، وغير صحيحة في لغة أخرى، فقد تعني نفس العلامات والأصوات في لغة مختلفة أشياء أخرى. ففي الإنغليزية، تعني جملة «الثلج أبيض» أن الثلج أبيض، وبما أن الثلج أبيض، فتلك الجُمْلة صحيحة في الإنغليزية. ولكن لنفترض أنَّ ثمة لغة أخرى تحوي نفس الجُمْلة من الناحية الصوتية والشكلية، ولكن بمعنى آخر، فلتَقُلْ إن الثلج أسود. بالتالي، ستعني جملة «الثلج أبيض» في تلك اللغة أنَّ الثلج أسود، ولكن الثلج ليس أسودَ، فالجُمْلة إذن خاطئة في تلك اللغة. إننا بحاجة ماسّة لنكتب «جمل-ص» كالتالي: «س صحيح في ل إذا وفقط إذا ب» (x is T in L if and only if p)[52]. ونحن الآن مندهشون منطقيًّا. فالجُمْلة-ص للغة الثانية (ولنسمّيها توينجليزية Twenglish) ستُقرأ على النحو التالي: «الثلج أبيض» صحيح في التوينجليزية إذا وفقط إذا الثلج أسود» ('Snow is white' is true in Twenglish if and only if snow is black).

ليس علينا أن نجعل الصحة نسبية حين نطبّقها على التصريحات والمعتقدات والمضامين، لأنها لا تعتمد على اللغة. فالمضمون يقول إنَّ الثلج أبيض صحيح إذا وفقط إذا الثلج أبيض، نقطة على السطر. وقد تم هنا تضمين المعنى. فالمضمون لا يتنوّع في المعنى بين اللغات، لأنه ليس جزءًا من اللغة (وهو نفس حال التصريحات والمعتقدات، فمضمونها يُضمّن). ولكن إذا كنّا نعرّف «صحيح» على أنه ينطبق على الجُمَل التي نتصوّرها كعلامات وأصوات، فنحتاج إذن أنْ نُتفِّه مسند الصحة،

بسبب تنوعات محتملة خاصة بالمعنى من لغة لأخرى. وهذا ببساطة لأن الجُمَل في ذاتها ليست شخبطات وصرخات بلا معنى.

8.5 كيف نشتَقّ جمل-ص

ما بين أيدينا حتى الآن شيئان: تعليل فلسفي مُستَلّ من أرسطو وفريغه للتركيز على جمل-ص، وبعض التوضيحات عن المكانة المنطقية لجمل-ص وكيفية تحليلها. ليس لدينا حتى الآن نظرية للصحة. ومن هنا يبدأ اقتراح تارسكي على النحو التالي: يكون تعريف كلمة «صحيح» في أيّ لغة مكتفيًا ماديًّا وصائبًا منهجيًّا إذ تضمَّن الجُمَل-ص في تلك اللغة. بعبارة أخرى، خُذْ جميع الجُمَل (الخبرية) في الإنغليزية واكتب جملة-ص لكل من تلك الجُمْلة. سيكون لدينا كل الجُمَل-ص مُقابلة لكل الجُمَل في الإنغليزية. فالتعريف المناسب للصحة، الذي يقترحه تارسكي، هو نظرية تتضمَن كل الجُمَل-ص. وهنا يُمهّد تارسكي لفكرة «التعريف الجزئي» (partial definition). فما يقوله هو أن جملة-ص لجملة «الثلج أبيض» (مثلا) تُعرِّف كلمة «صحيح» جزئيًّا فيما يخصّ تلك الجُمْلة؛ بهذا قدَّمنا تعريفًا للكلمة «صحيح» لجملة «الثلج أبيض». فإن أخذنا الآن جملة «العشب أخضر» (Grass is green)، وكتبنا جملة-ص الخاصة بها، فسنكون قد عَرَّفنا كلمة «صحيح» جزئيًّا لتلك الجُمْلة، وهكذا ودواليك. فكلٌّ من هذه تعاريف جزئية، مجموعها هو التعريف الكامل للكلمة «صحيح» في الإنغليزية. فإن حصلنا على المجموع الكامل، سنوضِّح ما الذي يعنيه قولنا إنَّ جملة معينة في الإنغليزية صحيحة. فذلك الهدف الأسمى لنظرية تارسكي. فالتعريف الكامل والصائب لكلمة «صحيح» هو ما يتضمن كل التعاريف الجزئية. فنحن فقط بحاجة لأن نجمعها معًا لنصل إلى ما نريد.

قد يقفز أحد الطلاب المتميّزين في المنطق عند هذه النقطة ويقول إن ثمة طريقة أسهل توصّلنا إلى نتيجة أفضل. فيمكننا ببساطة أن نشكّل عطفًا منطقيًّا بين جمل-ص كلها. فيمكننا أن نأخذ جمل-ص على انفراد ونربطها معًا مع بعضها البعض بـ«و» (and) (جملة «الثلج أبيض» صحيحة إذا وفقط إذا الثلج أبيض وجملة «العشب أخضر» صحيحة

إذا وفقط إذا العشب أخضر و...إلخ). فعطف الجُمَل يقتضي جمل معطوفة، ففي المنطق البدائي «پ وك» (p and q) يقتضي «پ» (p) (وأيضًا يقتضي «ك» (q)). فإذا كان لدينا عطف لمجموعة جمل-ص، فذلك العطف سيقتضي كل جمل-ص. وسيقتضي العطف كل التعاريف الجزئية، وبالتالي يكون لدينا تعريفٌ كاملٌ. إذن فلنبدأ بالعطف! فعطف كل جمل-ص سيلبّي متطلبات تارسكي، كما أوضحنا.

قد يُكوِّن ذلك تعريفًا دقيقًا وكاملًا للصحة وفقًا لمعايير تارسكي، فيما عدا جانبًا صغيرًا واحدًا. فثمة عدد لا محدود من الجُمَل في الإنغليزية. فيمكننا أن نولّد عددًا لا مُتناهيًا من الجُمَل في اللغة الطبيعية كالإنغليزية، لأن هذه اللغات تحوي أجهزة معينة تُمكّن المتحدث من أن يُشكِّل جملًا أعقد بكثير. ومن أشهر هذه الأجهزة كلمة «و». فكلما كان لدينا جملة، كان بإمكاننا أن نُضيف جملةً أخرى بعطفها على الأولى. فإن بدأنا بالعطف، فلا يهم طول العطف حينئذٍ، فيمكننا دائمًا إنتاج جملة أخرى بعطفها على ما يسبقها. وهذا نفس الحال مع النفي. فيمكننا نفي «پ» (p) لنحصل على «ليس-پ» (not-p)، وبالتالي ننفي الجُمْلة الأخيرة مجددًا لنحصل على «ليس-ليس-پ» (not-not-p) وهكذا. فقواعد اللغة الإنغليزية تسمح لنا أن ننفي بعدد ما نشاء ونُنتج بالتالي جملًا بالعدد الذي نريد. بهذا يكون عطف الجُمَل الإنغليزية عطفًا لا متناهيًا، وبالتالي يكون عطفًا لجميع جمل-ص. وباستخدام مصطلحات منطقية أكثر دقة، لن تكون نظرية الصحة التي سنحصل عليها ذات مبادئ معدودة، وهذا يعني أنّه لا يمكن كتابتها (أو حتى صياغتها فكريًّا). فمن الأفضل لنا أن يكون لدينا نظرية ذات مبادئ معدودة تتضمّن كل الجُمَل-ص، فحينها يمكننا دراستها والنظر فيها.

فالذي يظهر أنه على نظريةٍ كهذه أن تُحلّل كل جملة وفقًا لأجزائها المركَّبَة، وبذلك تحوز اهتمام المنشغلين بالنظرية الدلالية (انظر الفصل التالي). فالطريقة التي تعمل بها نظرية تارسكي هي أنّ علينا ألا نأخذ كل جملة كـ«عنصر بدائي» (primitive)، ولكن علينا أن نُقدِّم تحليلًا تركيبيًّا لكل جملة، وبناءً على ذلك التحليل نولّد جملة-ص لكل جملة. فليس علينا بهذا أن نُشكِّل عطفًا لا متناهيًا لكل جمل-ص حتى وإن كان ذلك

يُلبّي شرط تارسكي عن الاكتفاء المادي. علينا بالتحديد أن نُعدِّل شرط تارسكي ليكون كالتالي: يجب على النظرية أن تتضمن كل جمل-ص من عدد محدد من المبادئ.

فكيف ننتج شيئًا يولّد كل جمل-ص اللامتناهية دون عطفها مع بعضها البعض في عطفٍ لا متناهٍ؟ يقترح تارسكي أنَّ ما نريده هو شيء «بنفس تأثير» العطف المنطقي لكل جمل-ص، وقد أوضح هذه النقطة في المقطع التالي:

> وأخيرًا نحن الآن قادرون على أن نضع في صيغة دقيقة كل الشروط التي علينا اعتبارها لاستخدام وتعريف المصطلح «صحيح» كمصطلح مكتفٍ من وجهة النظر المادية: فنحن نريد استخدام المصطلح «صحيح» بطريقة تؤكد فيها كل المتكافآت ذات الصيغة «ص» (T)، **وسنسمي تعريف الصحة بـ «مكتفٍ» إن نتجت كل هذه المتكافآت منه**. ...فعلى التعريف العام أن يكون، بمعنى معين، عطفًا منطقيًا لكل هذه التعاريف الجزئية[53].

فـ«بمعنى معين»، يجب أن يكون لدينا عطفٌ منطقيٌّ لكل التعاريف الجزئية، ولكن ليس بالمعنى المباشر الذي يعني العطف البسيط المعروف. ما يريده تارسكي طريقة تقنية لتركيب شيء يكون بنفس تأثير العطف المنطقي دون أن يكون عطفًا منطقيًا فعليًا، وسنرى بعد قليلٍ ماهيّة هذه الطريقة.

8.6 الإرضاء

يطرح تارسكي لاحقًا نقاطًا عدة حول الأفكار الدلالية واللغات المنهجية. فيعرّف الأفكار الدلالية بـ«العلائقية» (relational) مركزًا على فكرتين دلالتين مهمّتين هما: «التعيين» (designation) و«الإرضاء» (satisfaction). إنني أشكُّ في أن فرقة «رولنغ ستونز» (Rolling Stones) البريطانية كانت تفكّر في تارسكي حين كتبت أغنيتها «لا يمكنني ألا أنال الإرضاء» (I can't get no satisfaction). مع ذلك فكلمات الأغنية مناسبة للغاية. ففي الواقع ليس من السهل ألا تنال الإرضاء. فكما يوضِّح تارسكي، عليك أن تكون مُبدعًا لكي تنال الإرضاء، وعليك تجاوز

العقبات. إن هاتين الفكرتين الدلالتين لهما علاقة ببعضهما البعض لأنهما تربطان اللغة بالأشياء في العالم (وأشكُّ أيضًا في أن فرقة الرولنغ ستونز يغنّون عن علاقات علائقية). فمن الأمثلة أن الاسم «مِك جاغر» (Mick Jagger) يُعيّن الكيان الملتوي بـ«سيد ميك جاغر» (Sir Mick Jagger). و«الإرضاء» مشابِهٌ جدًّا لذلك، ولكنه علاقة دلالية تنطَبِق على المسانيد لا المصطلحات المفردة. فالإرضاء علاقة بين الأشياء والمسانيد. فالمسند «أبيض» يُرضَى بكل الأشياء البيضاء. وبمنهجية دقيقة، يُرضي الشيء «س» (x) كلمة «أبيض» (white) إذا وفقط إذا «س» (x) أبيض. وهذا يُشْبِه جملة-ص في صيغتها، ولكننا الآن نتحدّث عن إرضاء الأشياء، لا كون الجُمَل صحيحة. فهذه بالتالي أفكار دلالية. وبحكم هذه الأفكار الدلالية، يُعرّف تارسكي الصحة: التعيين والإرضاء. ولهذا السبب يسمّي تعريفه بـ«التصور الدلالي للصحة».

لا يقف مفهوم الصحة نفسه على سطح فكرة دلالية، لأنه ليس علائقيًّا. فالمسند «صحيح» هو ما نسمّيه بـ«المسند ذي المكان الواحد» (one-place predicate). فالكلمة «صحيح» ليست مصطلحًا علائقيًّا من قبيل «يُعيّن» أو «يُرضي» - فلا يمكن أن نقول «س يُصحِّح ص» (x trues y). وعلى الرغم من أن تارسكي يتحدّث عن التصور الدلالي للصحة، إلا أن مفهوم الصحة ليس فكرة دلالية على وجه التحديد. مع ذلك، يظل تارسكي مُحِقًّا في كون مفهوم الصحة قابلًا للتعريف من خلال الأفكار الدلالية، إذ يظهر أن لذلك المفهوم تركيبة عميقة دلالية من نوعٍ ما. فالصحة، بالنسبة لتارسكي، تُختزل في التعيين والإرضاء. وكي نفهم تركيبته، علينا أن نكتشف ما هو الإرضاء وما هي طريقة عمله.

يُبسّط تارسكي فكرة اللغة المنهجية، وهي فكرة مهمة لمعرفة القيمة الفلسفية الكاملة لنظريته. فاللغة الإنغليزية لغة منهجية ولا يمكن اختزالها في اللغات المنهجية المدروسة غالبًا من قِبَل المَناطِقة. فلديها تراكيب متنوعة لا تشبه التراكيب في أيّ نظام منطقيّ منهجيّ. فعلى سبيل المثال، لا تحتوي «الحاسبة الإسنادية» (predicate calculus)، التي يتحدّث عنها تارسكي، «مشغلات استبطانية» (intentional operators) (من قبيل «يؤمن» believes أو «بالضرورة» necessarily)، بينما تحتوي

اللغة الطبيعية مشغلات استبطانية. يُعرِّف تارسكي الصحة فقط لنوع محدد من اللغات المنهجية، لا للغة طبيعية كالإنغليزية (مع أن كلمة «صحيح» تنطبق على الكثير من الجُمَل الإنغليزية التي لا يمكن أن تتحوّل للغة منهجية معيارية، كما يُقرّ تارسكي). فيمكننا النظر في لغة منهجية كالحاسبة الإسنادية كجزء من لغة طبيعية، تحوي عبارات رنّانة منوعة وبعض الرموز غير المألوفة. دعنا نتّبع تارسكي ونستخدم لغة ذات حاسبة إسنادية كلغة منهجية خاصة بنا. إن الفكرة من تسميتها «منهجية» هو أنك تستطيع تحديد صفاتها منهجيًّا وبصورة كاملة. وستحتوي لغة كهذه أحرف صامتة فردية كثيرة ومعدودة يمكن ترميزها بالأحرف «أ» (a)، «ب» (b)، «ت» (c). وستحوي أيضًا أحرفَ صامتة إسنادية كثيرة ومعدودة يمكن ترميزها بالأحرف «ف» (F)، و«ج» (G) و«ه» (H). فيمكننا إذن أنْ نَنُصَّ على أنَّ أيَّ دمجٍ للأشياء في القائمة الأولى بشيء من القائمة الثانية، بحيث ننتج «ف-أ» (Fa)، و(ه-ت) (Hc)، سيُعدُّ تركيبةً صحيحةً وسيُحسب كجملة. فإن كان ثمة فقط ثلاثة أحرف صامتة في كل قائمة، فذلك يعني أنه سيكون ثمة تسع جمل ممكنة وصحيحة تركيبيًا. فتشكيلات من قبيل «أ-ب-ت» (abc) و«ج-ه-ب» (GHb) ليست صحيحة. إن هذه «لغة دميوية» (toy language) قمنا بتحديد مفرداتها البدائية وقواعدها التركيبية. ونحن نتحدّث بديهيًّا عن لغة يمكن أن تولِّد جملًا كـ«جون أصلع» (John is bald).

يُمكننا الآن إضافة فئة أخرى من التعبيرات للغتنا الدميوية: موصّلات الجُمَل. فسنضيف: «ليس» (not) و«و» (and). فمن المفترض من هاتين الكلمتين أن تُنتِجا جملًا صحيحةً من الناحية التركيبية حين تسبق «ليس» جملة معينة وحين تقع «و» بين جملتين. لذلك، تكون «ليس-ف-أ» (not-Fa) صحيحة تركيبيًّا وتكون «ج-ب وه-ت» (Gb and Hc) صحيحةً تركيبيًا أيضًا. بهذا نستطيع تحديد اللغة المنهجيّة فنقوم بسرد كلٍّ من هذه العناصر البدائية في اللغة، ثم نُحدِّد الوسائل الممكنة للدمج. وسنضيف أخيرًا تعبيريْ محدّد كمّية هما: «كل» (all) و«بعض» (some)، مع متغيرات مرتبطة وجهاز لـ«التقويس» (bracketing)، كي نحصل على جمل من قبيل «لبعض س، (س هي ف وس ليست-ج)»

For some x, (x is F and x is not-G))). وبهذا حدَّدْنا الآن لغة ذات حاسبة إسنادية كلاسيكية يمكن أن توجد في أيّ نصٍّ منطقيٍّ تمهيديّ.

السبب في تغطيتنا لهذه المواد هو أن نظرية «تارسكي» للصحة مبنيّة حول هذه التراكيب من الجُمَل المتناهية في لغة منهجية من هذا النوع. وسنرى كيف يقوم تارسكي بتعريف الصحة في لغة ترميزية منهجية في الفصل الحادي عشر من مقالته المعنونة بـ«التركيب (في إيضاح) التعريف» (Construction (in outline of) definition)، ففي ذلك الفصل يقول:

> «يمكن الوصول إلى تعريف الصحة بطريقة سهلة من خلال تعريف فكرة دلالية أخرى، أقصد، فكرة **الإرضاء**. فالإرضاء علاقة بين أشياء عشوائية وتعابير معينة تسمّى «وظائف جُمْلية» (sentential functions). وهي تعابير من قبيل «س أبيض» (x is white) و«س أكبر من ص» (x is greater than y) إلخ. فتركيبتها المنهجيّة مشابهة للتركيبة المنهجيّة للجمل، مع إنها تحتوي على ما يُسمّى متغيّرات حرة (كحال س وص في «س أكبر من ص»)، والتي لا يمكن أن ترِدَ في الجُمَل[54]».

ما يُسميه تارسكي بالوظيفة الجُمَلية هو ما نسميه نحنُ بالمسند، ويمكن إرضاؤه بالأشياء. فالإرضاء علاقة دلالية بين الأشياء وهذه الوظائف الجُمَلية. فيبدو أن شرح تارسكي تقنيّ، مع إنّه مباشر في الواقع. فالإرضاء هو عكس العلاقة المعبَّر عنها بـ«صحيح بالنسبة إلى» (true of). فإن قلتُ بأن المسند «أبيض» صحيح بالنسبة إلى الثلج، فإنني أتحدّث عن الإرضاء. فيمكننا أيضًا القول إن الثلج يُرضي «أبيض»، وهذا ببساطة عكس «صحيح بالنسبة إلى». وكي نحدّد شروط إرضاء المسند، نحتاج أن نكتب شيئًا على صيغة «س تُرضي «ف» إذا وفقط إذا كانت س هي ف» (x satisfies 'F' if and only if x is F). وهذا يشبه جملة-ص في كوننا ذكرنا على اليسار تعبيرًا وعلى اليمين استخدمنا نفس التعبير (إذا كانت الميتا لغة هي نفس لغة الأشياء). ويمكننا أن نسمي هذا بجملة-ج (S-sentence) بطريقة تشبه جملة-ص. فجملة-ج تخبرنا وفقًا لأيّةِ شروط يُمكننا إرضاء مسند معين بشيء. فيمكننا أيضًا القول إن كل

جملة-ج هي تعريف جُزئي للإرضاء في لغة معينة. فكل جمل-ج تعطي تعريفًا كاملًا للإرضاء لتلك اللغة. فثمّة عددٌ محدّدٌ لجُمَل-ج أساسية لأن ثمة عدد محدد للمسانيد البدائية في اللغة (ثلاثة لنكن دقيقين). وهذه تسمّى عادةً بـ«مبادئ الإرضاء» (satisfaction axioms) (ويمكننا أيضًا أن نكتب «مبادئ التعيين» (designation axioms) لحروف صامتة فردية، وسيكون لها الصيغة التالية: ««أ» تُعيّن أ» (a' designates a')).

لقد اعتبرنا شيئًا معيّنًا على أنه جزء من الجُمْلة، وهو المسند، ثم عرّفنا العلاقة الدلالية للإرضاء لذلك الجزء، وهي مشابهة للطريقة التي سنعرّف بها الصحة للجملة كاملة. بقيَ علينا الصيغة التالية لـ«أبيض»: «س تُرضي المسند «أبيض» إذا وفقط إذا س أبيض» (x satisfies the predicate 'white' if and only if x is white). إننا هنا نعرِّف الإرضاء لكلٍّ من مسانيد التعبير في الميتا لغة التي نُحيل إليها في لغة الأشياء. ولكن من الصياغة المحدَّدَة، يمكننا توليد عددٍ لا متناهٍ من جمل-ج. وذلك لأننا نستطيع استخدام أجهزة مثل «ليس» (not) و«و» (and) لإنتاج مسانيد معقَّدَة عشوائية، مثل «س أبيض وس بارد وس ليس آيس كريم». وتُسمّى هذه العملية بـ«الإجراء التكراري» (recursive procedure)، ويشرحه تارسكي على النحو التالي:

> «لتعريف فكرة الوظيفة الجُمَلية في اللغات المنهجة، نُطبِّق عادةً ما نسمّيه بـ«الإجراء التكراري». بعبارة أخرى، نَصِف أوّلًا الوظائف الجُمَلية للتركيب الأبسط (والتي لا تتسبَّب في متاعب عادةً)، ثم نحيل إلى العمليات بواسطة أيٍّ من الوظائف المركّبة التي يمكن أن تُركَّب من جُمَل بسيطة. وقد تعتمد عمليةٌ كهذه، مثلًا، على تشكيل الانفصال أو العطف المنطقيّ لوظيفتين معطاة، أيْ بدمجها بكلمة «أو» أو «و». فيُمكن أن تُعرَّف الجُمْلة الآن وببساطة كوظيفة جُملية لا تحوي متغيرات حرّة[55]».

يطرح تارسكي هنا نقطةً تقول إن علينا أن نتذكر بأن ثمة مسانيد معقدة مبنية باستخدام الموصّلات بالإضافة إلى المسانيد البدائية. فتأمل المسند المعقد «هو أبيض أو أحمر» (is white or red). فثمة شيءٌ ما سيُرضي «هو أبيض أو أحمر» إذا وفقط إذا كان ذلك الشيء يُرضي

«أبيض» أو يُرضي «أحمر». يمكننا حينها تعميم هذا على كل المسانيد لنحصل على قاعدة عامة لـ«أو»: فلأيّ مسند «ف» (F) و«ج» (G)، س تُرضي «ف أو ج» إذا وفقط إذا س تُرضي «ف» أو س تُرضي «ج». لقد غطينا الآن كل الانفصالات الممكنة للمسانيد بذلك المبدأ، وهنا يشرح تارسكي فكرتها:

> «للوصول إلى تعريفٍ للإرضاء، علينا أن نطبّق إجراءً تكراريًّا مرةً أخرى. ونُحيل إلى أيّ الأشياء تُرضي الوظائف الجُمَلية البسيطة؛ ونعبّر بعد ذلك عن الشروط التي تُرضي فيها أشياءٌ معينةٌ وظيفةً مركبةً، بافتراض أننا نعرف أيّ الأشياء التي تُرضي الوظائف البسيطة والتي منها تمّ تركيب الوظائف المركبة. لذلك، نقول مثلًا إنَّ أرقام معيّنة تُرضي «س أكبر من ص، وس تساوي ص» إذا كانت تُرضي على الأقل واحدة من وظائف «س أكبر من ص» أو «س يساوي ص»[56]».

بمجرد أن يكون لدينا تعريف تكراري للإرضاء، يمكننا توليد جمل-ج لأي مسند معقّد في اللغة. وهذا يعني بأننا نحصل على عددٍ لا متناهٍ من جمل-ج هذه من خلال عددٍ محدَّدٍ من المبادئ، أيْ مبادئ كل مسند بدائيّ ومبادئ كل الموصّلات المستخدمة لتشكيل المسانيد المعقدة. بعبارة أخرى، نحصل على تأثير الانفصال اللا متناهي للجمل-ج من أساسٍ متناهٍ. ونكون بهذا قد حلّلنا المسانيد المعقدة وفقًا لأجزائها ثم قلنا شيئا عامًّا حول الأجزاء، وهذا يحلّ المشكلة الناجمة عن لا محدودية التعابير المعقدة في اللغة. فالنظرية باتت ذات مبادئ معدودة.

تعتمد المرحلة الأخيرة لتعريف الصحة على ربط الإرضاء بالصحة. فتارسكي يقول: «بما أننا وَصَلنا إلى تعريف للصحة والخطأ بالقول ببساطة إن الجُمْلة **صحيحة إذا كانت مَرضيَّة بكل الأشياء، وخاطئة فيما سوى ذلك»**. ففي الواقع، أن تارسكي يُعرِّف «صحيح بالنسبة إلى» بطريقة تكرارية باستخدام جمل-ج لا اقتباسية ثم يربط «صحيح بالنسبة إلى» بـ«صحيح» باستحضار فكرة أن الجُمْلة صحيحة بالنسبة إلى كل الأشياء. وهذه مجرد طريقة تقنيّة لتطبيق الفكرة الثاوية خلف

الجُمَل-ص، والتي بنفسها تحتوي مسبقًا تعاريف جزئية للصحة. وبهذا يُلبّي تارسكي شروطه المنصوصة عن الاكتفاء.

في الفصل القادم، سننظر بتفصيل أكثر في مجال وحدود تركيب تارسكي، بينما نتحقق من زعم ديڤيدسن بأن نظرية الصحة الخاصة بتارسكي تُقدم إطارًا لاستخدام دلالة اللغات الطبيعية. وهنا سنسأل عن أهمية نظرية تارسكي عمومًا، فيما بعد تعريف «صحيح» بصورة تكرارية للغات منهجية معينة. فمن وجهة نظر منطقية بحتة، يبدو أن تارسكي قد حقّق ما نَذَرَ نفسَهُ لتحقيقه ويظلّ السؤال الأصعب يحفُّ الخلاصة الفلسفية لعَمَلِه، إن كان ثمّة خُلاصة.

---

(43) المترجم: يستخدم المؤلف في آخر كلمة من المقطع السابق كلمة «دقيق» (accurate) وربما يقصد «مكتفٍ» (adequate)، فهو يتحدّث عن «الاكتفاء» (adequacy) لا «الدقة» (accuracy).

(44) Alfred Tarski, «The Semantic Conception of Truth», in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 30.

(45) Gottlob Frege, «On Sense and Reference», in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 117.

(46) المترجم: حرف S هو أول أحرف كلمة (Sentence) لذلك تم استخدام حرف «ج» لأنه أول أحرف كلمة «جملة».

(47) Alfred Tarski, «The Semantic Conception of Truth», 30–31.

(48) المترجم: حرف T هو أول أحرف من كلمة (true/truth) وبالتالي تم استخدام «ص» كونه أول أحرف «صحيح/صحة»، سيتضح أن هذا هو المقصد في الصفحات التالية.

(49) المترجم: يتحدث هنا عن الجُمَل الإنغليزية المكتوبة من اليسار إلى اليمين، لا العربية.

(50) المترجم: تجدر الإشارة هنا بأن المؤلف حين يتكلم عن «الجانب الأيمن والجانب الأيسر» للشرطية الثنائية في نصه (حين يقول مثلًا: هذه الجُمْلة تقع على اليسار وتلك الجُمْلة تقع على اليمين) فهو يتحدث عنها وهي مكتوبة باللغة الإنغليزية لا العربية، ومن المعروف أن الإنغليزية تبدأ الكتابة من اليسار إلى اليمين. فلم أقم كمترجم بتغيير كلمات المؤلف لتتناسب مع الأمثلة العربية المكتوبة من اليمين إلى اليسار.

(51) المترجم: جمل-ص (T-sentences) هي اختصار لجمل-الصحة (Truth-sentences).

(52) المترجم: بما أن حرفL هو أول أحرف كلمة (Language)، تم استخدام حرف «ل» وهو من حسن الحظ أول أحرف كلمة (لغة).

(53) Ibid., 32.

(54) Ibid., 38.

(55) Ibid.

(56) Ibid.

دلالة ديفيدسن للغات الطبيعية

9.1 خلفية

إن كانت نية تارسكي أن يُعرِّف مفهوم الصحة للغات المنهجة، فإن هدف «دونالد ديفيدسن» (Donald Davidson) استخدام نظرية الصحة التارسكية للغات المنهجة ليُنشئ منها نظرية معنى للغات الطبيعية. لذلك، يستخدم ديفيدسن نظرية تارسكي بهدف مغاير لهدف تارسكي الأصلي، أي كصيغة لنظرية دلالية خاصة باللغات الطبيعية. فإنْ كان تارسكي يحصر تعريفه للصحة على اللغة المنهجية المحدودة، مُسلِّمًا بمفهوم الترجمة (تشابه المعنى)، فإن ديفيدسن يُعيد عرض نظريته لإعطاء نظرية معنى للغة طبيعية كاملة. وإنْ كان تارسكي معنيًّا بشرح طبيعة الصحة، فإن ديفيدسن يستخدم الصحة لشرح طبيعة المعنى. بهذا، تكون نظرية تارسكي –إن صدق ديفيدسن- ذات قيمة أكبر مما يتصوّرها تارسكي نفسه، فهي على السواء نظرية للصحة في إطار محدود ونظرية معنى في إطار غير محدود.

قبل أن نناقش مقالة ديفيدسن المعنونة بـ«علم الدلالة للغة الطبيعية» (Semantics for Natural Language)، دعنا نطرح هنا بعض التعليقات ذات العلاقة. ففي القرن العشرين، كان ثمة فكرتان عن المعنى تسيران في فضاء فلسفة اللغة، بدايةً مع فريغه. تقول الفكرة الأولى إنَّ المعنى والصحة مرتبطان ارتباطًا وثيقًا إلى حدٍّ ما. وتقول الفكرة الثانية إنَّ المعنى «تركيبي» (compositional) بالأساس، أي إنَّ معنى الجُمْلة يُنتَج من معنى أجزائها. فالمعنى إذن يعمل بطريقة بنائية، بدايةً من العناصر البسيطة ليحدّد باتباع بعض القواعد معنى العناصر الأكثر تعقيدًا. وبدمج الفكرتين معًا، يصبح المعنى شيئًا يعمل بطريقة تركيبية ويُنتج جُمَلًا صحيحةً أو خاطئةً.

لقد كانت هذه الأفكار حاضرةً في كتابات فريغه، فحين كان فريغه يناقش المعنى والإحالة، كان من اهتماماته إحالة أجزاء الجُمْلة، لا سيّما

والإحالة هي ما يُحدِّد قيمة صحة الجُمَل. أضف إلى ذلك أنَّ المعنى كان «طريقًا إلى الإحالة» (route to reference)، فالمعنى يُفهم من خلال مفهوم الإحالة نفسه. وبحسب نظرة فريغه، تكون إحالة الجُمْلة قيمة صحّتها. وبهذا يكون المعنى أمرًا يُسهِم به في قيمة الصحة من خلال الإحالة. وقد كان من الواضح أن ذلك يعتمد على ما تعنيه الجُمْلة، سواءٌ كانت صحيحة أو خاطئة. فالعلاقة واضحة وجليَّة بين المعنى والصحة عند فريغه، وقد قام الفلاسفة المتأخرون بتوضيحها بطريقة أفضل. فمن أبسط صياغات هذه العلاقة أن معنى الجُمْلة **هو** شرط صحتها، فلنتحدث عن هذا لدقائق لكي نفهم الأفكار الأصلية قبل الشروع فيما يريد ديفيدسن قوله.

خُذْ جملةً كجملتنا القديمة «الثلج أبيض»: فهذه الجُمْلة تعني شيئًا معيّنًا. إن أردنا أن نقول ما تعنيه هذه الجُمْلة، فإن أسهل طريقة هي أن نقول إن ««الثلج أبيض» تعني أنَّ الثلج أبيض». وكما قلنا سابقًا، لا تفترض أنَّ ما قلناه أمرٌ تافهٌ لأننا فقط نُعيد كتابة الجُمْلة مرتين. فالمضمون المعبَّر عنه ليس حشوًا، بل مضمونًا تصادفيًّا تثقيفيًّا. فإنْ عرفت أنَّ «الثلج أبيض» يعني أن الثلج أبيض، فإنك قد عرفتَ شيئًا جوهريًّا عن تلك الجُمْلة. كما إنَّ الشخص الذي لا يعرف الإنغليزية قد يعرف هذا المضمون أيضًا، فقد أقول عن فرنسيٍّ اسمه پيريه ويتحدث فقط الفرنسية إن «پيريه يعرف أن جملة «الثلج أبيض» تعني أن الثلج أبيض»، وبالتالي أنْسُبُ إليه معرفة عن معنى الجُمْلة الإنغليزية (دون أن يحتاج لمعرفة ذلك المضمون معرفة معنى كلمة «تعني» (means) في الإنغليزية). فلا تحتاج أن تعرف الميتا لغة لتستخدم هذه اللغة لوصف ما تعرفه. فيمكنني استخدام الإنغليزية لإلصاق معرفة بالحيوانات، مع إنني لا أفترض أنهم يعرفون الإنغليزية. لاحِظْ أنَّ جملة «الثلج أبيض تعني أنَّ الثلج أبيض» لها تركيبة خصائصيّة تحدّثنا عنها في معرِض حديثنا عن تارسكي. فهي تَذكُر وتَستخدم نفس الجُمْلة. فليس لها نفس صيغة ««الثلج أبيض» (بالإنغليزية) تعني «الثلج أبيض» (بالفرنسية)» ('Snow 'is white' means 'La neige est blanche')، ففي هذه الصيغة تُذكر كلتا الجُمَلتان. فهذه جملة تخبرنا بالترجمة الصحيحة للجملة الإنغليزية إلى

جملة فرنسية. إذن، ثمة طريقتان مختلفتان «لإعطاء معنى» للجملة: أحدهما بذِكْر الجُمْلة التي لها نفس معنى الجُمْلة الأولى (بإعطاء ترجمة)، والأخرى باستخدام جملة تخبِرُنا عن معنى الجُمْلة السابقة. ويمكننا في الحالة الثانية أن نعرف المضمون المعبَّر عنه دون أن نعرف اللغة المستخدمة للتعبير عنه. فيمكننا القول إن «پيريه يعرف أن «الثلج أبيض» (بالفرنسية) تعني «الثلج أبيض» (بالإنغليزية)» (Pierre knows that 'La neige est blanche' means that snow is white) دون أن ننسب إليه أيّ معرفة إنغليزية. ومع هذا، فلا يمكنك أن تقتبس «الثلج أبيض» بعد كلمة «تعني» (means) إذ إنك بهذا تنسب إليه معرفةً عن التعبير الإنغليزيّ.

إذن في مثالنا عن «نسبة المعنى» (meaning-ascription) كما في (««الثلج أبيض» تعني أن الثلج أبيض»)، ثمة جملة تُذكر على اليسار وأخرى تُستخدم على اليمين كجملة-ص (انظر الفصل السابق). ففكرة أن المعنى والصحة مترابطان تأتي من هذه الملاحظة البسيطة التي يمكننا فيها استبدال كلمة «تعني أن» (means that) بكلمات «هو صحيح إذا وفقط إذا» (is true if and only if). فنحن هنا نحصل على شيء صحيح تركيبيًّا ونحويًّا، وهذه الممارسة تُكرّر نمط الاستخدام والذكر الذي لاحظناه. تؤكد هذه الفكرة أننا إذا أردنا معرفة ما تعنيه جملة معينة، فعلينا أن نعرف الشروط التي وفقًا لها تكون تلك الجُمْلة صحيحة. فمن متطلّبات معرفة معنى الجُمْلة معرفة شرْط صحَّتِها. فحين تعرف شرط صحة الجُمْلة، فهذا يعني أن تعرف على الأقل **شيئًا** عن معناها. واكتساب تلك المعرفة يكون بإزالة الجهل الدلالي إلى حدٍّ ما. فقد تتساءل عمّا تعنيه جملة معينة في لغة أجنبية، ثم يخبرك شخصٌ ما بأن الجُمْلة صحيحة إذا وفقط إذا السماء زرقاء. ألم تعرف من كلمات ذلك الشخص أنَّ الجُمْلة **تعني** أن السماء زرقاء؟ إن معرفة شرط صحة الجُمْلة يعني معرفة ما تعنيه الجُمْلة بوضوح، فهي على كل حال تمثّل معرفةً مهمةً عن المعنى.

دعنا إذن نحتفي بالفرضية القائلة إنَّه حين يفهم الشخص جملة معينة، فإنه يعرف شروط صحَّتِها. فمعرفة المعنى تعني معرفة شروط

الصحة. وقد تبنَّى الكثير من الفلاسفة هذه النظرة حول المعنى في القرن العشرين (وأشهرهم فتينغشتاين في كتابه «رسالة منطقية فلسفية»). كما يُعدُّ ديفيدسن من هذا المخيّم، فديفيدسن يفترض أنَّ المعنى وشروط الصحة مترابطان ارتباطًا وثيقًا في أحسن الأحوال. ويبقى السؤال الذي سنناقِشُه لاحقًا ما إذا كانت شروط الصحة كافيةً للمعنى، فهي كما يبدو ضروريةٌ إذ لا يمكن أن تعرف معنى جملة دون معرفة شروط صحتها. فكيف أعرف ما تعنيه جملة «الثلج أبيض» إنْ كنتُ جاهلًا تمامًا بأن «الثلج أبيض» صحيحة إذا وفقط إذا الثلج أبيض؟ ومع ذلك فقد نتساءل ما إذا كانت معرفة شروط صحة الجُمْلة كافيةً تمامًا لمعرفة معنى الجُمْلة.

ولكي أعطيك معنىً بديهيًّا عن الأشياء، فسيكون من الطبيعي جدًّا أن أفترض أنَّ لجملة «هيسپيروس كوكب» نفس شروط صحة جملة «فوسفوروس كوكب»، لأن شروط الصحة تتحدّد بالإحالة. فشرط الصحة الذي يجعل كلتا الجُمَلتين صحيحتين هو أن الشيء المقصود، أي الزهرة، كوكب بنفسه. كما أننا نعرف من فريغه أنَّ هذين الاسمين ليس لهما نفس المعنى؛ بالتالي فإن تطابق شروط الصحة ليس كافيًا للترادُف. فشروط الصحة الإحالية لا تضيف إلى المعنى شيئًا، وسنعود لاحقًا لهذه الفكرة. يبدو الأمر على كل حال وكأن شروط الصحة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمعنى، لأنهما يتضمّنان إحالة محددة من قبل المعنى. فإن لم نستوعب شروط صحة جملة، فلن نعرف معناها. لهذا، كانت أولى أفكار ديفيدسن أنَّ المعنى والصحة مترابطان، وبالتالي ستكون نظرية شروط الصحة نظرية معنى، أو قريبة من ذلك.

أما ثاني أفكار ديفيدسن ففكرة تركيبية. فمن الصعب إنكار حقيقة أن اللغة تتشكّل من مركب تركيبيّ، إذ ثمّة عدد لا متناه من العناصر البدائية («كلمات») تظهر في مكوّنات متنوّعة. فهذه العناصر تترابط وفقًا لقواعد تركيبية تُنتج عبارات تتجمّع بدورها لتصوغ جملًا. فالجُمْلة كيانٌ معقّدٌ متشكّلٌ من أجزاء يمكن بدورها الظهور في جُمَل أخرى. فيبدو من الواضح أنَّ معنى الجُمْلة في لغة معينة مُشْتَقٌّ من معنى العناصر التي تكوّنها، كما هو واضح في حقيقة أن المباني متشكلة من

أجزاء بسيطة. أضف إلى ذلك أن وحدات اللغة قادرة على التحرك بصورة استثنائية، فيمكنها أن تقفز من جملة لأخرى، كما نرى ذلك في جملة «جون سريع» (John is quick) و«جيل سريعة» (Jill is quick)، فنحن كمتحدّثين بشر نقضي حياتنا نُعيد دمْجَ الكلمات القديمة في أنماط جديدة، ويبدو أننا متمرّسين في ذلك.

ضَعِ الآن هاتين الفكرتين مع بعضهما البعض وستصل إلى الفكرة التالية: شروط صحة جملة تعتمد تركيبيًّا على الكلمات التي تُشكل الجُمْلة. فـ«تركيبيّة المعنى» (compositionality of meaning) هي «تركيبيّة شروط صحتها» (compositionality of truth conditions). فمعنى جملة هو شروط صحّتها، وتركيبيّة المعنى تركيبيّة شروط صحّتها. على هذا، إن وجدْنا نظرية تركيبيّة لشروط الصحة، فسنجد نظرية تركيبيّة للمعنى، ويبقى السؤال كيف ستبدو النظرية التركيبيّة لشروط الصحة؟

9.2 امتيازات نظرية تارسكي حين تُطبق على المعنى

لقد ظهر مقترح ديفيدسن من الخلفية التي أوضحناها بأعلاه. فقد سبق وافترض تلك الخلفية حين أوضح علاقة تارسكي بنظرية المعنى. لننظر كيف توصَّلَ إلى هذه الخُلاصة. بدايةً، أعلن ديفيدسن بأن على نظرية المعنى أن تعطي معنى كل تعبير ذي معنى. وقد ذكر ذلك وكأنما هو أمرٌ واضحٌ، مع أنه ليس بواضحٍ جدًّا؛ فقد قدّم الكثير من الفلاسفة نظريات معنى دون افتراض أن نظرية المعنى تُحدِّد بالضبط معنى كل تعبير ذي معنى، كما اهتموا بالمستوى النظري المجرّد، قائلين إن المعنى صورة في العقل أو اتجاه سلوكي أو عادة اجتماعية أو نوع معين من المقاصد. أما ديفيدسن، فقد تأثّر باللغويات، وبتصوّر «نعوم تشومسكي» (Noam Chomsky) عمّا يجب أن تكون عليه النظرية التركيبية. فالنظرية التركيبية نظرية تحُدِّد (بصورة محددة وتكرارية) أيّ المجموعات من الكلمات صحيحة نحويًا، كما تقدّم مجموعةً قواعد تُحدد أيّ المجموعات صحيحة نحويًا وصحيحة تركيبيًّا أيضًا. وتُعدُّ نظرية كهذه مكتفيَةً إذا وفقط إذا كانت القواعد تُحدِّد بصورة صحيحة

أيًا من مجموعات الكلمات صحيحة نحويًا؛ فهي مفصَّلة ومحدَّدة جيّدًا. يرى ديفيدسن أنَّ على النظرية الدلالية أن تتضمّن اللغة كاملة، وتُعطي قواعد معنى لكل تعبير. فالنظرية التركيبيّة تُخبرنا عمّا إذا كانت مجموعة من الكلمات ذات معنى؛ والنظرية الدلالية (عند ديفيدسن) تُخبرنا عمّا تعنيه بالضبط تلك المجموعة من الكلمات.

مع ذلك، يبقى السؤال القائم: ما الصيغة التي يأخذها هذا التحديد للمعاني؟ بعبارة أخرى، **كيف** نُحدّد معنى كل تعبير ذي معنى؟ لم يقدّم ديفيدسن في هذه المقالة أيّ أمثلة وبدائل للنظرية التي يفضّلها بنفسه، فهل يمكننا إعطاء توضيحات قليلة عمّا يدور بذهنه؟ من الأشياء التي يمكننا فِعْلُها أن نحدّد المعاني بتقديم ما يُسمّى «دليل الترجمة» (translation manual). فيمكننا أن نحدّد المعنى للإنغليزية بتوفير ترجمة لكل كلمة وجملة في الإنغليزية إلى أيّ لغة أخرى. بذلك، نقول إنَّ كلمات مثل «أبيض» (white) تعني بالفرنسية «أبيض» (blanche). كما يمكننا أيضًا توفير مرادفات من نفس اللغة، كما في «أعزب» (bachelor) و«ذكر غير متزوج» (unmmaried male)؛ ويمكننا أيضًا توفير ترجمة تطابق تافهة: فـ«أبيض» (white) تعني «أبيض» (white). فصيغ أدلّة الترجمة هذه ستظلّ نفسها: فسيكون ثمة زوج من التعابير المقتبسة مرتبطة بالكلمة العلائقية «يعني» (means) أو «تعني نفس معنى كذا» (means the same as). فإن أردنا أن نقوم بهذا بجدّيّة، فسنصمّم دليلًا تركيبيًا للترجمة، إذ إننا لا نريد أن نقدّم دائمًا ترجمات لكل جملة فثمّة عدد لا متناهٍ من الجُمَل. نريد أن يكون ثمة قواعد متناهية نترجم من خلالها الجُمَل من لغة لأخرى. مع ذلك، فلا يرى ديفيدسن أن النظرية الجيدة للمعنى تأخذ صيغة دليل ترجمة، مع إن هذه طريقة واضحة يمكننا أن نبدأ بها في إعطاء معنى كل تعبير ذي معنى. وقد يتساءل أحدهم ما إذا كان بإمكاننا إيجاد **طريقة عملية أخرى** نقدم بها معنًى للتعبير بدلًا من تقديم مرادف لذلك التعبير؟

قد يقترح شخصٌ متأثرٌ بفريغه بأنّ علينا تعيين معنًى لكل تعبير في اللغة. بالتالي نقول أشياء على الصيغة التالية: «الكلمة «ك» لها معنى م» (The word 'w' has sense S). لقد رأينا حين ناقشنا أعمال فريغه أنَّ

هذا المقترح يعاني من مشاكل، لأن ثمة أسئلة عن كيفية تعيين معنى للكلمة. فنحن إلى حدٍّ ما بحاجةٍ إلى أن نحيل إلى معنى، ولكن كيف نحيل إلى المعاني؟ تبدو الطريقة الوحيدة للإحالة إلى المعاني من خلال ربطها بالتعابير كما في «معنى «أبيض»» (the sense of 'white')، ثم ننتهي إلى القول إن «الكلمة «ك» لها معنى الكلمة «ك*»(w*)، حيث إن «ك*» (w*) مرادف لـ«ك» (w). ولكن هذا المقترح دليل ترجمة مرةً أخرى. إذن فمن الصعوبة بمكان أن نجد طريقة تمكّننا من أن نطبّق تعيينًا منتَظِمًا للمعنى الفريغي على كل التعابير ذات المعنى في لغة معينة، طريقة تكون مختلفة عن دليل الترجمة. مع ذلك، قد يكون هذا التعيين المنتظم إطارًا ممكنًا لتعيين معاني للتعابير.

ثمة مقاربة أخرى يمكننا فيها الاستعانة بالسيكولوجيا. يرى جون لوك (John Locke) وآخرون أنَّ معنى الكلمة هو صورة في عقل المتحدّث حين ينطق تلك الكلمة. فقد يتطلّب تحديد المعنى تحديدًا للصورة المرتبطة بتلك الكلمة. بالتالي: «فمعنى «ك» هو الصورة «ص»» (The meaning of 'w' is image I). بهذا يكون معنى «أحمر» صورة أحمر مثلًا. إن المشكلة هنا ليست ذات صلة بصيغة التحديد، ولكن بعمليّة النظرية الأصلية لأن نظرية الصورة قد تمَّ انتقادها على نحوٍ شموليٍّ (فكيف ستعمل هذه العملية مع معنى «ليس» (not) و«رقم» (number) و«يؤمن» (believes)؟). على أيّ حال، تلك بعض الاحتمالات عن كيفية تحديد المعاني، بوضع مقترح ديفيدسن الإيجابيّ جانبًا. فمقترحه مختلفٌ تمامًا عمّا سبق، كما إنه يتجنّب بصورة كاملة تعبير «كلمة «ك» تعني س» (Word 'w' means X) أيًّا تكن «س» (X). إن مقترح ديفيدسن نظرية للمعنى لا نتكلم فيها عن الأشياء التي تعنيها الكلمات والجُمَل.

تقول فكرة ديفيدسن الأولى عن الصيغة السليمة لتحديد المعنى إن عليها أن تكون مؤسسةً تركيبيًا، ومطروحةً بصورةٍ محددةٍ، وقادرةً على توليد مخرجات لا متناهية. ففي أيّ لغة طبيعية كالإنغليزية جُمَل لا متناهية، وعلى أيّ نظرية معنى أن تحدِّد المعاني لكل هذه الجُمَل اللا متناهية. فليس على النظرية أن تؤدّي هذه الوظيفة لجملة واحدة في كل محاولة، فذلك سيجعلها تحديدات لا متناهية. المطلوب منها عددٌ متناهٍ

من المبادئ بعددٍ متناهٍ من العواقب، فبهذا ستكون نظرية المعنى جهازًا يعمل بطريقة تكرارية. لهذا، يرى ديفيدسن أنَّ على نظرية المعنى أن تعمل بصورة تكرارية، وهذا أحد الأسباب الرئيسية التي جعلته يرى أن نظرية تارسكي مناسبةً لأداء هذه الوظيفة.

من النقاط التي طرحها ديفيدسن في هذا الصدد نقطة ذات نكهة تشومسكية تقول التالي: يجب أن تكون النظرية «متناهية» (finite) فاللغات الإنسانية «قابلة للتعلُّم» (learnable). فالطفل العاديّ ذو دماغٍ متناهٍ يستطيع تعلم لغةً تحوي عددًا لا متناهيًا من الجُمَل. بذلك، يتعيّن على تميُّز الطفل اللا متناهي في اللغة أن يكون مؤسّسًا بطريقة متناهية، أيْ، مؤسّسًا على عددٍ متناهٍ من المبادئ الدلالية. فكون الطفل متناهيًا يساعده على تعلُّم شيء محدَّد بطريقة متناهية. فإن كان ذلك الشيء قابلًا للتحديد بصورة غير متناهية، فلا يمكن لكائنٍ متناهٍ أن يتعلّمه. فاللغة القابلة للتعلُّم مؤسسة بطريقة متناهية، ولذلك تكون مبنيّة على قواعد مكرَّرة تحكم حالات كثيرة لا متناهية. فقد تسمع في هذه اللحظة جملةً لم تسمعها من قبل وتفهمها في الحال، مع أنك لم تتعلم معنى تلك الجُمْلة بتعلُّم معناها كجملة. فالطريقة التي تفهم بها الجُمَل الجديدة تكون من خلال تحليلها ككلمات تكوينية. فإن فَهِمْتَ القواعد التي تدمج تلك الكلمات، يمكنك من ذلك الأساس توليد ما تعنيه الجُمْلة. ففهمنا للغة عملية تركيبية. وحتى يتمّ تعلُّم وتمثيل لغةٍ ما في عقلٍ متناهٍ، يتعيّن على تلك اللغة نفسها أن تكون بتراكيب دلالية أساسية متناهية مع قوة توليدية. لهذا يجب على كل نظرية معنى أن توضِّح ماهية التركيبة الدلالية التوليدية؛ لأنها إن لم تؤدِّ تلك المهمة، فستتعامل مع كل جملة على أنها عنصرٌ بدائيٌّ دلاليّ. ولن تكون نظريةٌ من هذا النوع مكتفيةً كونها لا تمثل سمةً جوهريةً من دلالة اللغة الطبيعية، يتمّ من خلالها فهمنا للغة.

باختصار، على المعنى أن يكون تركيبيًا وعلى اللغات أن تكون قابلةً للتعلُّم، وما نحتاجه هو علمُ دلالةٍ متناهٍ. فالمعنى مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بشروط الصحة. لذلك نكون بحاجة إلى مقولة متناهية عن شروط الصحة إن أردنا أن نقبض على جوهر ماهية المعنى. هذا ما نريد معرفته

عن المعنى قبل أن نبدأ بناء نظرية محددة. لهذه الأسباب، يرى ديفيدسن أنَّ ما سبق ذِكرُه حقائق عامة حول المعنى يجب أن تحترمها كل نظرية معنى. ولهذا، يقدّم مقترحه الجريء القائل إن نظرية تارسكي للصحة تلبّي هذه الشروط وتحوي السِّمات العامة للمعنى التي بيّناها. فنظرية تارسكي، بحسب ديفيدسن، ذات صيغة مناسبة لأن تكون نظرية معنى، فهي تعيينٌ متناهٍ وتركيبيٌّ وتكراريٌّ لمعاني الجُمْلة (أي شروط صحّتها)، وهي قادرة على توليد تعيينات دلالية لا متناهية.

دعنا نتحقق من حالة معينة تُبيّن كيفية قيام النظرية بتوليد شروط الصحة من خلال تحليل تركيبة الجُمَل بصورة تكرارية؛ ولنأخذ جملة إنغليزية مألوفة كجملة «الثلج (هو) أبيض» (Snow is white). سنحلّلها إلى المصطلح المفرد «الثلج» (snow) والمسند ذي المكان الواحد «هو أبيض» (is white). ثم سنعطي بعدها مبدأ تعيين للثلج: فـ««الثلج» يُعيِّن الثلج (في الإنغليزية)». كما سنعطي مبدأ إرضاء لـ«هو أبيض» أيضًا: فـ«الشيء س يُرضي «هو أبيض» (في الإنغليزية) إذا وفقط إذا س أبيض». لقد قسَمنا الجُمْلة إلى أجزاء تكوينية وعيَّنا الصفات الدلالية لتلك الأجزاء. نحتاج الآن أن نشتَقَّ شروط الصحة لـ«الثلج أبيض» بناءً على مبادئنا. فبما أن هذه جملة فاعل-مسند، فلدينا قاعدة تقول إنَّ جملة كهذه تكون صحيحةً إذا وفقط إذا كان تعيين مصطلح الفاعل يُرضي مصطلح المسند. وهنا يجب استشارة مبادئنا لنتأكّد من ماهية تعيين المصطلح الفاعل «الثلج» وماهية شروط إرضاء المسند المرتبط «هو أبيض». وبما أننا نجد هذه الأشياء محددةً الآن، يمكننا أن نستنتج أن جملة «الثلج أبيض» صحيحةٌ إذا وفقط إذا الثلج أبيض. إننا هنا نستبدل «تعيين الثلج» بـ«الثلج» ونستبدل «يرضي «هو أبيض»» بـ«هو أبيض»، فقد قسَمنا الجُمْلة إلى أجزاء تركيبية ثم اشتققنا شروط الصحة من مبادئنا التي تتعامل مع الأجزاء البدائية. ونكون بهذا قد اشتققنا شروط الصحة للجملة كاملة من الصفات الدلالية لأجزائها. وبما أن المعنى يتَّحِد مع شروط الصحة، فقد اشتققنا معنى الكل من معاني الأجزاء.

أمّا إذا أضفنا مبادئ للموصّلات من قبيل «و» و«ليس» كما أوضحنا في نهاية الفصل، فيمكننا اشتقاق شروط الصحة لجُمَل معقّدة متشكّلَة من هذه الموصّلات، كـ«الثلج أبيض والعشب ليس أزرق». وبهذا يكون لدينا لغة بجمل كثيرة لا متناهية. فالتعابير البدائية تتكرّر في جُمَل مختلفة، ولهذا نكون بحاجة لمبادئ تغطّي هذه التعابير؛ فأنواع كاملة من الجُمَل تُنتَج ببساطة من التكرار. بناءً على ما سبق، يرى ديفيدسن أنَّ نظرية تارسكي تؤدّي وظيفة من أهم وظائف النظرية الدلالية: إنها توضّح كيفية اعتماد معنى الجُمْلة على الكلمات التي تُشكِّل الجُمْلة، لأنها توضّح كيفية إنتاج شروط الصحة من تركيبة الجُمْلة.

هنا اقتباس من ديفيدسن يلخِّص ما سبق:

«ما هي الصفات التي نحتاجها [النظرية المعنى]؟ ينبغي على أيّ نظرية مقبولة، كما قلنا، أن تُعلِّل معنى (أو شروط صحة) كل جملة بتحليل ما تتشكّل منه تلك الجُمْلة من عناصر مأخوذة من مخزونٍ متناهٍ، وذلك بطريقة ذات صلة بالصحّة. أمّا المطلب الطبيعي الثاني فهو أن تقدّم النظرية وسيلةً لتقرير ما هو معنى جملة عشوائية معطاة (وذلك بإرضاء شرطيْ الصحّة التي من خلالها توضح النظرية أنَّ اللغة التي تَصِفُها **قابلةٌ للتعلُّم وسهلة التكشف**). أما الشرط الثالث، فيتعيّن على مقولة شروط صحة الجُمَل الفردية المتضمَّنَة بالنظرية أن تعتمد، بطريقةٍ ما لم يتمّ تحديدها بدِقَّة، على نفس المفاهيم التي توضِّحها الجُمَل التي تلبّي شروط الصحّة[57]».

من الأشياء التي هدف إليها ديفيدسون أن يوضِّح الشروط التي ينبغي على نظرية المعنى أن تلبّيها، وكم من الفلاسفة أغفلوا هذه النقطة. فديفيدسن يريدنا أن نكون واضحين حول ما تستهدفه نظرية المعنى، لذلك يُعطينا مجموعة معايير لتحديد ما إذا كانت النظرية المقترحة نظرية جيدة أم لا. وقد تحدّثنا عن أول شرطين من هذه الشروط، ولم نتحدّث بعدُ عن الشرط الثالث.

من أبرز سمات نظرية تارسكي أنها تُوحي لنا بشيءٍ من التفاهة. فهي دائمًا ما تقول أشياءَ من قبيل ««الثلج أبيض» صحيحة إذا وفقط إذا الثلج أبيض». فإن تكرّرت نفس الجُمْلة على يمين الشرطية الثنائية وتكررت على يسارها، فلا يبدو لنا هذا قولًا مثيرًا للاهتمام حول الجُمْلة الأصلية. وبالطبع ليس من التافه أن تظهر جملة خاصة بلغة الأشياء من لغة أخرى، ولكن يبدو هذا تافهًا جدًّا إن حَدَثَ ذلك داخل لغتنا الوحيدة. أليس علينا أن نقول الكثير حول ما تعنيه جملة «الثلج أبيض»؟ أليس علينا أن نحاول أن نكون طموحين وتثقيفيّين وتحليليّين أكثر؟ إننا نعرف مسبقًا وبصورة جيدة أن جملة «الثلج أبيض» تعني أن الثلج أبيض، فلتُخْبرني شيئًا لا أعرفه!

يرى ديفيدسن أنَّ ما يبدو لنا خللًا هو في الواقع من فضائل النظرية، فمن «الجيد» ألا تعتمد النظرية على أيّ موارد مفاهيمية غير محتواة في الجُمْلة التي بدأنا بها. كما يرى بأن النظرية لا ينبغي لها أن تعتمد على أي مصادر مفاهيمية إبداعية أو جديدة، مع إنه لم يقدّم حجةً وسببًا لتدعيم موقفه هذا. مع ذلك تقول فكرتُه الأساسية إن الشيء الوحيد الذي يعرفه كل متحدّثٍ ولا يقبل الجدل هو أن «الثلج أبيض» صحيحة إذا وفقط إذا الثلج أبيض، وإذا كانت تعني أن الثلج أبيض. فإن كان هدفنا أن نقدّم تحديدًا للمعنى يقبض على ما عناهُ المتحدث حين ينطق جملة معينة، فليس ثمة أسئلة أو شكوك حول ذلك التحديد حين نستخدم جمل-ص التارسكية. لإننا حين نكون متحفّظين في نسبة المعنى، فلن نذهب بعيدًا عمّا يعرفه المتحدّث في العادة حين يعرف معنى جملة معينة. فلن ننسب للمتحدّث أشياء مشكوكًا فيها من المعرفة لا يملكها من البدء. ولدينا مصطلح لهذه المقاربة التحفُّظيّة لم يستخدمه ديفيدسن في مقالته التي نناقشها وهي مصطلح: «لفظ متجانس» (homophonic). ويعني ذلك المصطلح أنَّ ما على اليمين هو نفس الجُمْلة التي نذكرها على اليسار، أو أنها ترجمة مباشرة لها. فلا يجب على تلك الجُمْلة أن تكون تحليلًا أو اختزالًا أو إعادة صياغة أو تطويل للجملة الخاصة بلغة الأشياء (أي عليها ألّا تكون «لفظًا غير متجانسٍ» heterophonic). لأنه إن كانت جملة-ص متجانسة، فيمكننا حينها أن

نكون متأكّدين أنّها لا تنسب للمتحدّث معرفة أكثر مما يملكه في الواقع فيما يخص شروط صحة الجُمْلة التي يستوعب معناها. فالمفاهيم الوحيدة التي يحتاجها لفهم «الثلج أبيض» هي مفهوم «الثلج» ومفهوم «أبيض»، فوصفنا لمعرفته محصورٌ على هذه المفاهيم.

قد نتساءل عمّا يستثنيه شرط التجانس هذا. يقدم لنا ديفيدسن أمثلة لتعابير احتمالية؛ فلتفرض أننا مهتمّون بجملة كـ«بالضرورة 2+2=4» (Necessarily 2+2=4) ونريد أن نقدم جملة-ص لها. ستقوم الجُمْلة-ص المتجانسة ببساطة بتكرار تلك الجُمْلة على اليمين، فقط بإزالة علامتيْ الاقتباس منها. مع ذلك، يفترض الكثير من الفلاسفة أنَّ دلالة الاحتمالات ليست مغامراتية، فيفترضون لأسباب متعددة أنَّ من المفيد استخدام آلية العوالم المحتملة. وعلى هذا يمكننا تحليل المشغل الاحتمالي «بالضرورة» (necessarily) كمحدد كمية على عوالم محتملة كما في «لكل العوالم ع» (for all worlds w). فبتبّني هذا التحليل، يمكننا كتابة جملة-ص على النحو التالي: «بالضرورة 2+2=4» صحيحة إذا وفقط إذا، في كل العوالم ع، 2+2=4 في ع». يرفض ديفيدسن هذا التحليل لأن استحضار أنطولوجيا العوالم المحتملة يُمهّد لموارد مفاهيمة ليست محتواة في الجُمْلة الأصلية. فالجُمْلة الأصلية لا تقول شيئًا عن العوالم المحتملة، وليس فيها محدد كمية، فقد تم إثراء وشرح الجُمْلة التي بدأنا بها باستحضار مفاهيم غريبة. بل إن قائل تلك الجُمْلة قد يتذمّر حين نواجهه بجملة-ص السابقة قائلًا: ولكني لا أؤمن بأنطولوجيا العوالم المحتملة، وهذا **ليس** ما قصدْتُه بكلمة «بالضرورة».

بهذا تظل مسألتنا جدلية، فليس من الواضح عند أيّ نقطة قُمْنا بإدخال هذه المفاهيم الغريبة في جملة-ص الخاصة بنا. وقد يصرُّ مُنظِّر عوالم محتملة بأنه لم يُدخل مفاهيم غريبة في الجُمْلة لأن أنطولوجيا العوالم المحتملة محتواة **ضمنيًا** في كلامنا العادي عن الضرورة. فليست من اختراع الفيلسوف، فهي المعنى الثاوي وراء الجُمَل الاحتمالية. فهل نحن نضف مفاهيم غريبة إن كتبنا جملة-ص لجملة «جون أعزب» باستخدام الجُمْلة «جون ذكر غير متزوّج» على اليمين؟ يبدو أن حسْمَ هذه المسألة صار أكثر تعقيدًا، فليس من الواضح ما يعنيه الناس عادةً

بالجُمَل التي يستخدمونها. وهذا بلا شك الأمر الذي جعل ديفيدسن يخفّف من متطلبه عن التجانس بعبارة «بطريقةٍ ما لم يتمّ تحديدها بدقة».

9.3 تطبيق نظرية تارسكي على اللغات الطبيعية

حين يتعامل ديفيدسن مع لغةٍ بناءً على منطق إسنادها العادي، يستخدم نظرية الصحة التارسكية لتقديم نظرية معنى بطريقة مباشرة. بهذا تكون نظرية ديفيدسن من حيث الجوهر نظرية مشابهة للنظرية التي بناها تارسكي. فنظرية المعنى الخاصة بديفيدسن تتشكّل من أدوات تارسكية ذات مبادئ أساسية، ومبادئ تكرارية وقواعد دمج. مع ذلك، يعترف تارسكي بأنّ نظريته تنطبق فقط على لغات ممنهجة دقيقة، لا على اللغات الطبيعية الفوضوية. وبلا شك، فإن ذلك النوع المحدّد من اللغة ليس كل اللغة، فثمة سؤال قائم عن الحال التي ستكون عليها بقية اللغة. ألا تتعامل النظرية مع **جزء** فقط من اللغة التي لدينا؟ إن ثمة إشكالية مبدئية في تعريف الصحة عند تارسكي، فكلمة «صحيح» تنطبق على جمل إنغليزية كثيرة تتجاوز موارد اللغات المنطقية الإسنادية. لذلك، عجز تارسكي أن يُخبرنا عمّا تعنيه كلمة «صحيح» حين تُطبق على الجُمَل التي لا يمكن ترجمتها إلى لغة ممنهجة. وهذه المشكلة تقدّم دفعةً خاصةً لديفيدسن كونه **يزعم** أنّه سيطبّق نظرية تارسكي على اللغات الطبيعية بصورة كاملة. فإن كانت وسائل تارسكي لا تنطبق على بعض الجُمَل في اللغات الطبيعية، فلن يستطيع ديفيدسن إذن الاعتماد على تارسكي لإعطاء نظرية معنى كاملة للغات الطبيعية. فعلى ديفيدسن أن يشرح لنا كيف سيعمِم أساليب تارسكي على أجزاء مختلفة من اللغة. وكيف يمكنه أن يقدِم معنى الأجزاء في لغة لا تناسب صيغ المنطق الإسنادي الكلاسيكي؟ يبدو أنّ ديفيدسن واعٍ بهذه المشكلة القائمة، لذلك كتب عن أسلوبه في النظرية الدلالية قائلًا:

> «ما سيظهر كمشاكل عميقة هي صعوبات تتعلّق بالإحالة، عن إعطاء دلالة مُرضية للجمل الاحتمالية، تلك الجُمَل الخاصة بالمواقف المضمونية، والمصطلحات غير المعدودة، والأوصاف

الظرفية، والصفات النعتية، والأوامر والاستفهامات إلى آخر القائمة الطويلة المعروفة عند أغلب الفلاسفة[58]».

نحتاج، بحسب رؤية ديفيدسن، أن نجد طرائق لتضمين هذه «العبارات الاصطلاحية» (idioms) في صيغ دلالية تقبل المعالجة التارسكية. ودعْنا نتأمّل هذه العبارات الاصطلاحية، ولنبدأ بالظروف فهي تمثّل حالة تعليمية واضحة. تحتاج نظرية الصحة الخاصة بالجُمَل المحتوية على ظروف إلى تحديد كيفية مساهمة الظروف في شروط صحة الجُمَل. إذن فنحن بحاجة إلى مبادئ دلالية مناسبة للظروف؛ ولا توجد طريقة واضحة لتطبيق أدوات تارسكي على جُمَل من قبيل «يجري جون بسرعة» (John ran quickly)، ببساطة لأنه ليس ثمة ظروف في اللغات المنهجية التي عُنيَ بها. فلا يمكننا القول إن أشياء من قبيل «جون» يُرضي «بسرعة» (quickly)، فذلك لا يُمكن. بهذا يكون من الضروري إعطاء نوع مختلف من النظرية عن كيفية عمل الجُمَل الظرفية. يُنجز ديفيدسن هذه المهمة لنا بإعادة صياغة الجُمَل الظرفية إلى جُمَل تُقاس على «الأحداث» (events) ثم يجعل الظروف أسانيد لتلك الأحداث. فعلى سبيل المثال، يقوم ديفيدسن بإعادة صياغة جملة «يجري جون بسرعة» على النحو التالي: «كان ثمة حدث ح حيث إن ح جرى من قبل جون وح سريع» (There was an event e such that e was a running by John and e was quick). فبهذه الطريقة، استبدلنا الظرف «بسرعة» (quickly) بالصفة «سريع» (quick) وطبقناها على الحدث (لا جون نفسه). فيمكننا الآن أن نُعطي مبدأ إرضاء للمسند «سريع» بالطريقة المعتادة: فالحدث ح يُرضي «سريع» إذا وفقط إذا ح سريع. باختصار، ما يفعله ديفيدسن هنا أنه يُترجم الجُمْلة الظرفية الصحيحة نحويًا إلى جملة بدون ظروف، مُستبدلًا الظروف بصفات (مسانيد) تنطبق على الأحداث. وبهذه الطريقة نتأكد من أن الصيغ المألوفة من المنطق الإسنادي قادرة على تضمين تراكيب ظرفية من الإنغليزية ومن لغات طبيعية أخرى.

ثمة مثال آخر يتضمن ما يسمّى «المشغلات الاستبطانية» (intensional operators)، وتعود فكرة هذه المشغلات إلى فريغه. فرغم

تطابق هيسپيروس وفوسفوروس، إلا أن جون يؤمن بأن هيسپيروس كوكب، فيما لا يؤمن بأن فوسفوروس كوكب. فبما أن «هيسپيروس» يعني نفس الكوكب الذي يعنيه «فوسفوروس»، نجد أنفسنا عاجزين عن استبدال الأسماء ثنائية المعنى داخل سياقات المعتقدات. فسياقات كهذا تُعدُّ «مُبْهَمَةً» (opaque). فكما أوضح فريغه، تعتمد شروط صحة الجُمَل التي تحوي مشغلات استبطانية مثل «يؤمن بأن» (believes that) على معنى الاسم المضمَّن، لا الإحالة. بالتالي، لا يمكن أن يكون لدينا مبدأ شامل للاسم الذي يُعطي إحالته ببساطة، فذلك لا يقبض على الإسهام الذي يقوم به الاسم في الجُمَل التي تحوي مشغلات استبطانية. فكثيرًا ما يؤثّر الاسم على قيمة صحة الجُمْلة بطريقة تتجاوز إحالته وتُدخل في العملية ما يسمِّيه فريغه بالمعنى. ولهذا السبب، يظلّ شرحُنا عن دلالة الأسماء غير مكتمل إن كانت فقط تعطي إحالاتها، فيجب علينا إضافة شيء آخر. كما إنه ليس من الواضح كيفية احتواء هذه الحالات في الإطار الذي بناه تارسكي، فنظرية تارسكي تحدّد الإحالات للمصطلحات المفردة بواسطة مبادئ تعيين، مع تجاهل المعنى. وهذه ليست مشكلة بحسب أهداف تارسكي كونه مهتمًا بتعريف الصحة للغات التي لا تحوي مشغلات استبطانية. مع ذلك، يروم ديفيدسن تطبيقَ الإطار التارسكي على كل التراكيب اللغوية للغات الطبيعية، وهذه مهمة صعبة للغاية. فكيف لدلالة مُصمَّمة للغات مصداقية بحتة أن تتعامل مع لغات استبطانية؟

يقدم ديفيدسن نظريةً للسياقات الاستبطانية، نظريةً ذكيةً تعتزم حلَّ هذه المشكلة (انظر مقالته «عن قول ذلك» On saying that)[59]. لنتأمل جملة «يقول جون إن السماء زرقاء» (John says that the sky is blue). يرى ديفيدسن أن علينا تحليل تلك الجُمْلة بالطريقة التالية: «السماء زرقاء. جون قال ذلك» (The sky is blue. John said that). أي نقسّم الجُمْلة الأصلية إلى جزئين منفصلين بنقطة، ومرتبطين باسم الإشارة «ذلك» (that) والذي يُحيل بدوره إلى الجُمْلة الأولى. كأن تقول شيئًا وأردُّ عليك بـ«لقد قلتَ ذلك». ترى فكرة هذا التحليل (وكثيرًا ما تسمّى بـ«النظرية النظيرية» paratactic theory) بأنَّ علينا أنْ نُبطِلَ المشغل

الاستبطاني بإزالة الجُمْلة المُضمَّنة. فلن يكون لدينا بعد ذلك سياق مُبهم. ففي جملة «السماء زرقاء»، يمكننا استبدال أيّ مصطلح ثنائي المعنى فيها، فيما نحافظ على قيمة صحّة الجُمْلة. ولا يحدث هذا داخل السياق الاستبطاني كجزءٍ من جملة معقدة، فهي جملة منفصلة، لذلك فكل شيء هنا مصداقيّ. يمكننا إذن تطبيق نظرية تارسكي المصداقية ولا نواجه أيّ مشكلة. فعلى ذات النحو، تكون جملة «جون قال ذلك» (John said that) مصداقية بصورة كاملة، وبإمكاننا استبدال أيّ مصطلح يُحيل إلى نفس الشيء بـ«ذلك» (that) على وجه الخصوص ولا نغيّر قيمة الصحّة. فيمكن لاسم الإشارة «ذلك» أن يُحيل إلى المضمون المعبَّر عنه في الجُمْلة الأولى، وبالتالي لن يُغيّر أيّ مصطلح يُحيل إلى نفس المضمون من قيمة الصحة. بهذا وبإعادة صياغة ذكية، نستطيع استحضار كل السياقات التي تبدو استبطانية في طيّات نظرية تارسكي: فستظهر على أنها مصداقية بالنهاية. (ثمة أشياء كثيرة يمكن قولُها عن مقترح ديفيدسن هذا وعن نظريته للظروف، ولكن سنكتفي بالاختصار لنقدِّمَ نكهةً عن كيفية تعميم إطار تارسكي على اللغات الطبيعية).

ثمّة أيضًا موضوع «الجُمَل غير الخبرية» (non-indicative sentences)، والتي تفتقر لشروط الصحة عمومًا. فالأمر «أغلق الباب!» (shut the door!) لا يظهر على أنه صحيح أو خاطئ. فالطريقة الأمثل هنا أن نترجم هذه الجُمَل إلى جمل خبرية، فبإمكاننا أن نعيد صياغة «أغلق الباب!» إلى «لقد أمرتك أن تغلق الباب» (I order you to shut the door). وقد تكون الجُمْلة الأخيرة صحيحة أو خاطئة، بناء على ما إذا كنتُ قد أمرتُكَ فعلًا بإغلاق الباب. بل يمكن أن تكون صحيحةً عمومًا لأن في قولي «أمرتك» أكون قد أمرتك «فعلًا» (وهذا النوع من الممارسات الكلامية يُسمَّى «أدائيات» performatives). إذن، نحتاج هنا إلى إعادة صياغة مناسبة للجملة الأصلية تتناسب مع المعاملة التارسكية ما دامت لإعادة الصياغة شروط صحّة. وتوضّح هذه الأمثلة نوع الطرائق التي نحتاجها عن جمل اللغات الطبيعية لكي نجعل إطار تارسكي الدلالي قابلًا للانطباق على اللغات الطبيعية. فديفيدسن على وجه الخصوص متأكِّدٌ من عدم وجود صعوبة في تعميم نظرية تارسكي عن الصحة أكثر مما

تبدو عليه ظاهريًا، مع إن هذه المحاولة من ديفيدسن ستشكِّل «برنامجًا بحثيًا» (research program) (مما يعني أنَّه سيجعل طلاب الدراسات العليا المتحمسين منشغلين بهذا البرنامج لعدة سنوات).

كما تطرح الإشارات مشكلةً لمتطلَّب التجانس. فلنفترض أنني قلتُ جملة-ص المتجانسة لجملة «أنا جذّاب» (I am hot)، أي إنني قلتُ ««أنا جذاب» صحيحة في الإنغليزية إذا وفقط إذا أنا جذّاب». تبدو المشكلة واضحة: فلا يمكن لأحد أن يقول بصدق «أنا جذّاب» ما لم أكن أنا (كولِن مَكغِين) جذّاب. ولكن ثمة شخص آخر غيري قد يكون أكثر جاذبيةً ويمكنه أيضًا أن يقول جملة «أنا جذّاب»، دون أن أكون أنا جذّابًا. فمن الواضح أن شرط التجانس عند ديفيدسن لا يستقيم هنا. فنحن بحاجة إلى أن نكتب جملة-ص وفقًا للخطوط التالية: ««أنا جذّاب» صحيحة للمتحدّث م في الوقت وإذا وفقط إذا م جذّاب عند و» (I am hot' is true for speaker S at time t if and only if S is hot at t') [60]. فهذه الجُمْلة هي شرط الصحة الصائب للجملة الإنغليزية «أنا جذّاب». جيد، ولكن جملة-ص غير متجانسة هنا، لأن الجزء الأيمن لا يكرر الجُمْلة المذكورة على اليسار. فعلينا أن نحذف كلمة «أنا» تمامًا ونُضيف «م» (S) و «و» (t). أي علينا استخدام موارد مفاهيمية ليست حاضرة في «أنا جذّاب»، فالجزء الأيمن ليس مرادفًا للجملة المذكورة على الجزء الأيسر، وهذا مخالفٌ لشرط التجانس. مع ذلك، تبدو هذه هي الطريقة الوحيدة التي سنسير فيها، متسائلين عن كيف سينصّ ديفيدسن على متطلَّب التجانس لديه في المقام الأول؟ فكيف سَيَصيغُه ليستثني أيَّ شيءٍ آخر، بينما يفسح استثناءً للإشارات؟ أضِفْ إلى هذه النقطة أنَّ التعامل مع الظروف يبدو مخالفًا أيضًا لمتطلّب التجانس، فالظروف تتطلّب إضافة محدّدات كمية وأنطولوجيا أحداث. بهذا يفقد متطلّب التجانس قيمَتَهُ. فكيف يمكن لديفيدسن استثناء إعادة صياغة العوالم المحتملة للعبارات الاصطلاحية الاحتمالية إن سمحنا بجمل-ص غير المتجانسة للإشارات والظروف؟

إن نظرية ديفيدسن لا تحاول معرفة البدائيات الدلالية، فثمة فقط تعيينٌ لصيغة منطقية. فديفيدسن يفرّق بين تعريف التعابير البدائية

وإعطاء الصيغ المنطقية للجمل. فبطريقته في النظر إلى الأشياء، ستكون المبادئ الأساسية للمصطلحات البدائية عند ديفيدسن على النحو التالي: «الثلج يُعيِّن الثلج»، و«أي شيء يُرضي «أبيض» إذا وفقط إذا ذلك الشيء أبيض». إذن، تُحلِّل نظرية ديفيدسن التركيبة المنطقية للجمل ولكنها لا تحلل الكلمات الفردية، ولهذا ستخبرنا بأنَّ الجُمْلة تتشكّل من مصطلح مفرد ومسند ذي مكان واحد أو أن الجُمْلة المركبة هي عطف، ولن تخبرنا مثلًا بأن «أعزب» (bachelor) تعني «ذَكَر غير متزوّج» (unmarried male). وهذا النوع من النظريات يُوصَف دائمًا بـ«المتواضع» (modest) لأنه يمتنع عن الدخول في تحليل معاني الكلمات، مع إن هذا الوصف غير مناسبٍ هنا لأن إعطاء صيغة منطقية ليس أمرًا تافهًا أو واضحًا أو غير خاضعٍ للجَدَل. مع ذلك، تبقى فكرة إعطاء صيغة منطقية شيئًا مختلفًا تمامًا عن تحليل التعابير الفردية. فالأولى فكرة ضرورية ومرغوبة، والأخرى اختيارية ومحظورة بطريقة مُبهَمَة.

يتضمَّن شرح الصيغة المنطقية تحديد الفئات الدلالية للكلمات، وهذا أمرٌ ليس تافهًا عمومًا. فتأمَّل مرةً أخرى كلمة «الثلج» وجملة «الثلج أبيض». إننا إن عاملنا تلك الجُمْلة على أنَّ لها الصيغة المنطقية لجملة مسند-فاعل، كما فعلنا مسبقًا، فسنعامل كلمة «الثلج» كمصطلح مفرد، أيْ اسم للثلج، أيًّا يكن ذلك الثلج (سواء كان مجموعة الكتل الثلجية أو ما يشبه العالمية الأفلاطونية، صيغة الثلج). سنقوم بعدها بكتابة مبدأ لـ«الثلج» وسيكون كمبدأ الاسم «هيسبيروس» (فـ«الثلج» يُعيِّن الثلج، و«هيسبيروس» يُعيِّن هيسبيروس). في المقابل، إن كنا سنرى أنَّ كلمة «الثلج» ليست مصطلحًا مفردًا ولكنه مسندٌ، فعلينا حينها أن نصوغ مبدأها بالطريقة التالية: «س يُرضي «الثلج» إذا وفقط إذا س (قطعة من) الثلج»، فهذا ستحصل على مبدأ إرضاء لا مبدأ تعيين. وستقدِّم هذه التصنيفات الدلالية صيغة منطقية مختلفة لجملة «الثلج أبيض». فبدلًا من أن يكون لها الصيغة المنطقية «ف-أ» (Fa)، أيْ مصطلح مفرد بالإضافة إلى مسند، فسيكون لها الصيغة المنطقية لتحديد كمّي عالمي، كما في «لكل س، إذا س (قطعة من) الثلج، فـ س أبيض» (For all x, if x is (a piece of) snow, then x is white).

فستوضع كلمة «الثلج» في فئة دلالية مختلفة خاصة بالمسانيد لا المصطلحات المفردة. (وفي الواقع، أن «الثلج» هو ما نسّميه بـ«مصطلح غير معدود» mass term، وقد طرحنا طريقتين للتعامل مع المصطلحات غير المعدودة سواءً كانت أسماء أو مسانيد). وعلى نحوٍ مشابهٍ، نجد أن كلمة من قبيل «بسرعة» (quickly) تتحوّل في طريقة تعامل ديڤيدسن مع الظروف إلى مسند أثناء تعيين الصيغة المنطقية. ففي تعامُلِه مع الخطاب غير المباشر، يقوم ديڤيدسن بتصنيف كلمة «أنَّ» (that) في جملة «يقول جون إنّ السماء زرقاء» (John says that the sky is blue) كاسم إشارة وبالتالي كمصطلح مفرد يعتمد على السياق. فليس في هذه التصنيفات الدلالية شيءٌ متواضعٌ على نحو الخصوص، بل إنها تُعَدُّ محاولةً جريئةً من ديڤيدسن.

إذا كان من المفترض من اللغات المنهجية ألا تكون غامضةً، فماذا عن الغموض الماثِل في اللغات الطبيعية؟ فمثلًا، كلمة (bank) غامضة، كونها تعني المصرف الخاص بالأموال أو ضفَّة النهر. وهذا يُسمَّى بـ«الغموض اللفظي» (lexical ambiguity). ولدينا أيضًا «الغموض التركيبي» (syntactic ambiguity) كما في المثال الذي يستشهد به ديڤيدسن: «لقد جاؤوا بقاربٍ بطيءٍ وطائرة/ لقد جاؤوا بقارب وطائرة بطيئين» (They came by slow boat and plane)، فهل القارب فقط بطيء أمْ الطائرة بطيئة أيضًا؟ إنَّ من الواضح أن شروط الصحة ستتبايَن حين يكون لدينا جُمَل غامضة، وعلينا إذن أن نحلَّ الغموض قبل تركيب جمل-ص. فلا نريد أن ننتهي إلى شذوذات من قبيل «جملة «سمانثا استلقتْ على الضفة (النهرية)» صحيحة إذا وفقط إذا استلقت سمانثا على المصرف «المالي»» ('Samantha lay down on the [river] bank' is true if and only if Samantha lay down on the [money] bank). علينا هنا أن نقوم بقرن كلمة «bank» ببعضها البعض لنُزيلَ أيَّ غموضٍ محتَمَلٍ فنقول «Rbank» (الضفة النهرية) و«Mbank» (المصرف المالي). أمّا فيما يخص الغموض التركيبي، فتكفينا أداة التقويس، كما في «جاؤوا بقارب وطائرة بطيئين» (They came by [slow boat and plane])، و«جاؤوا

)، (فأداة التقويس هذه تُستخدم في المنطق العام للإشارة إلى «المجال» (scope).

من المهم أن ننتبه هنا إلى أنَّ جمل-ص نفسها ليست القصة كاملة، فهي فقط تُعيّن شروط الصحة وبالتالي المعنى. فلا تمثّل جمل-ص لحم النظرية، فثمة أيضًا «دليل» (proof) جمل-ص. يطرح ديڤيدسن هذه الفكرة قائلًا إنَّ علينا أن نشتَقَّ جمل-ص من مجموعة متناهية من المبادئ تعكس التركيبة التكرارية، أيْ الإيراد المتكرر للبدائيات الدلالية. ويكون التوضيح لا من النتائج النهائية فقط، أيْ من النظريات، ولكن من عملية اشتقاق النظريات من تحليل التركيبة الدلالية للجمل. فنحن نرى كيف تقوم الكلمات التكوينية بتوليد شروط صحة الجُمْلة. لهذا يرى ديڤيدسن أنَّ على النظرية أن تكون تركيبيةً وبالتالي تشرح كيفية اشتقاق لغة لا متناهية من أساسٍ متناهٍ. فثمة الكثير فيما يخصُّ نظرية تارسكي يتجاوز مخرجات جمل-ص بصفتها المحببة، كما إنَّ ثمة آلية معقَّدة كاملة من المبادئ والاشتقاقات التي تُوَلِّد تلك المخرجات. فالمسألة رحلة ومحطة على السواء.

من الامتيازات التي يراها ديڤيدسن في هذه النظرية أنها تسمح لنا بتقديم نظرية معنى دون النَّصّ على كون المعاني كيانات. ومن أهم من نتذكَّره في هذا الصدد الفيلسوف «ويلارد ڤان أورمان كواين» (Willard Van Orman Quine)، فقد عُرِفَ كواين برفضه لفكرة كون المعاني كيانات (بل إنَّه يسمّيها بـ«مخلوقات الظلام» creatures of darkness التي تهدِّد العيش النظيف، إلخ). يتساءل كواين كيف يمكننا عدَّ هذه الكيانات المراوغة وتمييزها عن بعضها البعض، فكَمْ من المعاني في هذا الكتاب مثلًا؟ كما يرى ديڤيدسن أنَّها مغامرة كبيرة من الدلالة التارسكية حيث لا يوجد ثمّة حاجة لتعيين أيّ «معانٍ» للكلمات في نظرية المعنى. فلدينا نظرية معنى تفعل ذلك دون أيّ كيانات خاصة تسمى المعاني أو الاستبطانات. فتلك النظرية تُعيّن إحالات للكلمات، والإحالات مواطنون مهذّبون أمناء، لا مضللون مراغون يدورون في منطقة الكلمات. إننا نقول إن ««هيسپيروس» يُحيل إلى هيسپيروس» بكل ثقة في نظريتنا، ولكننا لا نقول شيئًا عن الأشباح الدلالية المزعومة التي تصف نفسها بـ«المعاني».

مع ذلك، ننجح في قول ما تعنيه الجُمَل (أو من المفترض أن ننجح في ذلك: انظر بالأسفل).

في حالة المسانيد، لا تُعيِّن النظرية أيَّ كيانٍ أبدًا، ولا حتى إحالة. فنحن ببساطة نُعيد استخدام المسند في مبدأنا الخاص بالإرضاء. فتأمّل مرةً أخرى مبدأ على النحو التالي: «س يُرضي «أبيض» إذا وفقط إذا س أبيض». لاحظ أنه لا إحالة هنا لأيّ شيء له معنى من خلال المسند «أبيض». فيمكننا قول ««أبيض» يُعيّن البياض»، ولكننا لا نفضّل هذا القول. نقول عوضًا عن ذلك إنَّ شيئًا يُرضي «أبيض» إذا وفقط إذا الشيء أبيض، دون إحالة لأي كيان مجرد مفترض يُسمّى «البياض». فليس لدينا مصطلح مفرد في هذه الجُمْلة لأيّ شيء يُعيَّن للمسند، فلا صفات وعالميات ومعاني إلى آخر هذه الأمور. فالمبدأ يُعطي شرطًا يتم من خلاله إرضاء المسند، دون إلزامنا بأيّ كيانات غريبة من النوع الذي يُنفِّر كواين المتذمّر. بهذا، فإن الكيانات المُحال إليها في مبدأ الإرضاء أشياء عاديّة نحتاجها على أيّ حال، وهذه الأشياء الزمانية المكانية بيضاء. كما أن تارسكي على نحوٍ مشابِهٍ لم يفسّر الموصّلات بتحديد إحالة لها، ولم يقل إنَّ الموصّل «و» يُعيّن العطف. يقول تارسكي فقط جملة على الصيغة التالية: «پ وك» (p and q) صحيحة إذا وفقط إذا «پ» صحيحة و«ك» صحيحة». وهو بهذا لا يعني باستخدام الكلمة «و» على الجانب الأيمن أنَّ علينا تعيين أيّ «إحالة» للكلمة. فهي نظرية معنى دون الحاجة للأشياء المسمّاة «معاني»، أي دون هذه الكيانات الدلالية الغريبة. فالكلمات والجُمَل تعني أشياء معينة، ويمكننا الإخبار بما تَعنيه، مع إنَّه ليس ثمّة كيانات معنى يمكن للجُمَل والكلمات أن تعنيها. لهذا، لن يضطر كواين لأن يقلق بشأن الحديث عن «نظريات المعنى» وكونها تهدّد بإطلاق أنطولوجيا غير محمودة لـ«المعاني» ستشوّه عالمه المرتّب والنظيف.

9.4 نظرية الصحة التجريبية

بإزالة المعاني من طريقنا بصورة آمنة، يُقارب ديڤيدسن سؤال الحالة التجريبية لنظريات الصحة المشابهة لنظرية تارسكي. بعبارة أخرى، كيف

يمكنك التأكّد من صحة نظرية معينة؟ ثمة حالتان للتأمُّل: الحالة الأولى تتقاطع فيها لغة الأشياء بالميتا لغة، والثانية تختلف فيها لغة الأشياء عن الميتا لغة. لنأخذ الحالة الأبسط إلينا حيث نقدم نظرية صحة للغتنا الحالية. كيف نتأكّد أنّ منظوراتها صحيحة؟ يرى ديفيدسن أنه من السهولة القيام بذلك، فيمكننا النظر في المنظورات ونرى من صيغها الماثلة أنها صحيحة. فإن قالت النظرية إن ««الثلج أبيض» صحيحة إذا وفقط إذا الثلج أبيض»، يمكننا بسرعة التأكّد من أنها صائبة. ولكن إن قالت ««الثلج أبيض» صحيحة إذا وفقط إذا سوق الأسهم على وشك الانهيار»، فسنعرف أنَّ ثمة خطأً في مكانٍ ما، لأن الجُمْلة التالية بعيدةٌ جدًّا عمّا تعنيه جملة «الثلج أبيض». فقدرتنا الدلالية تُمكّننا من الحكم على ما إذا كانت النظرية تُمسِك بشروط صحة جملة بصورة صحيحة أم لا. فالجُمْلة-ص صائبة تجريبيًّا إذا وفقط إذا كانت الجُمْلة المستخدمة على اليمين هي نفس الجُمْلة المذكورة على اليسار. لذلك من السهل أن نعرف من مثالنا أنَّ جمل-ص صائبة أم لا. (في الواقع، ينسى ديفيدسن هنا أنَّه ليس كل الجُمَل-ص متجانسة. هل من السهل أن تحكم على الجُمْلة-ص التي تحوي نظريته عن الظروف بأنها صائبة؟ في الواقع لا يمكننا التحقُّق من أن لدينا نفس الجُمْلة مرتين، لأن الجُمَلتين مختلفتان. فمن المثير للجدل أن تكون جملة-ص التالية صحيحة: ««يجري جون بسرعة» صحيحة إذا وفقط إذا كان ثمّة حدث ح بحيث ح هو جري وح يؤدَّى من قِبَل جون وح سريع». مع ذلك فمن الصواب أننا نحدّد هذه الأسئلة باستشارة قدراتنا، بما أننا نفهم جملة «يجري جون بسرعة»).

يطرح ديفيدسن ملاحظةً أكثر إثارة تقول إنَّ الحكم على صحة جملة-ص أسهل من الحكم على صحة نفس الجُمْلة، فيقول:

> «قد يكون في الواقع من السهل في كثيرٍ من الأحوال على المتحدّث أن يقول ما هي شروط صحة جملة مِنْ أنْ يقول ما إذا كانت الجُمْلة صحيحة نحويًّا. فليس من الواضح ما إذا كانت جملة «يبدو الطفل نائمًا» (the child seems sleeping) صحيحة

نحويًّا؛ ولكن بلا شك تكون جملة «يبدو الطفل نائمًا» صحيحة إذا وفقط إذا الطفل يبدو نائمًا[61]».

يقتضي هذا أنَّ معرفة ما تعنيه جملةٌ أسهل من معرفة ما إذا كانت تلك الجُمْلة صحيحة نحويًّا. وقد يرى البعض أنَّ علينا **أولًا** أن نقرّر ما إذا كانت الجُمْلة ذات معنى قبل أن نتساءل عن معناها، مع إنَّ الأمر قد يتم بالعكس بافتراض أن ديفيدسن على صواب. فإلى أيّ مسافة يمكن أن تأخذنا هذه الفكرة؟ هل أعرف أنا أنَّ جملة «يسبح المحيط ليلًا إلى نفسه» (The ocean swims nightly to itself) صحيحة إذا وفقط إذا المحيط يسبح ليلًا إلى نفسه، أي حتى وإن شككتَ بأن تلك الجُمْلة بلا معنى من البداية؟ ماذا عن جملة ««الفجر وليس الشمس إلى أعلى مُكدَّر» (Dawn and not sun upward grim) صحيحة إذا وفقط إذا الفجر وليس الشمس إلى أعلى مُكدَّر»؟ أو «أل هي صحيحة إذا وفقط إذا أل» ('the' is true if and only if the')؟ إن التكرار لا يكفي بلا شك إن كانت الجُمْلة من البداية مضطربة.

هذه إلماحات ديفيدسن حول الأمثلة المألوفة ولكن ماذا عن التأكُّد من نظرية الصحة للغة أجنبية؟ كيف نعرف بأننا قد قبضنا بالشكل الصحيح على شروط صحّة خاصّة بشخص آخر، إذ لا يمكننا أن نستعين بقدراتنا اللغوية لأنه ليس لدينا أيّ قدرات في اللغة الأجنبية. فعلينا أوّلًا أن نستكشف ما الذي يعنيه المتحدّثون الأجانب بكلماتهم. وهنا، يلمّح ديفيدسن إلى نقاش كواين عن «الترجمة الجذريّة» (radical translation)، وقد عُرِفَ كواين بتجربة تخيُّليّة شهيرة تقول إن رحَّالًا ذهب إلى بلدٍ أجنبيٍّ والتقى بقبيلة من الناس لم تُترجم لغتهم إلى أيّ لغةٍ معروفةٍ أبدًا. فاستشعر الرحّال دوره كلغويٍّ ميدانيٍّ، فانخرط في ترجمة جذرية، أيْ ترجمة من الصفر، دون أيّ معجم. يتساءل كواين: كيف يبدأ الرحّال عملية الترجمة الجذرية، وكيف سيتمكّن من الوصول إلى مشروع ترجمة صائب ودقيق لتلك اللغة؟ يطرح ديفيدسن نفس السؤال كونه مهتمًّا بكيفية التأكد من نظرية صحة للغة أجنبية بصورة جذرية، فهو بعبارة أخرى يهدف إلى أن يحدّد كيفية تعيين شروط صحة للجمل من الناحية التجريبية.

من الأمثلة التي طرحها كواين في تجربته التخيُّليّة عن الترجمة الجذرية كلمة (gavagai). فيرى كواين أنَّه حين ينخرط الرحّال في ثقافة القبيلة، سيلاحظ تصرُّفًا لغويًّا وسيبدأ باستكشاف ما الذي يعنيه الناس حين يقولون كلمة (gavagai). فليس لدى الرحّال قاموسٌ يستعين به، كونه يشرع في ترجمة جذرية من الصفر. فكيف سيستكشف رحّالنا معنى كلمة (gavagai)؟ فلن يستفيد من سؤال المتحدّثين الأصليين لأنه لن يفهم ما يقولون، كما إنهم لا يتحدّثون بلغته أيضًا. إن أول ما على الرحّال أن يقوم به هو أن يستكشف متى وأين تُقال كلمة (gavagai) وكيف تكون استجابة المتحدثين للتقديمات الحسيّة المباشرة. فما الذي ينظر إليه المتحدثون حين يقولون (gavagai)؟ لنفترض أنّ رحّالنا لاحَظَ أنَّ المتحدثين الأصليين يقولون (gavagai) عندما يمر أرنبٌ من أمامهم، وبهذا يخلص إلى أنه قد عرف معنى (gavagai)، فهي تعني «أرنب». فالفكرة العامة هنا أن الرحّال ينظر حول المتحدّثين الأصليين حين ينطقون الكلمة ويبدأ بوضع افتراضات عن معناها. وقد نتّفق مع الرحّال أنَّ الترجمة الصحيحة لكلمة (gavagai) هي بالفعل «أرنب» لأن المتحدثين الأصليين يقولون تلك الكلمة إذا وفقط إذا كان ثمّة أرنبٌ يجري أمامهم. وبما أن رحّالنا طالبٌ محِبٌّ لتارسكي، فسيسَجِّل فرضيّته على صيغة مبدأ الإرضاء التالي: «س يُرضي gavagai إذا وفقط إذا س أرنب».

يشرح كواين المثال السابق قائلًا إنَّ الأرنب جزءٌ من «المعنى المحفَز» (stimulus meaning) للكلمة. فقد تَحفَّز المتحدّثون الأصليّون ليقولوا (gavagai) بمجرد أن مرَّ أرنبٌ في مجال أحاسيسهم. فإن تتبَّعْتَ المحفَز إلى أصوله من أعضاء أحاسيسهم إلى البيئة، ستجد أرنبًا في الجهة الأخرى. وهنا يطرح كواين فكرة قاتلة فيقول: حتى إن كان المتحدّثون الأصليّون يقولون كلمة (gavagai) حين وفقط حين يرون أرنبًا، فذلك لا يقتضي بالضرورة أنَّ (gavagai) بمعنى «أرنب». وبحسب تعبير المناطقة، لا يقتضي ذلك أنَّ مجموعة أرانب تشكل مصداقًا لـ(gavagai). فبالرغم من أن الأرانب مُضمَّنة في المعنى المحفَز بصورة صحيحة، فثمة أشياء أخرى مُضمَّنة في المعنى المحفَز أيضًا. فمن الأشياء المضمَّنة في المعنى المحفز لـ(gavagai) بالإضافة إلى الأرانب: أجزاء الأرانب، أُذناها مثلًا.

فكلمة (gavagai) قد تعني «أُذُنَيْ الأرنب». فكلّما حضر أرنب، حضرت معه أُذُناه. وبلا شك، قد يكون ثمّة حالة يُمْسِك فيها الرحّال بأذنَيْ أرنب مقتول، وتكون الأذنان مقطوعة ومستقلّة بيديه، ويجد أنَّ المتحدثين الأصليين لا يقولون كلمة (gavagai) بالإشارة إلى الأذنين فقط. حينها يمكنه استثناء فرضية «أذنيْ الأرنب». مع ذلك، فمن الممكن أن يجد مترجمنا النابِه أنَّ معنى (gavagai): أذنان على رأس أرنب حيّ. وحينها سيدرك أنَّ الكلمة قد تعني أيضًا «طور زمني من أطوار الأرانب» أو «المُسبب الشبكي لأحاسيسنا عن الأرنب» أو حتى «قطعة مرئيّة من الأرنب» (فلا ينطق المتحدث كلمة gavagai ما لم يرَ أمامه أرنبًا). وقد تعني الكلمة في الواقع «برغوث الأرنب» (rabbit flea) بما أن الأرانب تتعايش مع براغيثها دومًا. الفكرة هنا أنك قد تجد أشياء كثيرة لها معنى الكلمة في البيئة المجاورة لها بالعادة (أو حتى في رؤوس المتحدّثين الأصليين). فلا يمكننا بسهولة تحديد ما الذي تَعْنيه الكلمة بالتحديد (وما مصداقها؟). لذلك وصل كواين بناءً على هذه الملاحظات إلى الخلاصة المذْهِلَة التي تقول إنَّ ما يعنيه المتحدِّث الأصليّ «غير محدّد بصورة جذرية» (radically indeterminate) (بل إنَّ كواين يُعمم فكرة «اللامحددية» indeterminacy هذه لما نعنيه **نحن** بكلماتنا). فليس ثمة حقيقة موضوعية فيما يتعلّق بمعنى كلمة (gavagai) (أو ما تعنيه كلمتنا «أرنب» rabbit حين نقولها).

لا يهتم ديفيدسن في هذه الورقة باللا محددية رغم إنه يعبّر في مواضع أخرى عن موافقته لفكرة كواين. يهتم ديفيدسن هنا بالصورة العامة عند كواين وكيفية تشكيل واختبار تأويلات لغة الآخرين. وهذا يأخذنا إلى نظريته عمّا يسمّيه بـ«التأويل الجذري» (radical interpretation)، وقد دلف ديفيدسون إلى هذا السؤال بصورة كاملة في ورقته المسماة «التأويل الجذري»[62]، فلنختصر القول هنا. يرى ديفيدسن أننا بحاجة إلى تعيين شروط صحة وفقًا للمسببات البيئية الخارجية للتعابير. فإن كان المتحدث الأصلي يفترض صحة جملة حين تظهر حالة ظروف معينة بصورة موضوعية في البيئة المحيطة، فعلينا افتراض أنَّ تلك الجُمْلة صحيحة حين نجد نفس الحالة من الظروف، حتى وإن أغفلنا اللا

محدديات المتَّسِعَة. فليكن هذا، فَمِنْ الطُرُق لتقييد تأويلاتنا بدقة والتي يؤيّدها ديفيدسن ما يُسَمّى بـ«مبدأ الخيرية» (principle of charity) ويعني هذا المبدأ أن على المؤوِّل أن يؤول المتحدّثين بطريقة تظهر فيها معتقداتهم وإيمانهم بصورة سليمة. فليس علينا أن نفترض أنَّ متحدّثنا الأصليَ مخطئٌ تمامًا، أو مُضلَّل ومحتار بسبب معتقداته الخاطئة. وبالطبع، يمكن أن يكون المتحدّث الأصليَ مخطئًا عن وجود أرنب أمامه حين ينطق كلمة (gavagai)، فقد يكون مصابًا بهلوسة عن الأرانب (فقد يدخّن نبتة مخدِّرَة طوال اليوم). مع ذلك، يؤكّد ديفيدسن أنَّ علينا أن ننسُبَ معتقدات صحيحة لمتحدّثنا إنْ أرَدْنا أن نفْهَمَهُ من البدء. فلا يمكن تأويل المتحدّثين (فتأويلهم مستُحيلٌ بنظر ديفيدسن) ما لم يُطبَّق مبدأ الخيرية عليهم. وبما أنه يمكننا تأويل أنفسنا (ويبدو هذا ممكنًا)، فهذا يعني أننا لسنا على خطأ أيضًا. وهذا يقتضي أنَّ شكوكنا عن معتقداتنا خاطئة: فلا بد أن لدينا معتقدات صحيحة، بصرف النظر عمّا يقوله المشكِّكون. لقد قلنا هنا ما يكفي عن كيفية نظر ديفيدسن لمشاريع التأكُّد من نظريات المعنى للمتحدثين الأجانب، كما إن ثمة نقاشًا كاملًا عن هذه المسائل، مرورًا بفلسفة العقل وانتهاءً بالإبستمولوجيا لا نستطيع تغطيتها هنا.

9.5 نقد نظرية ديفيدسن

دعنا نستجمع بعض الانتقادات لنظرية المعنى الخاصة بديفيدسن. يمكننا أوّلًا السؤال عمّا إذا كان ديفيدسن قال ما يكفي من القول عمّا هو المعنى وعلامَ يعتمد استيعابنا للمعنى؟ ففكرة ديفيدسن الأصليّة تقول إنَّ نظرية المعنى تُعيِّن شروط صحة الجُمْلة، وفَهْم المتحدِّث للجملة يعتمد على معرفته بشروط صحّتها. بالتالي، يحتاج المتحدث لكي يفهم أن «الثلج أبيض» أنْ يعرف أوّلًا ما إذا كانت هذه الجُمْلة صحيحة إذا وفقط إذا الثلج أبيض. وشرح هذا المعنى يُثير تساؤلًا مهمًّا: هل يكفي أن نقول إنَّ معرفة المعنى هي معرفة شروط الصحة، خصوصًا إنْ قيَّدنا أنفسنا على الجُمَل المتجانسة لشروط الصحة؟ أليست هي مجرد طريقة اقتصادية فحسب؟ ألا يمكننا أن نسأل عمّا تتضمَّنُه هذه المعرفة لشروط الصحة؟

ثمة خيارات متباينة يمكننا اختيارها ردًّا على هذا النوع من الانتقادات. فمِنْ ردود ديفيدسن أننا لسنا بحاجةٍ لأن نغوص عميقًا في فَهْمِنا اللغويّ كي نصِلَ إلى نظرية معنى مقبولة. فيمكن لعالم سيكولوجي أن يقول الكثير عن الفهم اللغوي ولكننا نُحقق نحن هدفَنا من وجهة نظر الدلالة الفلسفية في تحديد المعاني بصورة دلالية وتبيان كيفية انطلاق التميز اللا متناهي من أساسٍ متناهٍ. فأيّ مغامرة جديدة تعني التَّوهان في مستنقع غير واضح المعالم. أمّا إنْ التزمنا بما يقوله تارسكي من بساطة ووضوح، فسنؤمِّن منطقًا صوريًّا حيويًّا دون حَدْسٍ حول ما يمكن أن يدور بسِرّيَّة في ذهن المتحدّث حين يفهم الجُمَل.

يمكننا بدلًا عن ذلك أن نقتبس فكرةً من أفكار فتينغشتاين التي أورَدَها بكتابه «**رسالة منطقية فلسفية**». يرى فتينغشتاين أنَّ المتحدّث حين يفهم الجُمْلة يستوعب الحالة الراهنة الممكنة التي تجعل تلك الجُمْلة صحيحة. فحتى تفهم جملة «الثلج أسود»، يتعيّن عليك أن تستوعب الحالة الراهنة التي تجعل تلك الجُمْلة صحيحة. والمقصد حالة راهنة ممكنة لا حالة راهنة واقعية. فنحن نستوعِب كل الاحتماليات بسبب قدرتنا على التخيُّل، فنتخيّل حالة راهنة معيّنة حين نستوعب معنى «الثلج أبيض». فحين أفهم جملة «الثلج أسود»، فإن ما أقوم به هو أنني أتصوّر بالتخيُّل حالة راهنة محتملة يكون فيها الثلج أسود. فربّما أشكّل صورة ذهنية عن الثلج الأسود، وما أتخيّله من تلك الحالة الراهنة لا الحالات الراهنة الأخرى هو ما يعتمد عليه استيعابي لمعنى تلك الجُمْلة. فإنْ تخيّلت حالة راهنة للثلج يكون فيها أزرقَ، فلم أتخيَّلْ الحالة الراهنة التي تقابل جملة «الثلج أسود»، وبهذا أسأتُ فهْمَ الجُمْلة. هكذا يحلل فتينغشتاين معرفة شروط الصحة وهو تحليل يتجاوز تحليل ديفيدسن المبسَّط والمقتصد. فهذا تحليل تارسكي بالإضافة إلى تخيُّل احتمالي، إذ إنَّ على المتحدث أنْ يوَظِّف تخيُّلَهُ الاحتماليَّ ليوجِّه عقْلَهُ نحو المعنى. كما إنه تحليلٌ سيكولوجيٌّ أغنى من تحليل ديفيدسن المفتخر بكونِهِ تحليلًا متواضِعًا، إذْ يُحاوِل أن يوضِّحَ بطريقة غير تافهة ما تتضمَّنُهُ معرفة شروط الصحة من الناحية السيكولوجية.

ثمة مقاربة أخرى يفضّلُها الكثير من الفلاسفة تقوم على فكرة «التثبُّت» (verification). فالمقدرة على التثبُّت من جملة «الثلج أبيض» أمرٌ يُعادِل معرفة شروط صحّتها. فحتى نتثبَّت من هذه الجُمْلة، نحتاج أن نبحث عن ثلج ونتحقّق منه ونقرّر ما لونه ونحتاج أن نرى بأعيننا أنَّهُ أبيض. وعلينا للقيام بذلك أن نعرف حيث ننظر، ونعرف أنَّ الثلج يسقط من السماء ويُغطّي التلال والأودية في الشتاء، لأنه إن حاول شخصٌ أن يتثبَّت من جملة «الثلج أبيض» من خلال التحقُّق من الحِمَم المندلعة من البراكين، فسيبيّن لنا كم هو لا يفهم جملة «الثلج أبيض». فالمقدرة على التثبُّت من الجُمْلة بالطريقة الصحيحة أمرٌ مرتبطٌ بمعرفة شروط صحّتها. فإنْ عرفتَ شروطَ صحّة جملة، فإنك بصورةٍ عامّة تملك فكرةً واضحةً عن طريقة التثبُّت منها. وإن لمْ تملك تلك الطريقة، فلن يكون لديك أدنى فكرة. لذلك، يحاول بعض الفلاسفة (ممن يُسمّون أنفسهم بالوضعيين) أن يضيفوا بعض الحقائق البديهية إلى النظرية الخاصة بمعرفة شروط الصحة، أيْ معرفة أنواع الأدلّة التي يمكن احتسابها لتأكيد صحّة جملةٍ. وهذا يُحَوِّل معرفة شروط الصحة إلى معرفة شروط التثبُّت. إنَّ هذه النظرية تبدو مُضللةً على نحوٍ فظيعٍ ولكنها على الأقل محاولة لتوضيح ما هي معرفة شروط الصحة. (فالنظرة الصحيحة هي أن يكون لدينا «نوعان» من المعرفة حول الجُمْلة: معرفة الحالة الراهنة التي تُحيلها صحيحة، ومعرفة نوع الدليل الذي يضْمَن المصادقة عليها).

أمّا النقد الثاني لنظرية ديفيدسن فسيُعيدُنا إلى فريغه. فمبادئ تارسكي للأسماء مبادئ تعيين، إذْ تُعيِّن إحالة للأسماء فقط. وهذا يكفي بالنسبة إلى تارسكي، فالجُمَل المحتواة على أسماء تكون صحيحة فقط بالاعتماد على ما تُحيل إليه الأسماء. فإن كنّا مهتمّين بتعريف الصحة، فلا يهم الاسم الذي نستخدمه ما دامت التسمية محفوظة. فإن كانت جملة «هيسپيروس كوكب» صحيحة، فإن جملة «فوسفوروس كوكب» أيضًا صحيحة، مع إنّ هاتين الجُمَلتين لا تعنيان نفس الشيء. لهذا السبب قام فريغه بإدخال المعنى ليُحسّن الأمور، فنحن بحاجة إلى تعيين أكثر من إحالة للاسم إنْ أرَدْنا أن نقبض على معناه الكامل، ونحتاج شيئًا

كالمعنى. مع ذلك، فأدوات تارسكي الدلالية لا تُحَدِّد المعنى. فكيف ستعمل نظريته عن المعنى إذن؟ ستكون في أحسن أحوالها نظرية إحالة.

يبقى النقد الثالث لنظرية ديفيدسن موجَّهًا لكونها لا تقدِّم شرحًا عن كيفية حصول الكلمات على صفات دلالية. فمبادئ نظرية ديفيدسن تقول إنَّ أشياء من قبيل ««هيسپيروس» تعني هيسپيروس»، ولكن لا يوجد في النظرية ما يُخبرنا كيف يمكن لكلمة مثل «هيسپيروس» أن يكون لها إحالة. وهذا ينطبق أيضًا على المسانيد والإرضاء. فالمبادئ لا تشرح ما الذي يُعطي العلامات والأصوات السِّمات الدلالية التي لديها. فما الذي يشكِّل الإحالة؟ فالكثير من الفلاسفة يشعر بأننا بحاجة لشرح علاقات مثل التسمية، وليس علينا أن نقبلها كأمرٍ بدائيٍّ. بعبارة أخرى، يتعيّن على نظرية المعنى لتكون مقبولةً أن تقدّم شرحًا للتسمية. لذلك، اجتهد بعض الفلاسفة النقّاد لشرح الإحالة والإرضاء بمصطلحات ملموسة. أمّا في نظرية ديفيدسن المعتمدة على تارسكي، فقد تمَّ أخْذُ التسمية على نحوٍ تسليميٍّ. لذلك، نحن بحاجة على الأقل إلى تطعيم الدلالة التارسكية بنوع من النظريات الشارحة للتسمية، فهي ليست بذاتها شرحًا وافيًا للمعنى في اللغات الطبيعية.

أما النقد الرابع، فيعود إلى التفرقة الشديدة التي اقترحها ديفيدسن للتمييز بين إعطاء الصيغة المنطقية للجمل وإعطاء تحاليل للكلمات الفردية، فما هي أهمية تلك التفرقة؟ تقول الفكرة الأصلية التي يعمل عليها ديفيدسن إننا لا نُقسّم الكلمات إلى أجزاء حين ننسب إليها صيغًا منطقيةً، ولكننا نفعل ذلك حين نقوم بتحليلها لفظيًّا. لذلك، يشكّك ديفيدسن في الفكرة القائلة بتحليل المسانيد اللفظية، وفي المقابل نجده متحمّسًا تجاه نسبة الصيغ المنطقية. تأمل الآن نظرية رَسِل عن الأوصاف (انظر الفصل الثالث): فنحن فيها نُقسّم كلمة «أل التعريف» (the) إلى عطف محدد كمية معقد، فلماذا لا يكون هذا تحليلًا لفظيًّا؟ إن من الواضح أنه يتضمَّن أخْذَ كلمةٍ أحاديةٍ ثم تحليل معانيها إلى أجزاء بدائية منفَصِلَة. وكيف يختلف هذا عن تحليل «أعزب» (bachelor) إلى «ذكر غير متزوّج» (unmarried male)؟ تتصوّر نظرية ديفيدسن على ذات النحو أنَّ الجُمَل المحتواة على ظروف هي تحديدات كمية على

الأحداث الحاملة لمسانيد أحداث، وبهذا ستكون الصيغة المنطقية هنا مختلفة تمامًا عن التركيبة السطحية للجملة. فإن كانت إعادة الصياغة تجِد تعقيدًا دلاليًا في الظروف، فلماذا لا تكون حالة من حالات التحليل اللفظي؟

وماذا عن الكلمات الاحتمالية من قبيل «من الممكن» (possibly)؟ فالتحليل الاعتيادي يقول إنَّ كلمة «من الممكن» تعني «يوجد ثمة عالم ممكن» (There exists a possible world). فهذا الظرف الاحتمالي يدخل في محدد كمية وجودي قائم على العوالم. يبدو هذا كتمرينٍ في التحليل المفاهيمي، مع إنه نسبة للصيَغ المنطقية. فإنْ أردنا أن نعرف ما هي الصيغة المنطقية لـ«من الممكن پ» (possibly p)، فسيقال لنا إنَّ هذه الجُمْلة تعني نفس جملة «يوجد ثمة عالم ع بحيث يكون فيه پ في ع» (There exists a world w such that p in w). وهذا في نفس الوقت تحليل مفاهيمي لـ«من الممكن». إن من الواضح مجددًا أنَّه لا يوجد تفرقة بين شروحات الصيغ المنطقية والتحليلات اللفظية، فهذه التفرقة المزعومة تتبخَّر عند أقرب اختبار. مع ذلك يبدو ديفيدسن متمسِّكًا باستثناء التحليل اللفظي ومؤيِّدًا لتعيين الصيغ المنطقية، وقد يشتبه البعض بأنه قد تبنَّى رفض كواين للتفرقة بين التحليلي والتركيبي، حين يرى استحقاقات نظريات المعنى الخاصة بالمصطلحات البسيطة تركيبيًا. فكلا الموقفان في تضادٍ كبيرٍ في الواقع. ومع هذا تظل هذه المسألة من المسائل الخارجة عن غايتنا من هذا النقاش، لذلك لن نواصل نقاشها.

علينا أخيرًا أن نتحقق من أكثر مقاطع ديفيدسن امتلاءً:

> «تتضمن نظرية الصحة، لكل جملة ج، مقولة على صيغة «ج صحيحة إذا وفقط إذا پ» بحيث تُستبدل «پ» بـ«ج» في الحالة البسيطة. وبما أن الكلمات «صحيحة إذا وفقط إذا» غير متغيرة، فقد نفسرها إنْ شئنا على أنها تعني «تعني أنَّ». وبهذا التصور، قد يُقرأ أحد النماذج كـ««سقرط حكيم» تعني أنّ سقراط حكيم»[63]».

يبدو هنا أنَّ ديفيدسن يؤمن أنَّه بإمكاننا استبدال كلمة «يعني أنَّ» بـ«صحيح إذا وفقط إذا» في جمل-ص التارسكية («إن شئنا») وسنكون بذلك قد قُلْنا نفس الشيء من حيث الجوهر (أمّا علاقة ذلك بكون «إذا وفقط إذا» غير متغيرة، فتبقى مسألة غامضة بالنسبة لنا). فبهذه النظرة، يمكن لنظرية الصحّة أن تقدّم واجباتها كنظرية معنى. فيمكن ردم الهُوَّة بين الصحة والمعنى من خلال هذا الاستبدال البسيط. فإن كان ديفيدسن يرى ذلك حقًّا، فهو مخطئ. فالشرطية الثنائية «صحيح إذا وفقط إذا» لا تعني «تعني أنَّ»، فهي أبعد من أن تكون كذلك. ففي المنطق البدائي، تُسمَى «إذا وفقط إذا» بـ«الشرطية الثنائية المادية» (material biconditional) وأيُ جملة تحوي هذه العبارة تكون صحيحة عندما تكون الجملتان على طرفيها صحيحتين أيضًا. بالتالي، فإن جملة «الثلج أبيض إذا وفقط إذا العشب أخضر» جملة صحيحة. وبنفس الحال، تكون جملة ««الثلج أبيض» صحيحة إذا وفقط إذا العشب أخضر» صحيحة، إن كانت «إذا وفقط إذا» هي الشرطية الثنائية المادية (أي إنها وظيفة صحة). لتقم الآن باستبدالات ديفيدسن، ولتستبدل «إذا وفقط إذا» بـ«يعني أنَّ». إننا بهذا الاستبدال نحصل على الجملة التالية ««الثلج أبيض» تعني أنَّ العشب أخضر». وهذه جملة خاطئة على نحوٍ فاضح. فالجملة الإنغليزية «الثلج أبيض» لا تعني قطعًا العشب أخضر! فإن كان ديفيدسن يرى ذلك، فإنَّ أيّ جملة إنغليزية ستعني أيّ جملة أخرى تتشارك معها في قيمَة صحّتها، وهذا يعني انهيارًا كاملًا للمعنى ولن يؤهّل ذلك أيّ نظرية لأن تكون مستحِقَّةً للدراسة الجادّة.

مع ذلك، يمكن الردّ على ما سبق بأنَّ هذا يحدث فقط إذا تبنّينا تأويل الشرطية الثنائية المادية لـ«إذا وفقط إذا»، فحتى وإن ظهَرَ لنا أنَّ ديفيدسن يقصدها، فربما إنها مجرد زلَّة. ألا يمكننا أن نفترض أنَّه يقصد شرطية ثنائية أقوى، فلا يقصد الشرطية الثنائية المادية بل «الشرطية الثنائية الصارمة» (strict biconditional). فالشرطية الثنائية الصارمة لا تتطلّب فقط مطابقة واقعية لقيَم الصحة الخاصة بجملتين معطوفتين ولكنها تتطلب مطابقة لقيَم الصحة في كل العوالم المحتملة، أيْ، مصادفة ضرورية لقيَم الصحة. فجملتا «الثلج أبيض» و«العشب

أخضر» لهما نفس قيمة الحقيقة في العالم الواقعي، لا في كل عالم. ففي بعض العوالم يكون العشب أزرقَ فيما يظلّ الثلج أبيضَ. مع هذا، لا نزال نرى بوضوح أنَّ هذا لن يحلَّ المشكلة السابقة. فلتفرض أنَّ لدينا جملة من قبيل «2+2=4 إذا وفقط إذا 3+3=6». ففي هذه الجملة، ستكون كلا الجملتان صحيحتين في كل العوالم المحتملة. لذلك فهذه الشرطية الثنائية صحيحة وفقًا للتأويل الاحتمالي الصارم لعبارة «إذا وفقط إذا». ولكننا الآن قد نصطدم بنفس الحجة من جديد. فإنْ قمنا باستبدال «إذا وفقط إذا» بعبارة «تعني أنَّ»، في جملة-ص، فسنحصل على «2+2=4 تعني أنَّ 3+3=6». وهذه نتيجة ليست أفضل مما سبق، فنسبة المعنى هنا خاطئة أيضًا.

الحق أنَّ عبارة «تعني أنَّ» ليست أكثر صرامة حول الاستبدالات في مجالها من عبارة «صحيح إذا وفقط إذا» مهما كنتَ صارمًا حول الشرطية الثنائية. فالطريقة الوحيدة للحصول على شيءٍ يوازي «تعني أنَّ» بالنسبة لـ«صحيح إذا وفقط إذا» هو أن **تنصَّ** على أنَّك تقصد الأولى باستخدامك للأخيرة، مع إنَّ ذلك سيكون خدعةً لفظيةً غير مفيدة، لن توصِلنا إلى أيّ مكان. هذا إن لم تقُمْ بتدمير فكرة استخدام نظرية الصحة الخاصة بتارسكي كنظرية للمعنى، بما أنَّ كلمات «صحيح إذا وفقط إذا» لن تعني أبدًا ما تعنيه الآن. باختصار، ما قاله ديفيدسن في المقطع السابق خاطئ.

يظل مقترح ديفيدسن يقول إنَّ على نظرية المعنى أن تحدد معاني كل التعابير ذات المعنى، مع إن ديفيدسن لم يحاول شرح كيف سيكون للكلمات والجمل المعنى الذي تحمله. فهو يُسلّم بأنَّ لديها ذلك المعنى، مع إنها قطعًا لا تحمل المعنى بحُكْم هويّتها كعلامات وأصوات، فمعناها يأتي إلى حدٍّ ما من خارجها. فمن أين يأتي معناها؟ وكيف تعني الكلمات ما تعنيه؟ هل قام الإله بتحميلها معاني من خلال نوع من التدخل الوحييّ؟ ذلك يبدو بعيد الاحتمال. بلا شك إنَّ للكلمات والجُمَل معاني بحكم علاقتها بنا نحن مستخدمي تلك الكلمات والمعاني. ولكن ما هي هذه العلاقة؟ وكيف يكون للكلمات التي نستخدمها معانٍ بحكم استخدامنا لها؟ هذا هو موضوع نقاشنا في الفصل القادم.

---

(57) Donald Davidson, «Semantics for Natural Languages», in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 58.

(58) Ibid., 62.

(59) Donald Davidson, «On Saying That», in his Inquiries into Truth and Interpretation (Oxford: Oxford University Press, 2001).

(60) المترجم: بما أن المؤلف يستخدم حرفS كاختصار لـspeaker وحرف t كاختصار لـ time، تم استخدام حرف «م» بالنيابة عن «متحدث» (speaker) وحرف «و» بالنيابة عن «وقت» (time).

(61) Davidson, «Semantics for Natural Languages», 61.

(62) Davidson, «Radical Interpretation», in Inquiries into Truth and Interpretation.

(63) Davidson, «Semantics for Natural Languages», 60.

نظرية غرايس عن معنى المتحدّث

10.1 خلفية: المتحدّثون والجُمَل

سنتحول الآن إلى نقاش مقالة قصيرة ومؤثرة كتبها «هيربرت پول غرايس» (Herbert Paul Grice) عنوانها «المعنى» (Meaning)[64]. تتطلب تلك المقالة قراءة متأنّيَة كونها كُتبت بصورة مكثّفة ولم يكن ثمة فرصة لتأصيل بعض النقاط. فلنبدأ بشرح المشروع الأكبر الذي حاول غرايس أن يُشيّده في تلك الورقة. فقد كان مهتمًّا بالطريقة التي تعني بها الكلمات والجُمَل ما تعنيه، أي كيف يظهر معنى الجُمَل والكلمات. وما هي الأجزاء التي تجعل اللغة تُعبّر عن المعنى؟ يقدّم غرايس إجابةً بديهيةً وطبيعيةً على ذلك السؤال قائلًا إنَّ الأمر ذو علاقة بالطريقة التي يعني بها **المتحدثون** الأشياء. فليست الكلمات هي التي تعني ما تعنيه، بمعنى أنَّ ثمة طبيعة أو حقيقة لها تجعلها تعني ما تعنيه. فالكلمات ذات المعنى لا تؤدّي دورًا في الطبيعيّة يجعل البشر يُقرّرون استغلال حقيقتها تلك على نحوٍ طبيعيّ. إن الكلمات ليست كالتفاح على الأشجار، تنتظرنا بصبر كي نقطفها. كما إن اللغة ذات المعنى ليست ظاهرة مستقلة نستفيد منها، فاللغة لم تسبق وجود المتحدثين. فعلى سبيل المثال، لم تكن اللغة الإنغليزية مطروحةً على الأرض فاكتشفناها بالصدفة. فالكلمات مجرد أصوات وعلامات ننتجها بأصواتنا أو نكتبها بأيدينا، ولا يوجد ثمة ما يحدّد ما تعنيه بصورة فطرية أو ما يحدد الأشياء التي تعنيها الكلمات. فمعنى الكلمات عشوائيٌّ وتقليديٌّ، كنتيجة فرعية عن نوعٍ من أنواع القرارات. فالمعنى «يُمْنَح» (conferred) للكلمات، ولا يُمنح بالطبيعة أو من خلال الإله. نحن من نمنح المعنى، فنحن نقدم المعنى للكلمات لنجعلها تعني ما تعنيه. وهذا الافتراض يُذَكِّرنا بدور العقل البشريّ على نحوٍ معين، فلن يكن الجسد البشريّ هو الذي يُعطي الكلمات معانيها (أعني الكِلْيتين والأصابع... إلخ).

يركّز غرايس على فكرة وجود فاعل يعني شيئًا بأفعاله، لذلك يُمهّد على وجه الخصوص لفكرة «معنى المتحدث» (speaker meaning). فليست الكلمات والجُمَل فقط هي ما تعني الأشياء، فالمتحدّثون أيضًا يعنون الأشياء بالكلمات، ونحن نستخدم هنا الكلمة «يعني» (means) في الحالتين. فيمكننا القول إنَّ جملة «الثلج أبيض» تعني أنَّ الثلج أبيض، ويمكننا أيضًا القول إنَّ المتحدث يعني أنَّ الثلج أبيض بنُطْقه لتلك الجملة. فعلينا التمييز بين معنى الجملة ومعنى المتحدّث، فالكلمات تؤدّي المهمة الأولى والفاعلون البشر يؤدّون المهمة الأخرى. مع ذلك، علينا أن ندرس الطريقة التي بها يترابط هذان النوعان من المعنى.

يقترح غرايس أنَّ معنى الجملة يُشتق من معنى المتحدث، وذلك لأن البشر يعنون الأشياء من خلال كلماتهم، وجاءت بالتالي تلك الكلمات لتعني ما تعنيه. ولم نُحلّل ونشرح بعدُ فكرة معنى المتحدّث، مع إنها فكرة مألوفة لنا تمامًا تقول إنَّ معنى المتحدّث أساس وأصل معنى الجملة. فالكلمات تعني ما تعنيه لأننا نعني أشياء متنوعة بالكلمات. فنحن نمنح المعنى للكلمات حين نعني شيئًا بها. وبهذا، يأتي المعنى اللغويّ منّا نحن البشر، فنخلقه من خلال معنى المتحدّث وممارساته. على هذا، يقترح غرايس متأثرًا بهذه الفكرة البدائية أن نُحلل معنى الكلمات من خلال معنى المتحدث. فإن استطعنا فعل ذلك، فسنكون قد شرحنا كيف تعني الكلمات ما تعنيه، وسيكون ذلك إنجازًا فلسفيًّا. فنحتاج في البداية أن نعرف بالضبط ماهية معنى المتحدث، وكيفية ارتباطه بمعنى الجملة.

يمكننا بصورة سليمة وصف معنى الجملة بـ«المعنى الدلالي» (semantic meaning)، فهذا المعنى ذو علاقة بحالة الكلمات وهي في حالة مستقلة عن المتحدثين. فحين نقول «الثلج أبيض» تعني الثلج أبيض، فلا نقوم بأيّ إحالة لمتحدثٍ هنا. أمّا معنى المتحدّث فيمكن وصفُه بصورة سليمة على أنه «المعنى التداولي» (pragmatic meaning) كونه يُحيل بوضوح إلى المتحدّثين الذين يعنون أشياءً بكلماتهم. وكلمة «تداولي» هنا لا علاقة لها بالفلسفة المُسمّاة «فلسفة الذرائع» (pragmatisim)، فكلمة «تداولي» أقرب إلى الفكرة العملية المجردة للتداولية. ويراد منها أنّ معنى المتحدّث ذو صلة بالعلاقة بين الفاعلين

واللغة. فعلم الدلالة مهتمٌّ بالكلمات نفسها وما تعنيه، فيما يهتم علم التداولية بالمتحدثين وكيفية ممارستهم للغة. (أمّا النحو فمهتم بالكلمات حين تكون في حالة مستقلة عن معناها). وبعبارات غرايس نفسه، يكون للمعنى التداولي أولوية على المعنى الدلالي.

يمكننا صياغة موقف غرايس بطريقة مغايرة فنقول إنَّ المعنى الدلالي سيكولوجيٌّ في النهاية. فلكي تعني الجملة شيئًا معيّنًا يجب أن يستخدمها المتحدّث وهو في حالة سيكولوجية معينة، فبذلك يعني شيئًا بتلك الجملة. وسنرى لاحقًا ماهية هذه الحالة السيكولوجية. لهذا يرى غرايس أنَّ بإمكاننا أن نشرح علم الدلالة من خلال السيكولوجيا، أي يُمكننا ردُّ معنى الجملة إلى الحقائق السيكولوجية الخاصة بالمتحدّث. وهذه الفكرة تبدو مناقضةً لمنهج فريغه (الذي شرحناه في الفصل الأول)، ففريغه يرى أنَّ المعاني ليست سيكولوجية. فالمعاني، بحسب فريغه، كيانات مجرّدة، أيْ أشياء موضوعية لا تعتمد على العقل أبدًا. بهذا تكون المقاربة الغرايسية للمعنى متعارضة مع هذا الرأي الفريغي، فغرايس يأخذ معنى الكلمات على أنه قابلٌ للاختزال في الحقائق السيكولوجية، على عكس فريغه.

هذا هو البرنامج الذي كان يدور في فلك مقالة غرايس المعنوَنة بـ«المعنى». لذلك، سيعمل غرايس في مقالاته اللاحقة على تطوير برنامج يسعى لاختزال الدلالة في السيكولوجيا، وسينضم إليه الكثيرون في ذلك البرنامج. أمّا في ورقته الحالية، فيركّز على فهم ماهية معنى المتحدث، وسننتقل الآن إلى ذلك.

10.2 نوعا المعنى

يبدأ غرايس ورقته بالتفرقة بين نوعين من المعنى يسمّيهما: «المعنى الطبيعي» (natural meaning) و«المعنى غير الطبيعي» (nonnatural meaning). ثم يُخَصِّص كامل ورقته في شرح المعنى غير الطبيعي. يبدو من السهل علينا أن نستوعب هذه التفرقة على المستوى البديهي فغرايس يطرح جملة «تعني تلك النقط مرض الحصبة» كمثال على المعنى الطبيعي، ويمكن إعادة صياغة الجملة السابقة بـ«تلك النقط

عَرَض للحصبة». فيمكننا استنتاج الحصبة من النقط، إذن فالنقط تعني الحصبة إذ هي علامة طبيعية لذلك المرض. مثال آخر: «تعني الميزانية الحالية أنَّ أمامنا سنة صعبة». فبالنظر في انكماش الميزانية، سيكون المال أكثر قلة في السنة القادمة. إذن، يمكننا استنتاج الظروف الصعبة القادمة من خلال الميزانية. أمَا المثال الثالث وهو مثال لم يذْكُرُه غرايس فيمكن أن يكون على النحو التالي: «تلك الغيوم تعني المطر»، وهذه الجملة تقول شيئًا من قبيل «ثمة علاقة طبيعية بين الغيوم والمطر، وعلينا استنتاج الآخر من الأول».

يُمكننا الآن مقارنة هذه الأمثلة الخاصة بالمعنى الطبيعي بالأمثلة التالية الخاصة بالمعنى غير الطبيعي: جملة «هذه الصافرات الثلاث للجرس (جرس الحافلة) تعني أنَّ الحافلة ممتلئة»، و«ذلك التعليق القائل «لم يستطع سميث الاستغناء عن مشكلته ومصيبته» تعني أنَّ سميث يجد أنَّ زوجته لا يمكن الاستغناء عنها». إن هذه أمثلة بريطانية صرفة، لذلك قد لا تكون مألوفة لكل القراء. ففي أيام غرايس (تقريبًا عام 1957م) كان سائقو الباصات يرنّون الجرس ثلاث مرات في البداية والنهاية. أمَا المثال الثاني فيتضمَن ما يُسَمّى بـ«اللهجة السجعية الكوكنية» (Cockney rhyming slang)، وهي لهجة بشرق لندن تستبدل الكلمات العادية بعبارات بديعة، كاستبدال كلمة «زوجة» بعبارة «مشكلة ومصيبة» واستبدال كلمة «دَرَج» بعبارة «تفاح وكمثرى» إلخ. فالمتحدث يقول «لا أستطيع الاستغناء عن مشكلتي ومصيبتي» ويقصد أنَّه لا يستطيع الاستغناء عن زوجته.

يمكننا أن نرى على نحوٍ بديهيٍّ أنَّ كلمة «يعني» (means) تستخدم بطرق مختلفة في هذين النوعين من الأمثلة، وهنا يُقدّم لنا غرايس بعض التعليقات التي تميّز الحالتين. فجملة «النقط **تعني** الحصبة» لها معنى مختلف عن معنى «تعني» في جملة «الثلاث الصافرات **تعني** أنَّ الحافلة ممتلئة». ففي المثال الأول الخاص بالحصبة، لا يمكننا أن نقول «هذه النقط تعني الحصبة ولكن ليس لدى هذا الشخص حصبة»، أما في المثال الخاص بالصافرات الثلاث فيمكننا أن نقول إنَّ «هذه الصافرات الثلاث تعني أنَّ الحافلة ممتلئة ولكن الحافلة غير ممتلئة». فمن الممكن

أنَّ سائق الحافلة قد أخطأ حين ظنَّ أنَّ الحافلة قد امتلأت، أمّا النقط فلا يمكن أن تخطئ بإشارتها. باختصار، ما يعنيه السائق لا يقتضي أنَّ ما يعنيه صحيح. أمّا متحدث اللهجة الكوكنية فقد جمّل كلامه رغبةً في أن يُثني على زوجته، ولكن كلامه لا يقتضي أنَّه يجد زوجته غير قابلة للاستغناء، فربما كان قادرًا على العيش بدونها. فما يطرحه شخص من تأكيدات ويعني بها أشياء معينة لا يقتضي أنَّ تأكيداته تلك صحيحة.

يكمن الاختلاف الآخر في كوننا قادرين في حالات المعنى غير الطبيعي على استبدال التعبير الواقع بين علامتي اقتباس والذي يأتي بعد كلمة «يعني» (means)، فيما لا يمكننا فِعْلُ ذلك في حالات المعنى الطبيعي. فيمكننا أن نقول إنَّ السائق يعني أنَّ «الحافلة ممتلئة» من خلال صافراته الثلاث، فيما لا يمكننا القول إنَّ النقط تعني أنَّ «المريض مصاب بحصبة». فما يحدث في الواقع هو أن الصافرات الثلاث مرادفة لجملة «الحافلة ممتلئة»، ولكن «النقط» ليست مرادفة لجملة «المريض مصاب بحصبة»، فليستا مترادفتين في أيّ شيء، حتى وإن كانتا تعنيان نفس الشيء. فالنقط ليست كلمات.

أما الاختلاف الثالث فيكمن في عدم وجود أي إشارة أنَّ الفاعل أو المتحدث منخرطٌ في حقيقة المعنى في أمثلة المعنى الطبيعي. فحين تعني النقط الحصبة، فلا يوجد ثمة فاعل أو شخص يعني شيئًا معيّنًا. أما في أمثلة المعنى غير الطبيعي، فثمة تضمين دائم لفاعل أو شخص. فحين يكون ثمة معنى غير طبيعي، نجد فاعلًا لذلك المعنى، كوجود سائق الحافلة أو متحدث الكوكنية المغرم بزوجته. فالناس يعنون أشياء في المعنى غير الطبيعي، والأشياء أو الأحداث تعني أشياء في المعنى الطبيعي. وهذا مرتبطٌ بالفكرة السابقة التي تقول إنّنا في الأمثلة غير الطبيعية نتحدث عن «ما عُنِيَ» (what is meant) من قِبَل الفاعل، ولكننا لا نتكلم عن ذلك فيما يخص المعنى الطبيعي. فلا يمكننا الإحالة إلى «ما عُنِي» من خلال النقاط.

إن مصطلحات غرايس غير دقيقة تمامًا، على الرغم من أنها صلبة معرفيًّا. فهو يتحدّث عن «معنى غير طبيعي» مع إنه لا يوجد في الواقع شيءٌ غير طبيعيّ عن ذلك المعنى. فنحن في العادة نستخدم الكلمة «غير

طبيعي» للإحالة إلى أشياء خارجة عن الطبيعة أو خارجة عن العادة، مع إنَّ غرايس لا يعني نفس المعنى الذي بأذهاننا حين يتحدّث عن المعنى غير الطبيعي. فهو لا يستخدم كلمة «غير الطبيعي» كما يستخدمها «جون إدوارد مور» (George Edward Moore) حين يصِفَ الشيء الممتاز بـ«غير طبيعيّ» كونه ليس جزءًا من الترتيب السببي الطبيعي. فتلك الكلمة ليست تسميةً وصفيّةً كاملةً، فلها بعض الدلالات المضللة، فقد نسمي نفس الشيء بـ«المعنى الدلالي» أو «معنى المتحدث» أو «معنى الفاعل». وسيظل من الأفضل، على أيّ حال، الاحتفاظ بهذه التسميات البديلة بأذهاننا حين نستخدم عبارة «المعنى غير الطبيعي». فليس من السهل في الواقع أن نقدِّم مصطلحات دقيقة للتفرقة التي يقترحها غرايس رغم وضوح تفرقته.

10.3 ما هو معنى المتحدث؟

يشكل هذا السؤال ما يُسمَّى المعنى غير الطبيعي، ففيه ينظر غرايس للشروط الكافية والضرورية لحالات المعنى غير الطبيعي، أي إنَّه يبحث عن تحليل للفكرة. وطريقته في ذلك أن يجرّب عدة تحاليل ويرى إن كان ثمة أمثلة مناقِضة. فيبدأ مثلًا بدراسة اقتراح «تشارلز ليسلاي ستيفنسن» (Charles Leslie Stevenson) الذي يسميه بـ«النظرية السببية للمعنى» (the casual theory of meaning). وتبدو هذه النظرية مُغرية كونها تعكس بعض الحقائق الواضحة عن اللغة. ولنأخذ تأكيدًا عاديًّا كتأكيدي لك أنَّ «نادال فاز ببطولة فرنسا المفتوحة عام 2012 م». فحين أطرح مثل هذا التأكيد، فإنني أعني بالضبط أنَّ نادال فاز ببطولة فرنسا المفتوحة عام 2012 م. فلماذا تعني هذه الممارسة الكلامية ذلك؟ ثمة حقيقتان واضحتان: أنَّ قولي لتلك الجملة يميل إلى إنتاج معتَقَدٍ في مستمعي يقول إنَّ نادال فاز ببطولة فرنسا المفتوحة عام 2012 م وأن المقولة نفسها تم إنتاجها لكوني أحمل نفس المعتقد. فالمقولة تعبِّر عن معتقدي وتستثير نفس المعتقد فيك. فأنا أميل إلى قولها وفقًا لمعتقداتي، وأنت تميل إلى الإيمان بها لأنك سمعتني أقولها. فللتأكيد مسبّبات ونتائج تبدو مقترنةً بما أعنيه. ويمكننا أيضًا اقتراح التعريف التالي لمعنى المتحدّث غير الطبيعي فنقول: «س تعني أن پ بقول

ج إذا وفقط إذا مقولة س لـ ج قد سبَّبها إيمانه أن پ وقوله لـ ج يُسبّب معتقدًا في المستمع أن پ» (X means that p by uttering s if and only if X's uttering s is caused by his belief that p and his uttering s causes in his audience the belief that p). وقد يعني ذلك بصياغة أقل رسمية أنَّ «پ» (p) بفعل معيّن إذا وفقط إذا كان ذلك الفعل يجعل مشاهدي الفعل يؤمنون أنَّ «پ» (p)[65].

يقدم غرايس مثالًا يناقض هذا التحليل ويُشكك في كفاءته، فيصِف رجلًا دائمًا ما يرتدي معطفًا طويلًا للرقص حين يهم بالذهاب إلى حفلة راقصة. وقد جعل هذا التصرف أحد العابرين يؤمن أنَّ الرجل ينوي الذهاب للرقص، فهذا العابر يؤمن بذلك لأن لبس المعطف الطويل دليل قوي على أن مرتديه ينتوي الرقص. كما أن لابس المعطف الطويل يؤمن أنَّه يهم بالذهاب إلى الرقص. فيتوجَّب علينا وفقًا للنظرية السببية للمعنى أن نكون قادرين على أن نستنتج أنَّ لبس المعطف الطويل **يعني** أن مرتديه ينتوي الرقص. وعلينا أن نكون قادرين على أن نستنتج أنَّ في لبس المعطف الطويل دلالة على أن للابس رغبة في الرقص. باختصار، علينا أن نكون قادرين على أن نوضّح «ما عُنِيَ» من خلال أداء الفعل، فنقول إنَّ الفاعل ينتوي الرقص. أما فكرة غرايس فتقول بألّا شيء معنيّ هنا. فالفاعل لم يعنِ أيَّ شيءٍ بفِعْلِه ذلك، فهو فقط يتجهز للرقص. وفِعْلُه هذا ليس نوعًا من التأكيد، وليس حالة من حالات معنى المتحدث. فهو لا يحاول أن يُوصِلَ لنا رسالةً من أي نوع. بالتالي، فإن استثارة المعتقدات في الآخرين من قِبَل أفعال شخص ليست أمرًا كافيًا لتلك الأفعال يؤهلها لأن تكون حالات للمعنى غير الطبيعي. وهذا واضح جدًا في الواقع، لأن أغلب أفعالك ليست حالات تعني من خلالها أشياء تريد إيصالها لأي شخص، حتى وإن كان العابرون يشكّلون معتقدات عنك من خلال أفعالك. فقد أُسرِّحُ شعري لأبقيه مرتّبًا، وقد يدفعك تسريحي للإيمان بأنّي أحاول إبقاء شعري مرتبًا بمشاهدتي وأنا أسرّحه، ولكنَّ فعلي للتسريح لم يكن حالةً أعني بها شيئًا لشخصٍ ما، فلم أكن أحاول أن **أخبرك** بشيء. لذلك، يمكن القول إنَّ هذه الأنواع من الأمثلة تضع حدًّا لنظرية معنى المتحدث السببية.

بالإضافة إلى ما سبق، يقدّم غرايس نوعًا آخر من الحالات التدميرية للنظرية السببية من خلال استخدام جملة «جونز رياضي» (Jones is an athlete). فما أعنيه من تلك الجملة هو أن أقول إنَّ جونز رياضي، وقد يشكّل السامع لي معتقدًا عن جونز أنَّه رجل طويل لأن الرياضيين معروفون بالطول، وقد يكون جونز طويلًا بالفعل، وأنني أؤمن بذلك. فهل قصدتُ أنَّ جونز طويل حين قلت «جونز رياضيّ»؟ بالطبع لم أعنِ ذلك. إن جملة «جونز رياضي» تميل إلى تضمين معتقدٍ يؤكّد طول جونز، ولكنها لا تعني ذلك. وهي فكرة واضحة ويمكن تعميمُها مجددًا. فحين أقول جملة إنغليزية، فإن جملتي تميل إلى استثارة معتقد عن كوني أتحدث الإنغليزية مع أنّي لا أعني بفتح فمي لأتحدث بتلك اللغة أنّني أتكلم الإنغليزية. فيمكننا القول أيضًا إنَّ تلك الجملة أيضًا تستحثُّ في المستمع معتقدًا عن كوني إنسانًا حيًّا، مع إن ذلك مجددًا ليس شيئًا كنت أقصده حين تحدثت الإنغليزية. فإن كان هذا الشرط كافيًا لمعنى المتحدث، فسأعني الكثير من الأشياء كلما تحدثتُ، أيْ كل الأشياء التي سيصدِّقُها الناس الذين يستمعون إلى حديثي. إذن فالشروط التي تقترحها النظرية السببية ضعيفة ولا أمل من تقويتها.

يتحوّل غرايس الآن إلى نظرية من نوعٍ مختلفٍ. فبدلًا من استخدام فكرة الميول السببي لاستثارة معتقد في المستمع، يستحضر نظريته الجديدة وفكرة «النيّة» (intention)، وبالأخص نيّة إنتاج معتَقَدٍ في المستمع. لذلك، يمكن القول إنَّ المتحدّث يعني شيئًا بفعله إذا نوى إنتاجَ تأثير سيكولوجي معين. فهذه النية غير موجودة في مثال المعطف الطويل ومثال الرياضي. فإن كنتَ تعني شيئًا، فعليك أن تنوي إيصال معتقد إلى مستمعك، ولا يعني ذلك إيصال معتقدك بأي طريقة قديمة. فحين أؤكد أنَّ «پ» (p)، فإنني أنوي إقناعك بالإيمان أنَّ «پ» (p) من خلال تلك المقولة. وهذا تحليل يبدو أنَّه يسير في الاتجاه الصحيح. فحين أعني شيئًا، فإنني بلا شك أنوي أن أترك أثرًا على مستمعي.

مع ذلك، يقدم غرايس مثال المنديل كمثال مناقِض لهذا التحليل. فتصور أنّي تركتُ منديل «ب» (B) في مسرح الجريمة لكي أستحثَّ المحقِّق نحو الإيمان أنَّ «ب» (B) هو القاتل. فبهذا أنوي أن أُنتِجَ معتقدًا

لدى المحقق أنَّ «ب» (B) اقترف جريمة قتل، وترك منديله بالخطأ في مسرح الجريمة. حينها قد أحقِّق نيّتي من إنتاج معتقد في المحقق عن كون «ب» (B) هو القاتل، ولكن هل أعني بهذا الفعل أنَّ «ب» (B) هو القاتل؟ بالطبع لا: فكل ما فعلته هو فبركة متعمَّدَة منها استنتج المحقِّق أنَّ «ب» هو القاتل.

ما نفتقده بديهيًّا في هذا المثال أن المحقِّق لا **يعرف** أنّي نويتُ إيهامَهُ لتشكيل معتقد من خلال ترك منديل في مسرح الجريمة. فقد أخفيتُ نيَّتي تمامًا برمي المنديل في مسرح الجريمة بكل سريّة. فإنْ عَرَفَ أنَّني تركتُ المنديل هناك، فلن يشكّل معتقدًا أنَّ «ب» (B) هو القاتل، لأنه سيعرف أنَّني أحاول الإيقاع بـ«ب» (B). لذلك، دعنا نضيف شرطًا يقول إنَّ على الفاعل ألا ينوي فقط إنتاج معتَقَد، ولكن عليه أن ينوي أن يعترف مستمِعُهُ بهذه النية. فلدينا الآن نيّة إضافية، وهي نية جعل النيّة الأولى واضحةً في العلن. فالفاعل ينوي أن يُنتج مُعتقدًا في مستمعه وينوي أن يُدرِكَ مستَمِعُه أنَّ لديه تلك النية. فثمة إذن نية مضاعفة، حيث تُحيل الثانية إلى الأولى، وقد نسمّي هذه النية بـ«شرط الشفافية» (transparency condition). فعلى نية الفاعل التي تستحث المعتقدات أن تكون شفافةً للمستمع على نحوٍ متعمَّد، إن كان الفاعل يريد أن يعني شيئًا بأفعاله.

يستخدم غرايس مثالًا دمويًّا يقدم فيه هيرودس رأس يوحنّا المعمدان إلى سالومي على ظهر جواد. ثم ينوي هيرودس أن يجعل سالومي تشكِّل معتقدًا أنَّ يوحنا المعمدان قد مات، كما ينوي أن تعترف سالومي بهذه النية. فهيرودس لا يحاول إخفاء نيته، ليس خوفًا من أن تعرف سالومي أنَّ لديه تلك النية. فالرأس المقصوص يكفي كدليل أنَّ يوحنا المعمدان ميّت، وقد قدّمه هيرودس كدليل لسالومي، لكي تتَّضِح جميع نواياه بصورة علنية. مع ذلك، يُصرّ غرايس أنَّ هذا التصرف من هيرودس ليس حالة معنى تقول إنَّ يوحنا المعمدان ميت. فليست طريقة **لإخبار سالومي** أنَّه ميت. إذن فلم نقبض بعْدُ على ما يميّز معنى المتحدّث غير الطبيعي فهو أمرٌ لا يُشبه قولنا: يوحنا المعمدان ميّت. نصل الآن إلى حجّة غرايس ولبِّها، وقد ضمَّنها في المقطع التالي:

«قد يكون المخرج على النحو التالي: قارن الحالتين التاليتين: (1) عرضتُ للسيد «س» صورة للسيد «ص» وهو يمارس علاقة حميمة مع زوجته السيدة «س» و(2) رسمت صورة للسيد «ص» وهو يمارس نفس العلاقة وعرضتها على السيد «س». وجدت أنني أريد إنكار أنَّ (1) الصورة (أو عرضي لها للسيد «س») تعني شيئًا معيّنًا، بينما أردتُ التأكيد على أن (2) الرسمة (أو رسمي وعرضي لها) تعني شيئًا (وهو أن السيد «ص» محِبٌّ لزوجة «س») أو على الأقل قد عنيتُ بذلك أن السيد «ص» قد كان في السابق مُحِبًّا لها. فما الفرق بين الحالتين؟ بلا شك أن في الحالة (1) كان اعتراف السيد «س» بنيَّتي في جعْلِه يؤمن أنَّ ثمة شيئًا بين السيد «ص» والسيدة «س» هو (من قريبٍ أو من بعيد) ليس ذا علاقة بإنتاج هذا التأثير من خلال الصورة. فالسيد «س» سيتأثَّر بالصورة على الأقل ليشتبه بالسيدة «س» حتى وإن لم أعرضها عليه واكتفيتُ فقط بتركها في غرفته بالخطأ؛ فأنا (عارض الصورة) لن أكون واعيًا بهذا. مع ذلك سيكون الأمر مختلفًا تمامًا فيما يخصّ تأثير رسمي على السيد «س» سواءٌ ظنَّ أنِّي أنوي أن أخبره (أيْ أجعله يؤمن بشيء) حول السيدة «س» أو أنني فقط أرسم وأحاول إنتاج عملٍ فنّيٍ[66]».

إن التفرقة التي يحاول غرايس رسْمَها هنا واضحةٌ جدًا (رغم طريقته التعبيرية المعقدة للغاية). ففي مثال الصورة، سيكون السبب الذي يجعل المستمع يُشكِّل معتقدًا عن خيانة زوجته هو دليلٌ محتوًى في الصورة نفسها، ولن يكون من المهم كيف ينظر السيد «س» إلى نيّتي في عرضي للصورة عليه. فقد يرى الصورة في خزانة زوجته، وبالتالي لا يوجد أيّ عرضٍ هنا أبدًا. أمّا في حالة الرسم، فإن السبب الذي سيجعل السيد «س» يُشكِّل معتقدًا عن خيانة زوجته ليست الرسمة نفسها، فالرسمة نفسها لا تكفي كدليلٍ لتشكيل ذلك المعتقد. سيكون السبب أن السيد «س» قد استنتج أنِّي أنوي أن أدفعه إلى تشكيل معتقدٍ عن خيانة زوجته. وفي هذه الحالة، إن سألنا السيد «س» لماذا شكّل ذلك المعتقد، فسيقول إنَّه عرف أنِّي قد نويتُ أنْ أدْفَعَهُ إلى تشكيل ذلك المعتقد،

وسيلتزم بنيَّتي كونه يعرفني كشخص ثقة في هذه الأمور. هنا، لا ينطبق أيّ شيء من هذا على مثال الصورة: فهنا لا تلعب معرفته بنواياي الاتصالية دورًا في تشكيل معتقده. فما أنويه من حالة الرسم هو أن على السيد «س» أن يُشكّل معتقدًا بسبب نيّتي في جعله يؤمن بذلك المعتقد، وليس لأن رسمتي دليل قوي وحاسم لتشكيل ذلك المعتقد. فالرسمة لها صلة فقط لأنها دليل على نيّتي التواصلية، وهذا لا ينطبق على الصورة. إذن فالأمر هو اعتراف المستمع بنواياي في تشكيل المعتقدات، والتي تمدُّه بأسباب كافية لتشكيل معتقدات معيّنة، وليس الدليل المقنع المستقل. فسببه الوحيد في تشكيل المعتقد باختصار أنه يرى أنَّني أنوي ذلك وأريد منه أن يشكِّل معتقدًا معيّنًا. لذلك، فحتى يعني الفاعل شيئًا، يكون من المهم أن ينوي أن يجعل المستمع يشكل معتقدًا **من خلال** اعتراف المستمع أنَّ للفاعل تلك النية. فالفاعل ينوي أن يجعل المستمع منخرطًا في قطعة تحليل على الصيغة التالية: ينوي المتحدث أن يجعلني أشكِّل المعتقد القائل إنَّ «پ» (p)، وعليَّ أنْ أشكِّل المعتقد القائل إنَّ «پ» (p). وهذا أمرٌ يخالف أمثلة الصورة والرأس المقصوص، ففي تلك الأمثلة يفكِّر المستمع على النحو التالي: لديَّ دليلٌ يقول إنَّ «پ» (p) بناءً على صورة أو رأس مقصوص، وبالتالي سأعتقد أنَّ «پ» (p).

10.4 عو اقب ونقودات

إذن، قد عرفنا الآن ما المقصود بـ«معنى المتحدث»، وهو أن تنوي أن تجعل الناس يشكّلون معتقدات بناءً على اعترافهم أنَّ ذلك هو ما تنويه. فماذا نصنع الآن بهذه المعلومات؟ يمكننا استخدامها لتعريف معنى الجملة. فالجملة «ج» تعني أنَّ «پ» (p) إذا وفقط إذا استخدم الناس «ج» عادةً ليعنوا أنَّ «پ»، حيث يكون ما يعنيه المتحدث أنَّ «پ» موازيًا مع نية استثارة معتقد في مستمعه من خلال اعتراف مستمعه بتلك النية. ومما لا شك فيه هنا أنَّ علينا أن نقول الكثير حول فكرة «الاستخدام المعتاد» (regular use)، مع أن الهدف واضح وهو: أن تعني الجملة ما تعنيه لأن الناس يقولون الجمل بنفس النيات التي يُحددها غرايس. فأن تعني شيئًا بطريقة غير طبيعية فتلك مسألة أداء لأفعال بنيات غرايسية، فللمعنى الدلاليّ جذوره في معنى المتحدّث. إذن، يتم

اختزال الدلالة في النهاية على النوايا، أيْ على نوع معين من الحالات السيكولوجية. فلغات مثل الإنغليزية توجد لأن الناس متمرِّسون في نوايا تواصُليّة غرايسية. فللكلمات معانٍ بحكم تلك النوايا.

من المفيد هنا شرح صورة اللغة وعِلَّة وجودها عند غرايس بصورة واضحة. فلدينا الكثير من المعتقدات عن هذا العالم، وكثيرٌ منها يتشكّل بالملاحظة. ولتتخيّل زمنًا قبل تطور اللغة، فيهِ كان للناس مخزونهم من المعتقدات. ولكوننا فصائل اجتماعية، أردنا أن نستثير بعض معتقداتنا في الآخرين، أيْ أنّنا نريدُ أن نشارك معرفتنا معهم (وهذا قد يكون مفيدًا في تربية الأطفال وأشياء أخرى). فكيف نقوم بهذا؟ إن الطريقة الواضحة هي أن نقدّم للآخرين دليلًا يقودهم إلى تشكيل معتقداتنا، ونتركهم يصلون بأنفسهم إلى خلاصاتهم الخاصة. فإن أردتَ من الآخرين أن يعرفوا أين الفواكه الطريّة، فعليك أن تأخذهم إلى مكانها بحيث يرونها بأنفسهم. كما يمكنك بدلًا عن ذلك أن تحتفظ بالدليل عن طراوتها وتجلب هذا الدليل إلى الآخرين، فيمكنك أن تُحضر لهم فاكهة كدليل أنَّك تعرف مكان تلك الفواكه الطريّة وبذلك يتّبعونك. مع ذلك، تظل هذه الطريقة غير عملية، فغالبًا ما يكون الدليل «عرضةً للفناء ولا يمكن نقلُه» (perishable and nonportabl). فقد يكون لديك الدليل ولكنك لا تستطيع تقديمه للآخرين لاستثارة معتقدٍ فيهم. فقد تعاني من مشكلة «نقل المعتقدات» (belief transmission): فكيف تقنعهم ليشاركوك معتقدك؟ إن الحلَّ الواضح الوحيد هو أن عليك أن تقدم لهم دليلًا أنَّ لديك معتقدًا ما، ثم تعتمد على طريقتك في المحاججة التي تبيّن أنَّ ثمة سببًا للإيمان به يجعلك أنت تؤمن به. بعبارة أخرى، قد يكون السبب الذي جعلك تؤمن أنَّ «پ» (p) هو أنك تؤمن أنَّ «پ» (p). وقد لا يكون هذا هو سببك الوحيد إذ قد يكون لديك أدلّة قوية أخرى، ولكنها أدلّة قد فنيَت وزالت منذ زمن. لذلك، عليك أن تنوي إنتاج معتقد في الآخرين وتقنعهم ليُقرّوا أنَّ لديك ذلك المعتقد، وبالتالي عليهم أن يفكروا أنَّ لديك سببًا جعلك تؤمن بما أنتَ مؤمنٌ به.

بعبارة أخرى، تحتاج نوايا غرايسية إن أردتَ حل مشكلة الدليل القابل للفناء الذي لا يمكن حمْلُه في مسألة «نقل المعتقدات». فبما أن

النوايا الغرايسية تشكّل لغةً ذات معنى، فإنك بحاجة إلى اختراع لغةٍ لملء الفراغ الدليلي. فاللغة إذن موجودة لأن الدليل يتلاشى أو لكونه لا يمكن الحصول عليه لأسباب أخرى. فيمكن لمعتقداتك البقاء عبر الزمان والمكان، حتى وإن كانت الأدلة التي تستند عليها محصورة على زمان ومكان معين. إذن، يمكنك استغلال وجود معتقدات لإقناع الآخرين بأنْ يؤمنوا بها كما تؤمن أنت بها. فحين تفعل ذلك، يكون المكان فسيحًا لمعنى المتحدّث وللغة نفسها. فاللغة موجودة لإخبار الناس بما نؤمن به ولكي يُشكّلون نفس معتقداتنا. لهذا، تكون النوايا الغرايسية بدائل للأدلة الملموسة الواقعية، فهي تمكننا من نقل معتقداتنا بـ«الشهادة» (testimony)، بدلًا من إرهاقها بأدلة معينة. كما إن مستمعنا قد يرفض أحيانًا تشكيل المعتقد الذي نريد منه أن يشكِّلَهُ، ربما لعدم ثقته بقدراتنا في تشكيل المعتقدات. وحينها قد نتحدّث إليه فنقول «إنك لم تصدّقنا، فدعنا نريك هذا»، ثم نقوم بسحب الجزء المقنع من الدليل الملموس. ووفقًا لهذا التصور، تكون الجمل بدائل للأدلة، وهي ما نستعين به حين لا نستطيع توضيح الحقائق أو ننتج دليلًا دامغًا. فالجمل تغطي على هذا التراخي الدليلي، وهذا هو الدرس المدفون في تحليل غرايس لمعنى المتحدّث: فليس لديك صورة، ولكنك تنتج رسمةً، بِنيَّة إقناع مستمعك أنْ يستنتج معتقدًا مبنيًا على كونك تحمِل ذلك المعتقد.

هل ثمة اعتراضات أخرى قد تُثار ضد تحليل غرايس للمعنى؟ إن التحليل الواقعي لمعنى المتحدث عند غرايس يبدو قويًا للغاية، لذلك من الصعب الاعتراض عليه. مع ذلك، ثمة أسئلة حول القيمة الفلسفية الدقيقة لهذا التحليل. فإن أردنا تقديم شرحٍ لمعنى الجملة من خلال معنى المتحدِّث، فعلى معنى المتحدث ألا يقتضي ضمنًا معنى الجملة. فبما أن معنى المتحدث يعتمد على مجموعة معقدة من النوايا والمعتقدات، فعلى هذه النوايا والمعتقدات ألا تقتضي ضمنًا معنى الجملة. بعبارة أخرى، على النوايا والمعتقدات ألا تكون لغويةً من حيث الشخصية، ولدينا دليلان يؤكدان أنَّها مبنية في معنى الجملة. فيمكن الاحتجاج أنَّه من غير الممكن أن يكون لدينا نوايا غرايسية دون أن نكون مستخدمين للغة مسبقًا: فيجب أن تُصاغ النوايا في اللغة التي يستخدمها المتحدث.

فحين أقول «الثلج أبيض» بنوايا غرايسية، فعليَّ أن أفكّر بالطريقة التالية: «إنني أنوي إنتاج المعتقد القائل إنَّ الثلج أبيض بواسطة اعتراف المستمع بنيَّتي». مع هذا، فما قُلْتُه جملة إنغليزية بذاتها، فنيتي تقتضي ضمنًا فكرة معنى الجملة. بعبارة أخرى، إن كانت الأفكار معبَّرًا عنها أصليًّا في اللغة، فلا يمكن استخدامها لشرح اللغة.

من الردود الطبيعية على هذا القول أن الأفكار غير معبَّرٍ عنها أصليًّا في اللغة. فقد يكون ثمة فكر بلا لغة. فللحيوانات نوايا ومعتقدات ولكنها لا تتحدّث لغة. كذلك لدى أطفال البشر أفكار قبل اكتسابهم للغتهم الأم. بهذا، لا يقتضي الفكر ضمنيًّا التمكُّن من اللغة. أضِفْ إلى ذلك أنَّ للبشر المتحدثين للغات مختلفة **نفس** الأفكار، حتى وإن كانت جملهم مختلفة، فثمة مستوى سيكولوجي مستقل عن اللغات المحكيّة. فإذا كانت الحالات المرئية غير منفصلة عن اللغات المحكية، فلماذا تنفصل الأفكار عن اللغات المحكيّة إذن؟ وبما أنني لا **أرى** بالإنغليزية، فلماذا على أفكاري أن تُكتب بالإنغليزية في هويّتها؟ فأنا أعبِّر عن أفكاري إلى الآخرين بالإنغليزية، وهي ليست جملًا إنغليزيةً تجري بنفسها في ذهني. فقد يكون لدي نفس الأفكار ولكنني لم أتعلّم الإنغليزية، فقد أكون مثلًا متحدِّثًا للفرنسية.

وحتى نكون أكثر دقة، يمكن القول إنَّ الإنغليزية ليست واسطةً جوهريّةً لأفكاري، حتى وإن كنتُ متحدِّثًا بها. ولكن ألا يمكن للأفكار أن يكون لها اتصالٌ خفيٌّ باللغة؟ ماذا عن فكرة «لغة الفكر» (language of thought)؟ ففي الواقع إنني لا أفكر بالإنغليزية، ولكن أفكاري موجودة في واسطة ترميزية من نوعٍ ما؛ وهذه الواسطة لها صفات اللغة، فهي اندماجية ومؤسسة بصورة متناهية وتكرارية وإحالية. أليست مفاهيمي كيانات ترميزية ترتبط مع بعضها البعض لتشكيل الأفكار؟ إن كان ذلك، فسيكون «للدماغ» لغة من نوع خاص فيه تُدرج المعتقدات والنوايا. وهذه ليست لغة طبيعية مألوفة ولكنها لغة عالمية تشمل جميع الفصائل؛ ويمكن للدماغ توظيفها لإجراء عمليات فكريّة. فحين أعتقد أنَّ الثلج أبيض، فإن دماغي يُفعّل الكلمات الخاصة للثلج والبياض، ربما في صيغة رمز ثنائي تحتويه الإشارات العصبية. وسيكون لهذه الرموز

الدماغية إحالة، وربما معنى، ويمكنها الاندماج لانتاج سلاسل لها قيَم صحَة. وبهذا، يعتمد امتلاكي للعقل على امتلاكي للغة دماغ. ورغم هذا، يظلّ معنى الجملة أساسيًا، لأن النوايا الغرايسية مؤسَّسَة في معنى الجملة الدماغي. فيمكن شرح معنى الجملة الخاص باللغات الطبيعية من خلال حالات سيكولوجية، مع إن الحالات السيكولوجية يمكن شرْحُها بنفسها من خلال لغة فكر عالمية، فسنجد دومًا في النهاية معنى الجملة يحدِّق عاليًا نحونا. إذن، سيظل ثمة سؤال عن الشيء الذي يعطي جمل الدماغ معناها، فلا يمكن أن تُقال تلك الجمل بنوايا من أنواع معينة. فكيف لرموز الدماغ أن تعني ما تعنيه؟ هذا سؤال آخر يظل بلا إجابة.

لقد أخذنا النقاش هنا إلى المنطقة الخاصة بفلسفة العقل. فنحن نتساءل الآن عن دلالة الفكر، وهذا موضوع يتطلب كتابًا آخر. ما يمكننا قوله هنا أنَّ هذه الأسئلة لن تكون سهلةً أبدًا، ولكن مهما تكن كيفية حلّ تلك الأسئلة العميقة، فقد قدّم لنا غرايس على الأقل شرحًا مقنعًا ومضيئًا عن معنى المتحدث، وستظل فائدته الدقيقة لطبيعة المعنى العامة فائدة لا جدال عليها.

---

(64) Herbert Paul Grice's paper «Meaning» in *Philosophy of Language: The Central Topics*, 69–76.

(65) المترجم: لم يوضّح المؤلف مقصده من «ب» (p) فربما يقصد «شخص» (person) وربما يقصد المتغير p (كما في p and q السابق دراستها). أما s فيقصد بها الجملة «ج» (sentence, S).

(66) Ibid., 72-73.

ملحق: لغز كريبكي عن المعتقد

دعنا أخيرًا ننظر في ورقة كريبكي بعنوان «لغز عن المعتقد» (A Puzzle about Belief)[67] وذلك لاتصالها وتأثيرها وأثرها الأصلي على المواضيع السابق نقاشها، كما أن من الممتع التفكير في ذلك اللغز. وقد قمْتُ بكتابة هذا الموضوع كملحقٍ لأن المسألة ذات علاقة بطبيعة المعتقد لا بطبيعة اللغة، كما إن كريبكي لا يقدم نظريةً في تلك الورقة بل يكتفي بطرح لغز من الألغاز. سأقوم هنا بوصف نسختي الخاصة عن اللغز، والتي أرى أنَّها تكشف عن جوهره الأصلي دون أيّ مشتِّتات ليست ذات علاقة. يتضمّن لغز كريبكي شخصًا ثنائيَّ اللغة، يُدعى پيريه، وهو فرنسي يتحدث الفرنسية، وبناءً على تصرُفه اللفظي هذا، نسبنا إليه المعتقد القائل «لندن جميلة» (London is pretty). وقد صدَّقَ پيريه بفرنسيته على أنَّ «لندن جميلة» (Londres est jolie) وذلك بناءً على ما قرأه حول لندن في كتب السفريات الحالمة. ثم جاء پيريه إلى لندن وتعلّم الإنغليزية، وعاش في جزءٍ قذرٍ منها، فبات يرى أنَّ لندن ليست جميلة، مع إنه يُدرك أنَّ المكان الذي يعيش فيه هو بالضبط إحالة الكلمة الإنغليزية «لندن» (Londres). وبناءً على هذه المواقف، سننسب إليه الآن المعتقد القائل إنَّ «لندن ليست جميلة». إننا هنا ننسب إليه معتقدات متناقضة، مع إنَّه ليس مسؤولًا عن هذا التخبُّط المنطقيّ، فهو لم يُظهر أيَّ نوعٍ من اللا عقلانية، فأحواله مفهومةٌ تمامًا.

سأصف الآن مثالًا له نفس تركيبة اللغز السابق ولكنه لا يعتمد على لغتين مختلفتين (وكريپكي نفسه يُقر بأنَّ أمثلته المُلغزة لا تتطلب لغتين مختلفتين). فلتفرض أنَّ ثمة عالِمًا سيكولوجيًّا يُجري تجاربه على تأويل الوجوه، وسأل البعض أن يشاركوا في تأويل صور وجوه معينة، بناءً على ما إذا كان أصحاب تلك الصور أهلًا للثقة أمْ ليسوا أهلًا لها، وذلك من خلال تفحُّص تعابير وجوههم. كما أخبر هذا العالِم المشاركين أنَّه ورغم أن الصور ستبدو لهم وكأنها لنفس الشخص إلا أنها في الواقع صورٌ لأشخاص آخرين. وهذا خلاف الواقع فجميع الصور لنفس الشخص.

لذلك فكل مشاركٍ سيعتقد أنَّ الصور لأشخاص مختلفين مع إنها لنفس الشخص. لنفترض أنَّ إجابة أحد المشاركين على النحو التالي: «ذلك الشخص أهل للثقة» و«ذلك الشخص ليس أهلًا للثقة». فأثناء تطبيق التجربة، ستُظهر لنا البيانات أنَّ المشاركين يُغيّرون إجاباتهم وفقًا لتعابير الوجوه. هذا المثال من الناحية المنطقية كمثال كريبكي عن پيريه: فـ«لندن» (Londres) و«لندن» (London) تُحيل إلى نفس المدينة، ولكن پيريه لا يُدرك ذلك، فقد يكون مؤمنًا تمامًا أنَّهما مختلفتان. وكذلك المشارك في التجربة، يرى صورًا لنفس الشخص ولكنه لا يؤمن بذلك ولا يدركه.

لنبدأ بتجربة العالِم السيكولوجي، وفيها سيعرض ذلك العالِم على أحد المشاركين الصورة الأولى ويسأله إن كان صاحب الصورة أهلًا للثقة. وبناءً على تعابير وجه الشخص الماثل في الصورة، قد يقول المشارك: نعم. ثم يقوم العالم بعرض صورة أخرى عليه، وبناءً على تعابير ذلك الشخص، سيُجيب المشارك أنَّ ذلك الشخص غير أهل للثقة. لا تنسَ هنا أنَّ المشارك يظنُّ أنَّ ثمة شخصًا مختلفًا في كل صورة. وهكذا تستمر التجربة في عرض العالِم على المشارِك عشر صور مختلفة، وبناءً على تقييماته سينسب العالِم معتقداتٍ إلى المشارك. فباستخدام الطريقة المألوفة في نسب المعتقدات، سيقوم العالم بنَسْبِ معتقدات مناقضة للمشارك بنفس الطريقة التي ستحدث في مثال كريبكي عن پيريه. فالمشارك يرى أنَّ شخصًا ما أهلًا للثقة وآخرَ ليس أهلًا لها، مع إنهما نفس الشخص. فلتفرض أنَّ العالم قال للمشارك «من أجل التيسير عليك، سأسمّي كل هؤلاء الأشخاص المختلفين في الصور «ألبرت»، وعلى هذا أريدُكَ أن تتفاعل مع جملة «ألبرت أهلٌ للثقة»». والعالم يقول ذلك لأن الشخص الوحيد في كل تلك الصورة اسمه بالفعل «ألبرت». بعدها، سيعرض العالم الصورة الأولى على المشارك ويسأله «هل تظن أنَّ ألبرت أهلٌ للثقة»؟ وهنا سيجيب المشارك بنعم، مؤكدًا أنَّه يؤمن أنَّ ألبرت أهلٌ للثقة. ثم سيجيب في المحاولة الثانية بالنفي، مؤكِّدًا أنَّه يؤمن أنَّ ألبرت ليس أهلًا للثقة. وبهذا وبمجرد عرض الصورتين الأولى والثانية، شكَّلَ المشارك معتقدات متناقضة: فهو يؤمن أنَّ ألبرت أهلٌ للثقة ويؤمن أنَّ

ألبرت ليس أهلًا للثقة. وقد يواصِل المشارك ويشكِّل معتقدات مناقضة أخرى عن نفس الشخص طوال التجربة. فالذي يحدث بديهيًا هنا هو أن المشارك لا يدرك أنَّ الشخص الماثل في الصورة هو نفس الشخص، ولهذا يشعر بأريحية في تشكيل معتقدات مختلفة من محاولة لأخرى. مع ذلك، يعرف العالم أنَّ المشارك يُشكّل معتقدات حول نفس الشخص، وهذه حالة مفهومة جدًا، كما هو مثال كريبكي عن پيريه. والذي يجعلها مفهومة هو أن الناس تفشل في إدراكها أنَّها تُشكِّل معتقدات متناقضة حول نفس الشيء. فليس دائمًا من المسلّمات أن ما نلاحظه من أشياء هي نفس الأشياء، فقد نُشكّل عنها معتقدات خاطئة. وحتى إن تمَّ عرض الأشياء بطريقة متطابقة كيفيًا، وكانت في الواقع نفس الأشياء، فقد يفترض الشخص أنَّ ثمة شيئين اثنين مختلفين تمامًا. فقد يظن الشخص أنَّ أحد الأشخاص هو توأم لشخص آخر وليس نفس الشخص، وبالتالي يُشكّل عنه معتقدات متناقضة.

يمكننا أيضًا تخيُّل تجربة أخرى يُخبِر فيها العالِمُ أحد المشاركين أنَّ كل الصور المعروضة لنفس الشخص. تأمَّل ما سيحدث. سيعرض العالم على المشارك الصورة الأولى وسيسأله ما إذا كان الشخص الماثل في الصورة («ألبرت») هو أهلٌ للثقة؟ وحينها قد يصادق المشارك على هذا المضمون مؤكِّدًا أنَّه يؤمن بأنَّ ألبرت أهل للثقة. ثم سيقوم العالم بعرض الصورة الثانية ويسأل نفس السؤال. وهنا سيردُّ المشارك «ولكني قد أخبرتُكَ سلفًا أنَّني أرى ألبرت أهلًا للثقة». وسيقوم العالم بإعادة السؤال بإلحاح، مشيرًا إلى التعابير المختلفة الموجودة على وجه ذلك الشخص، متسائلًا «هل أنت متأكدٌ الآن أنَّ ألبرت أهلٌ للثقة؟». هنا قد يتردَّد المشارك قائلًا «ربما عليَّ أن أراجع معتقدي عن ألبرت، فهذه التعابير في وجهه لن تأتي إلا من شخص ليس أهلًا للثقة». إذن، غيّر المشارك رأيَهُ، مشكِّلًا معتقدًا جديدًا ورافضًا معتقدًا قديمًا. وبالتالي فهو مُلزَمٌ من الناحية العقلانية بتغيير معتقده السابق حين اكتسَبَ دليلًا مناقضًا. فسيكون من غير العقلانيّ أن يُصِرَّ على المعتقد الأول في ضوء الثاني، لماذا؟ لأنه يؤمن بحقيقة أن الإنسان المعروض في الصورة هو نفس

الشخص، فمن غير العقلاني أن ننسب إلى نفس الشخص مسانيد متناقضة، لا سيّما حين تعرف أنّه نفس الشخص.

إن هذه التجربة التخيُّلية تشبه مثال كريبكي مع إنها أكثر انتظامًا كونها تتطلَّب منّا استخدام لغةٍ واحدةٍ. فقد أوضحنا معتقدات المشارك حول هويّة الأشياء التي يشكّل معتقدات عنها، وانتهى الأمر في كلا المثالين بنسب معتقدات متناقضة إلى المشارك.

بدأنا الآن نرى على ماذا تعتمد هذه الأنواع من الأمثلة. فدعنا نأخذ مثالًا آخر. تأمل شخصًا لديه نظرات ميتافيزيقية غريبة عن العالم. فهو لا يرى أنَّ الأشياء تظل كما هي لأكثر من ثانيتين، إذ ينتمي إلى ما يُسَمّى «الخلقوية المتكررة» (repeat creationism) أي أنَّ الله يخلق العالم مجددًا كل ثانيتين. فالله يخلق العالم مجددًا ولا يستشعر الإنسانُ المخلوقُ سوى اتصالٍ منتظمٍ في الخلق. فذلك الشخص يؤمن أنَّ الله يدمّر كل الذرات التي تشكل الأشياء ثم يخلق ذرات جديدة من البداية كل ثانيتين. فهو قادرٌ في الأخير على كل شيء ويحب أن يُشغل نفسه (لاحظ أنّنا هنا نفترض أنَّ هذا النظام الميتافيزيقي خاطئ)[68]. أضِفْ إلى هذا المعتقد أنَّ هذه الرؤية الميتافيزيقية الغريبة ترى أنَّ الأشياء تُغيّر طبيعتها بأساليب مهمة كل ثانيتين، فهي تصبح مُشكّلة من «أنواع» مختلفة من الذرات كل ثانيتين. فلتفرض أنَّه في وقت «و» (time, t)، يُسلّم ذلك الشخص الميتافيزيقي أنَّ «هذه الطاولة متشكّلة من إلكترونات»، ولكنه يُسلّم في وقت «و» زائد ثانيتين أنَّ «هذه الطاولة غير متشكِّلَة من إلكترونات»، على الرغم من أنه يُحيل إلى نفس الطاولة في المرتين (على خلاف معتقداته الميتافيزيقية). أليس لديه الآن معتقدات متناقضة؟ بلا شك لن يرى هذا التناقض، فهو لا يرى أنّه يُحيل إلى نفس الطاولة باستخدام اسمين إشاريّين، ولكن من وجهة نظرنا الخاصة، نرى أنّه يؤمن أنَّ هذه الطاولة متشكِّلَة من إلكترونات ويؤمن أنَّ هذه الطاولة غير متشكِّلَة من إلكترونات. وقد توصّلنا إلى هاتين النسبتين للمعتقدات ببساطة بأخْذِ إقراره بذلك على وجه الجدية فهو يُسلّم أنَّ «هذه الطاولة متشكّلة من إلكترونات» في الوقت «و»، ويُسلّم أنَّ «هذه الطاولة غير متشكّلة من إلكترونات» في الوقت «و» زائد ثانيتين. فإن أعطينا الطاولة

اسمًا، لنقل «بيل» (Bill)، فيمكننا إدانة هذا الشخص الميتافيزيقي بأنَّه يؤمن بأنَّ بيل متشكّل من إلكترونات وأنَّ بيل غير متشكّل من إلكترونات. ورغم ذلك سيرى أنه لا تناقض في معتقداته فكلاهما شيئان مختلفان. لكننا نعرف أكثر مما يعرف، وقد اكتشفنا تناقُضًا واضحًا، ونحن مُحِقّين لأن الأشياء **بالفعل** تظل كما هي طوال الزمن. يُشبه هذا المثال مثال كريبكي، فپيريه يُسلّم مباشرةً أنَّ «لندن» (Londres) و«لندن» (London) لا تُحيلان لنفس المدينة، وعلينا أن نقترح عليه أنَّهما نفس الشيء. فلدى پيريه معتقدٌ غير متطابقٍ وخاطئٍ، كمعتقد ذلك الشخص الميتافيزيقي.

لتفرض أنَّك استخدمت الاسم «لاري» (Larry) للإحالة إلى شخصٍ من معارفك، مفترضًا ومتأكِّدًا أنَّه لا يوجد لاري غير ذلك الشخص الذي تناديه بذلك الاسم. ثم لاحظت أنَّ لاري يبدو نوعًا متقلِّبًا من البشر، وتوصّلت إلى خلاصة أنَّه لا يوجد شخصٌ اسْمُه لاري، فقد كنتَ تنادي شخصين مختلفين بنفس الاسم. ستكون هذه الخلاصة خاطئة. وربما ستشعر الآن بتحرُّر في موافقتك على الجمل المحتواة على اسم «لاري» لأنك الآن تستطيع أن تنسب صفات متنوعة لشخصين مختلفين. ولكن بالطريقة المألوفة لنسب المعتقدات، وجدنا أنفسنا ننسب معتقدات متناقضة إليك، لأنك في الواقع تُحيل إلى نفس الشخص بـ«لاري» رغم أنك ترى أنَّك لا تفعل ذلك. فربما أنك تؤمن أنَّ نفس الشخصين لهما اسم «لاري» لأنك سمعت الآخرين يُحيلون **إليهما** بنفس الاسم، ولا يوجد ثمة مستحيل، فقد يتشارك الأشخاص المختلفون نفس الاسم. إن المشكلة هنا أن لديك معتقدَ تطابقٍ خاطئًا فيما يخصّ لاري، فأنت تؤمن أنَّ لاري1 ولاري2 (كما تراهم بنفسك) ليسا متطابقين، بينما هما متطابقان.

هنا مثال أخير. تأمل پيتر ذلك الرجل المولود والمترعرع في لندن. ترعرع پيتر في هاكني (Hackney)، وهي جزء غير نظيف من لندن. وبسبب تجاربه في هاكني، خَلُصَ (بتهوّرٍ قليلٍ) إلى أن لندن ليست مدينة أرستقراطية، فهو يُسَلِّم بسرعة بمقولة «لندن ليست أرستقراطية». ثم تمَّ اختطافُ پيتر وهو بعمر الثامنة عشرة وأخْذُه إلى هامپستيد

(Hampstead)، وهي جزء آخر من لندن. ومن المعروف أن هامپستيد مختلفة تمامًا عن هاكني لذلك لم يشعر أنَّه لا يزال في نفس المدينة. يلاحظ پيتر هنا أنَّ الناس تُحيل إلى المدينة التي تقع فيها هامپستيد بـ«لندن» ولكنه يفترض أنَّ هذه حالة عادية فثمّة أماكن مختلفة لها نفس الاسم، وهي ظاهرة متكررة يعرفها من مادة الجغرافيا. فإن سألته عن رأيه في جملة «لندن ليست أرستقراطية» بعد انتقاله إلى هامپستيد، ستجده لا يزال موافقًا عليها فهو يرى أنَّ «لندن» هذه تُحيل إلى مدينة تختلف عن «لندن» الأخرى. فوفقًا للطريقة المألوفة في نسبة المعتقدات، سنخلص إلى أن پيتر يؤمن أنَّ لندن ليست أرستقراطية وأن لندن أرستقراطية. وبلا شك فإن موافقته على المكانين تؤكّد نسبة المعتقدات إليه بصورة منفَصِلَة، فنحن في الواقع نستطيع القيام **بكلا** النسبتين التي قد تجعل منّا أشخاصًا متردّدين. فكلمة «لندن» في لغته الخاصة تُحيل إلى مدينة واحدة، ولذلك قمنا بنسبة معتقدات متناقضة إليه، مع إنَّ پيتر لا يدرك ذلك، ولهذا السبب صدَّقَ على الأمرين.

من الواضح في كل الأمثلة السابقة أننا لم نتحدّث عن التناقضات الحاضرة بين «المعتقدات المعنيّة بالأشياء» (de re beliefs). فلا يوجد في الواقع لغز وتناقض في أن ننسُبَ إلى شخصٍ ما معتقدًا عن «هارڤي» (Harvey) أنَّه مشبوهٌ ومعتقدًا آخر عن هارڤي أنَّه غير مشبوهٍ. تحتاج فقط أن تلاحظ هارڤي وهو يتصرف بطريقة مشبوهة في أحد المواقف، ثم تلاحظه يتصرَّف بطريقة غير مشبوهة في موقفٍ آخر، وتكون غير مدركٍ أنَّكَ قد لاحظتَ نفس الشخص مرّتين. في هذا النوع من الحالات، لا يوجد «نسبة معنيَّة بما يقال» (de dicto attribution) تحمل الصيغة التالية: «س يؤمن أنَّ هارڤي مشبوهٌ وأن هارڤي غير مشبوهٍ». فكل ما لدينا هو «نسبة معنيّة بالأشياء» (de re attribution) تحمل الصيغة التالية: «س يعتقد عن هارڤي أنَّه مشبوهٌ وعن هارڤي أنَّه غير مشبوهٍ». إن أمثلة كريپكي تتضمَّن «معتقدات متناقضة معنيّة بما يقال» (contradictory de dicto beliefs)، لا فقط «معتقدات متناقضة معنيّة بالأشياء» (contradictory de re beliefs). والنوع الآخر ليس مُلغِزًا أبدًا. فلا نقترح في هذه الأحوال أنَّ الشخص يؤمن **بمضامين** متناقضة، مع إن ذلك

ممكنٌ في حال أمثلة كريبكي. كما يصِحّ الحال أيضًا على الأمثلة الأخرى التي عرضتُها.

ومع إننا لا نستطيع حلَّ هذه التناقضات، يمكننا على الأقل التفكير في كيفية ظهورها، وكيفية منْطِقها الداخليّ. فثمة نوعان من الأحوال يكون فيها للإنسان معتقدات متناقضة: فثمّة حالة يكون فيها للإنسان معتقدات متناقضة لأنه غير عقلانيّ، وثمة حالة يكون فيها للإنسان معتقدات متناقضة دون أن يكون غير عقلاني. فما الفرق بينهما؟

لتفرض أنَّك سألتَ شخصًا «هل ترى أنَّ «أ هي ف» (a is F)؟» فأجاب بـ«نعم». ثم سألته «هل ترى أنَّ «أ مطابقة لـ ب» (a is identical to b)؟» فأجاب بـ«نعم». ثم سألته «هل ترى أنَّ «ب هي ف» (b is F)؟» فقال «لا». هنا تقف على حالة من اللا عقلانية التامّة، لأن من المنطق إذا كانت «أ هي ف» و «أ مطابقة لـ ب» أن تكون جملة «ب هي فاء» صحيحة. وهذا التعاقب البسيط هو بوضوح قانون «غوتفريد فيلهيلم لايبنتس» (Gottfried Wilhelm Leibniz) المسمَّى «عدم تمايُز المتطابقات» (indiscernibility of identicals)، أي إنَّه إذا كانت أ مطابقة لـ ب، فكلّ ما يصِحُّ على أ سيصِحُّ على ب. فإنْ أجابَ شخصٌ على النحو السابق، فسيكون من حقِّك الاعتراض عليه قائلًا «إنك لا تؤمن في الواقع أنَّ أ وب متطابقتان». ولكن بلا شك، ليس من غير العقلاني أن ترفض أن تستنتج «ب هي ف» من «أ هي ف» إذا كنت **لا** تؤمن أنَّ «أ مطابقة لـ ب». فبذلك تفتقر لمسلَّمَة التطابق التي تجعل استنتاجك صحيحًا. وبلا شك، سيكون من غير العقلاني أن تستنتج شيئًا **دون** مسلَّمَة تطابُق، ولن تكون متَّهمًا بعدم العقلانية إن رفضتَ استنتاج كون فوسفوروس كوكب من المسلَّمة التي تقول إنَّ هيسپيروس كوكب، ولكنك ستكون غير عقلانيٍّ إن رفضتَ استنتاج ذلك الأمر وفقًا لتلك المسلَّمة بالإضافة إلى المسلَّمة التي تقول إنَّ هيسپيروس مطابقٌ لفوسفوروس. فهذان نوعان مختلفان من الأحوال السيكولوجية، ويجب عدم الخلط بينهما.

إنَّ پيريه في مثال كريپكي لا يؤمن بالتطابق القائل «لندن مطابقة للندن» (Londres is identical to London)، كما أنه لا يُسلّم بتلك الجملة. وهذا يصِحُّ في كل الأمثلة التي ناقشناها. فالمشارك سيفتقر

لمعتقد حول مسلّمة تطابق جوهريّة. لهذا لن يكون غير عقلانيّ، فهو في الواقع عقلانيٌّ بصورةٍ تامّةٍ. فثمّة أمثلة على معتقدات متضاربة عقلانية، وهي تلك التي يؤمن فيها المشارك أنَّ «پ» (p) ويؤمن أنَّ «ليس-پ» (not-p) دون أن يخالف مبادئ الاستنتاج المنطقي. وتظهر هذه الأحوال حين لا يؤمن المشارك بأيّ مضمون تطابق يربط بين اسمين أو اسمي إشارة أو وصفين. فليس من غير العقلانيّ أن يكون لدينا معتقدات عن پيريه، لأنه يشكِّلُها بطريقة عقلانية كاملة. الغير عقلاني هو أن نؤمن أنَّ لندن جميلة وأن لندن غير جميلة بينما نسلّم أنَّ «لندن في الفرنسية مطابقة للندن» (Londres is identical to London). بعبارة أخرى، إن واجهنا تسليم پيريه بأنَّ «لندن في الفرنسية غير جميلة» وبأنَّ «لندن في الفرنسية جميلة» (Londres est jolie) بمعلومات تقول إنَّ «لندن في الفرنسية» (Londres) تُحيل إلى نفس المدينة التي تُحيل إليها «لندن» (London)، فسلّم بذلك التطابق ورفض أن يتنازل عن رأيه، فسيكون حينها لا عقلانيًا، إذْ لم يستطع أن يفترض من الناحية العقلانية أنَّ المكان الذي يُسمّيه «لندن في الفرنسية» (Londres) هو نفس المكان الذي يسمّيه «لندن» (London)، بينما يجعل المكان الأول جميلًا والآخر غير جميل. فكل شيء يعتمد على إجابته على سؤال تطابق محدّد.

يظلّ مثال پيريه وبقيّة الأمثلة الملغِزَة المشابهة أقلّ عقلانيةً من كون الشخص يحمل معتقدات معنيّة بالأشياء، أيْ ليست عقلانيةً أبدًا. فليس من غير العقلاني أن تؤمن بـ«أ» التي هي «ف»، وبـ«أ» التي ليست «ف»، لأنَّك لن تلتزم في تلك الحالة بحُكم تطابق فيما يخصّ الأشياء الخاصة بمعتقداتك. فقد فشلتَ أنْ تُدرك أنَّ معتقداتك تدور حول الشيء نفسه، لذلك ستسقط في اللاعقلانية إن «قبِلْتَ» التطابق القائل إنَّ «أ مطابقة لـ ب» وأصررتَ على التسليم بأنَّ «أ هي ف» وأنَّ «ب ليست ف». ففي كل الأمثلة الملغِزَة التي تشبه مثال پيريه، وجدنا غير قبولٍ بجمل التطابق، مع إنها جُمَل تطابُق صحيحة.

إن الهدف مما سبق ليس حلَّ أو إزالة لغز كريبكي، والذي يُظْهر شيئًا غريبًاعن طريقتنا الطبيعية في نسبة المعتقدات، فهدفنا تشخيص الأسباب الثاوية وراء ظهورها. فنحن بحاجة لأن نرى بوضوحٍ الفرق بين

المعتقدات المناقضة غير العقلانية والمعتقدات المناقضة العقلانية. وذلك الاختلاف يُثير دور الأحكام التطابقية في تفكير الشخص. فما هو مفاجئٌ أن الرفض غير المتناقض لجملة تطابق صحيحة قد يقود بسرعة إلى تعيينٍ مُلغِزٍ لمعتقدات متناقضة، نظرًا لأننا نصرُّ على الالتزام بطريقتنا العاديّة في نسبة المعتقدات. فكونك منطقيًّا قد يقود إلى **ظهور** لا منطقية. وهذا الظهور سنجده أيضًا في اللا عقلانية الأصلية، بينما ستظل حالة العقل المتوارية مختلفةً تمامًا.

---

(67) Saul Kripke's «A Puzzle about Belief», in Philosophy of Language: The Central Issues, 257–263.

(68) المترجم: الكلام بين القوسين لا يزال للمؤلف.

ثبت المصطلحات

إنغليزي-عربي

A priori	بديهي
Aboutness	الحول
Abstract	تجريدي
Abstract entities	كيانات مجردة
Acoustic signals	إشارة صوتية
Actual knowledge	معرفة فعلية
Actual sense	معنى فعلي
Amnesia examples	أمثلة نسائية
Analytic	تحليلي
Analytic priori proposition	مضمون بديهي تحليلي
Anaphor	عائد
Arguments	مكونات
Ascription of reference	عزو الإحالة
Assignment of reference	تعيين الإحالة
Attributive view	نظرة نعتية

Being	كينونة
Belief transmission	نقل المعتقدات
Biconditional	شرطية ثنائية
Character	شخصية
Cognitive value	قيمة معرفية
Coherence theory	النظرية الاتساقية
Compositional	تركيبي
Compositionality of meaning	تركيبية المعنى
Compositionality of truth conditions	تركيبية شروط الصحة
Concept	مفهوم
Conditions of evaluation	شروط التقييم
Conjuncts	معطوفات
Connectives	توصيلات
Content	محتوى
Context of use	سياق الاستخدام
Context-dependent expressions	تعابير معتمدة على السياق
Contingency	تصادف

Contingent	مصادف
Contingent Truth	صحة مصادفة
Contradictory de dicto beliefs	معتقدات متناقضة معنية بما يقال
Contradictory de re beliefs	معتقدات متناقضة معنية بالأشياء
Conversational Implicature	إضمار تحاوري
Co-referential	ذو إحالة مشتركة
Correspondence	تقابل
Correspondence theory	النظرية التقابلية
De dicto attribution	نسبة معنية بما يقال
De facto rigid designator	معين صارم فعلي
De jure rigid designator	معين صارم قانوني
De re attribution	نسبة معنية بالأشياء
Definite description	وصف معرف
Demonstrative	اسم إشارة
Demonstrative reference	إحالة إشارية
Description Theory	نظرية الوصف

Designation	تعيين
Designation axioms	مبادئ التعيين
Direct designation	تعيين مباشر
Directly referential terms	مصطلحات إحالية مباشرة
Disappearance theory	نظرية الاختفاء
Disquotational theory	النظرية اللا اقتباسية
Dual-aspect semantics	دلالة ثنائية الجوانب
Empty description	وصف فارغ
Empty names	أسماء فارغة
Entity	كيان
Equality	تساوي
Essential indexical	إشاري جوهري
Exaggeration	مبالغة
Existence	وجود
Existent references	إحالات موجودة
Existential quantifiers	محددات كمية وجودية
Expression	تعبير

Extension	مصداق
Externalism	خارجانية
Fact	حقيقة
False	خاطئ
False sentence	جملة خاطئة
Finite	متناهية
First-level concept	مفهوم مستوى أول
Formal correctness	صواب منهجي
Free variable	متغير حر
Function	وظيفة
Grammaticality	سلامة نحوية
Hyperbole	مغالاة
Identity	تطابق
Imagination	خيال
Indeterminacy	لا محددية
Indexical	إشاري
Indexical terms	مصطلحات إشارية

Indexicals	إشارات
Indirect perspective	منظور غير مباشر
Indirect sense	معنى غير مباشر
Indiscernibility of identicals	عدم تمايز المتطابقات
Individual	فرد
Information	معلومات
Informative	تثقيفي
Informative proposition	مضمون تثقيفي
Informative value	قيمة تثقيفية
Inner logic	منطق داخلي
Instance	حالة/مثال
Intension	استبطان
Intension of the sentence	مصداق الجملة
Intension of the sentence	استبطان الجملة
Intention	نية
Intentional operators	مشغلات استبطانية
Internalism	داخلانية

Irony	سخرية
Language of thought	لغة الفكر
Lexical ambiguity	غموض لفظي
Linguistic deference	انصياع لغوي
Logically proper names	أسماء علم منطقية
Lower-class expression	تعبير من الدرجة الدنيا
Manners of presentations	أساليب عرض
Mass term	مصطلح غير معدود
Material adequacy	اكتفاء مادي
Material biconditional	شرطية ثنائية مادية
Meaning-ascription	نسبة المعنى
Mention	ذكر
Metalanguage	ميتا لغة
Meta-metalanguage	ميتا ميتا لغة
Metaphors	استعارات
Mirror examples	أمثلة مرآتية
Mock sense	معنى زائف

Modal argument	حجة احتمالية
Modal operator	عامل احتمالي
Modal space	فضاء احتمالي
Modality	احتمال
Mode of designation	طريقة تعيين
Mode of presentation	طريقة عرض
Mode of representation	طريقة تمثيل
Mode of identification	طريقة تعريف
Name theory	نظرية الأسماء
Names	أسماء
Narrow scope	نطاق ضيق
Natural meaning	معنى طبيعي
Nonnatural meaning	معنى غير طبيعي
Non-rigid designator	معيِّن غير صارم
Numerical identity	تطابق عددي
Object language	لغة الأشياء
Object of references	أشياء إحالة

Objective	موضوعي
Objects	أشياء
Obscurity	التباس
One-place predicate	مسند ذو مكان واحد
Opaque	مبهم
Opaque contexts	سياق مبهم
Paratactic theory	النظرية النظيرية
Partial definition	تعريف جزئي
Particular proposition	مضمون محدد
Perception	ملاحظة
Performatives	أدائيات
Personal identity	تطابق شخصي
Personal indexicals	إشارات شخصية
Perspective	وجهة نظر
Physical	مادي
Placeholder	شاغل مكان
Possible world semantics	دلالة العوالم المحتملة

Pragmatic meaning	معنى تداولي
Pragmatics	تداولية
Predicate	مسند
Predicate calculus	حاسبة إسنادية
Predicate logic	منطق إسنادي
Predication	إسناد
Primary occurrence	ورود أساسي
Primitive	عنصر بدائي
Principle of charity	مبدأ الخيرية
Proper knowledge	معرفة سليمة
Proper name	اسم علم
Proposition	مضمون
Propositional function	وظيفة مضمونية
Psychological condition	حالة سيكولوجية
Psychological externalism	خارجانية سيكولوجية
Psychological idea	فكرة سيكولوجية
Qualitative identity	تطابق كيفي

Quantified proposition	مضمون كمي
Quantifier view	نظرة محدد كمية
Quantifier	محدد كمية
Reality	واقع
Real-word correlate	ارتباط العالم الواقعي
Recursive procedure	إجراء تكراري
Redundancy theory of truth	النظرية الفائضة للصحة
Reference	إحالة
Reference dependent	معتمد على الإحالة
Reference shift	تحول الإحالة
Referential view	نظرة إحالية
Referrer	محيل
Regular use	استخدام معتاد
Relational	علائقية
Representation	تمثيل
Representational	تمثيلي
Representational entity	كيان تمثيلي

Rigid designator	معين صارم
Satisfaction	إرضاء
Satisfaction axioms	مبادئ الإرضاء
Saying	قول
Schematic letter	حرف تخطيطي
Scope of negation	نطاق النفي
Secondary occurrence	ورود فرعي
Second-level concept	مفهوم مستوى ثان
Second-order	رتبة ثانية
Semantic ambiguity	غموض دلالي
Semantic compositionality	تركيبية دلالية
Semantic externalism	خارجانية دلالية
Semantic meaning	معنى دلالي
Semantics	دلالة
Sense	معنى
Sense data	بيانات المعنى
Sentence	جملة

Shape	شكل
Showing	عرض
Sign	علامة
Simple object theory	نظرية الأشياء البسيطة
Singular proposition	مضمون مفرد
Singular terms	مصطلحات مفردة
Spatial indexical	إشاريات مكانية
Speaker meaning	معنى المتحدث
Speech acts	ممارسات كلامية
Statement	بيان
Strict biconditional	شرطية ثنائية صارمة
Subject matter	مدار الموضوع
Subjective	شخصي
Subjective sense datum	معلومة معنى شخصية
Subject-predicate sentence	جملة فاعل-مسند
Subsistence	تواجد
Subsistent references	إحالات تواجدية

Substitutional interpretation	تأويل استبدالي
Syntactic ambiguity	غموض تركيبي
Synthetic	تأليفي/تركيبي
Synthetic, posteriori proposition	مضمون تأليفي/تركيبي غير بديهي
Tautological	حشوي
Tautology	حشو
Proposition expressed	مضمون معبر عنه
Proposition meant	مضمون مقصود
Theory of Truth	نظرية الصحة
Token of the word	قطعة كلمة
Token sense	معنى قطعة
Toy language	لغة دميوية
Transparency condition	شرط شفافية
True	صحيح
True sentence	جملة صحيحة
Truth	صحة
Truth conditions	شروط صحة

Truthvalue	قيمة صحة
Truthvalue gaps	فراغات قيم الصحة
Type	نوع
Uniqueness	فرادة
Upper-class sense	معنى من الدرجة العليا
Use	استخدام
Use-mention confusions	التباسات الاستخدام والذكر
Use-mention distinction	التفرقة بين الذكر والاستخدام
Utility	منفعة
Vague predicate	مسند غامض
Vague sentence	جملة غامضة
Vagueness	غموض
Variable	متغير
Verification	تثبت
Way of thinking	طريقة تفكير
Wide scope	نطاق عريض
Word type	كلمة النوع